الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية

قسم: العلوم الإنسانية

الحياة الثقافية في المغرب القديم بين الأصالة وتأثير الثقافات الوافدة 146ق.م/431م

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الثقافي والاجتماعي المغاربي عبر العصور

إعداد الطالبة:

وفاء بوغرارة

إشراف الأستاذ الدكتور:

الطاهر ذراع

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.دعبد الكريم بوصفصاف	رئيساً	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد دراية- أدرار
أ.د الطاهر ذراع	مشرفاً ومقرراً	أستاذ التعليم العالي	جامعة أحمد دراية- أدرار
أ.د بلقاسم رحماني	عضوا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2
أ.د إبراهيم العيد بشي	عضوا	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر 2

السنة الجامعية:1434 /1435ه

2013/2014م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وامتنان

حمد الله وأشكره أن وفقني في انجاز هذه الرسالة.

مادام شكر الناس من شكر الله فإني أتوجه أولا بالشكر الجزيل إلى الأب والأستاذ الفاضل الدكتور الطاهر ذراع – حفظه الله ورعاه- الذي شجعني على اقتحام هذا الموضوع الذي يعتبر أول بحث في التاريخ القديم بجامعة أدرار، وكان له فضل التوجيه والرعاية والصبر ليظهر هذا العمل على الصورة التي هو عليها، فقد ساندني ورافقني دائما بتقديم النصح والدعم المعنوي والعلمي فله مني كل التقدير والاحترام.

والشكر موصول – من خلاله – أولا إلى جميع أساتذتي الأفاضل الذين قاموا بتكويني في مرحلة التدرج وما بعدها، وثانيا إلى أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بمناقشة هذا البحث.

ومن الأهمية بما كان أيضا أن أسجل في هذا المقام خالص شكري لجميع أفراد أسرتي الذين تحملوا كل الأعباء والمعاناة، وإلى رفيق دربي الأستاذ جلايلي أحمد وجميع أفراد أسرته فلم ولن أنسى لهم وقفتهم معي.

إلى كل من ساق معي بكل صبر وعناء تصفيف هذا العمل وإخراجه عمال بيت المعلوماتية فالشكر وكل الشكر خاصة إلى السيد جرادي محمد.

ولا يفوتني أيضا أن أتقدم بالشكر إلى كل الأصدقاء والزملاء وفي مقدمتهم الأـــسرة التربوية في مؤسسة المنصورية وخاصة السيد المدير.

كما أشكر كل عمال المكتبات الذين قدموا لي أنفس الكتب وفي مقدمتهم عمال المكتبة المركزية بجامعة منتوري ومكتبة الجيش ومتحف سيرتا بقسنطينة، والمكتبة الوطنية بالجزائر، والمكتبة المركزية بجامعة الحاج لخضر بباتنة ، مكتبة قصر الثقافة بسوق أهراس، إلى الكل الشكر والتقدير.

الطالبة : وفاء بوغرارة

قائمة المختصرات:

1. Ant.Afr: Antiquités Africaines.
2. R.E.P.P.A.L.: Revue des études Phéuiciennes-Puniques et des Antiquités Libyques.
3. R.AF.:Revue Africaine.
4. R.S.A.C: Rec. De Constantine: Recueil des notices et mémoires de la société Archéologique Historique et Géographiques.
5. M.E.F.R.A: Mélanges de L'école Française de Rome Antiquite.
6. J.O.R.F.: Journal Officiel de la république Française.
7. B.A.C.: Bulletin archéologique du Comité de travaux historique.
8. R.C.: Recueil de Constantine.
9. VOL: volume.
10. T: Tome.
11. R.F: Rapport des fouilles.
12. H.A.A.N: Historie Ancienne de l'Afrique du Nord.
13. R.I.L:Recueli des Inscriptions Libyque.
14. **C**.N.R.S: Centre Nationale des Recherches Scientifique.

1. ق.م: قبل الميلاد.
2. م: للميلاد أو ميلادي.
3. دت: دون تاريخ.


مقدمة

مقدمة

التعريف بالموضوع : قدمت الدراسات الأثرية معلومات هامة عن التعمير البشري لمنطقة المغرب القديم، التي ثبت وجود الإنسان بها منذ القدم وأهم عنصر لافت للانتباه هو تلك الحضارة التي ازدهرت في الهضبة الصحراوية " طاسيلي الناجر" (Tassili N'Ajjer)، كما عرفت المنطقة توافد شعوب كثيرة في مقدمتها الفينيقيون ثم بزغ نجم قرطاجة التي بلغت أوج ازدهارها ، وقد أسهم سكان المغرب في هذه الحضارة، حيث كان لهم مبادرات بارزة شجعهم عليها طبيعة التعامل والاندماج.

وقد اختلف الحال في العهد الروماني الروماني لأن الرومان كانوا مستعمرين ومستغلين بكل معاني الاستعمار والاستغلال ، حيث تمكنوا من احتلال شمال المغرب القديم ابتداء من سنة 146 ق.م ، واتبعوا سياسة تميزت بالدهاء ، مدعومين بالقوة العسكرية التي استغلت التمزق السياسي والصراعات بين الممالك المغاربية[1]، فتم إلحاق البلاد بالممتلكات الرومانية تدريجيا ، ففقدت بذلك جميع مقومات السيادة والتميز الاجتماعي والاقتصادي ، بل كاد سكانها يفقدون جميع معالم شخصيتهم الثقافية في خضم التغيرات الناجمة عن سياسة الرومنة فالرومان كانوا من الشعوب المتحضرة ، والفاعلة بما أخذوه عن الإغريق فكريا وعمرانيا وفنيا، وما كسبوه أيضا من البلاد التي احتلوها ، ومن هذا المنطلق، فإن هذه

[1] لم يعرف تاريخيا جمع المغارب في المصادر حتى ينسب إليه المغاربي، فكان يقال المغربي، فلم يرد سوى في القرآن الكريم ، في قوله عزَّ وجلَّ: " **فلا أقسم برب المشارق والمغارب**" ليدل على جميع جهات الغروب، وهو بالتالي جائز في الاستخدام العلمي وأوسع وأشمل.

والمغارب مصطلح معاصر أطلقه اللغويون العرب في بادئ الأمر على اتحاد المغرب العربي، فيقال "الاتحاد المغاربي" بصيغة الجمع، بغرض التفريق بينه وبين مصطلح المغرب، الذي يطلق على المملكة المغربية فقط، ويفضل استخدامه من بعض المتخصصين في مختلف فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية، كونه مصطلح أشمل وأعلم للمنتسبين إلى المكان – فيقال "المغاربة"– وليس إلى المكان نفسه ، إذ بالإمكان أن نقول "المغرب" فيتجاوز بمعناه المملكة المغربية إلى بقية الأقطار الواقعة غرب النيل. ينظر: مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديممن عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية (2011–2012)، ص.ص (37–38).

الدراسة ستتناول بالبحث الحياة الثقافية في المغرب القديم بين الأصالة وتأثير الثقافات الوافدة (146 ق.م _ 431م)، محاولة تتبع كل الأشكال الثقافية[1] : لغة، الأعمال الأدبية والفكرية والعمرانية التي تراكمت وتفاعلت في هذه الرقعة الجغرافية التي يمتد عليها المغرب القديم.

و يتضمن هذا البحث حدودا من الناحيتين الجغرافية والزمنية، فحدوده الجغرافية المنطقة الممتدة من غربي حوض النيل إلى جزر الكناري في المحيط الأطلسي ومن البحر المتوسط شمالا إلى هضبة الصحراء الكبرى على مشارف نهر النيجر جنوبا. وقد أهل هذا الموقع بلاد المغرب لأن تكون منبعا للحضارات، وعرضة لتأثيرات ثقافية شرقية وغربية وإفريقية واضحة، الأمر الذي جعلها تتأثر بالأحداث المتوسطية الكبرى عبر تاريخها القديم ، وتنعكس عليها نتائج تلك الأحداث بالسلب والإيجاب.

أما من الناحية الزمنية فإن هذا البحث يتناول مرحلة الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (146 ق.م _ 431م)، وهي الفترة التي عالجتها ضمن موضوع الدراسة في شتى المجالات الثقافية من بداية الاحتلال حتى نهايته.

أهمية الموضوع: تعتبر هذه الدراسة من المواضيع المهمة التي تتعاطى التأريخ للانجازات الثقافية في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني ، فالرومان عملوا من أجل تغيير الكيان الحضاري والثقافي للشعوب المغاربية عن طريق تطبيق سياسة الرومنة، لذلك

[1] تقدم تعاريف متعددة لكلمة ثقافة حسب تعدد المدارس الفكرية والفلسفية وحسب تعدد المجالات التي تحتلها الثقافة في الزمان والمكان والبيئة والطبقة الاجتماعية . ففي الفلسفة مثلا تعرف الثقافة بأنها: " **كل ما هو غير فطري أي أنها تعني ما هو مكتسب من خبرات وأفكار ومعلومات وفنون وعلوم...**"

في علم الاجتماع تعرف الثقافة بأنها : " **كل ما هو مشترك لدى مجموعة من الأفراد ويدعم التلاحم فيما بينهم**".

ووضعت كلمة ثقافة لتقابل كلمة (Cultura) اللاتينية التي تعني في الأساس " الزراعة " و أول من استعملها للدلالة على الرقي الأدبي والفكري للإنسان هو شيشرون (Cicéron) في قوله الشهير **الفلسفة زرع الروح** حيث جاء في تعبيره ما يلي: " **الحقل مهما كان خصبا لا يمكن أن ينتج دون زرعه، كذلك الأمر بالنسبة للإنسان لا يثمر دون تعليم**". ينظر: محمد العربي عقون، محاضرات لفائدة طلبة ما بعد التدرج ، جامعة أدرار، 2012، ص 09.

البحث في تاريخ المغرب القديم عموما والفترة الرومانية على الخصوص تمليه ضرورة ملحة.

ومن هنا تكمن أهمية هذه المرحلة التاريخية بما تعج به من أفكار متناقضة تملي على الباحثين ضرورة النظرة التحليلية بأسلوب موضوعي وجرئ للبناء التاريخي حسب مقوماتنا الأساسية الفكرية واللغوية ، بل وكل العناصر المحركة للحياة الثقافية لما لها من أهمية في وتيرة الدفع بحركة التقدم في مسار الحضارة .

فللموضوع أهمية كبرى فلم يقتصر على الجانب السياسي وإنما تجاوزه إلى مجالات أخرى ذات أثر كبير في مسار البشرية .

وعليه ركزت جهدي على الاهتمام بالحياة الفكرية ، فللمغرب القديم نصيبه من الحضارة والثقافة عكس ما روجت له المدرسة الكولنيالية التي أسقطت السكان الأصليين من الدور الحضاري التاريخي. وقد حاولت دراسة الموضوع بالبحث والتنقيب من المصادر والمخلفات الأثرية لإثبات قدرة أهل المغرب على الإبداع الفكري ، وإبراز منجزاتهم الثقافية في ميادين مختلفة لغوية وأدبية ، فنية وعمرانية.

دوافع اختيار الموضوع: تعددت مجموعة من الأسباب والدوافع دفعتني إلى الخوض في هذا البحث منها:

1)عرفت الدراسات التي تناولت تاريخ المغرب القديم اهتماما واسعا ومعمقا من قبل الباحثين ، غير أن الجوانب الفكرية والثقافية لا تزال بكرا تحتاج إلى مزيدا من البحث والدراسات الأكاديمية الموثقة خاصة من قبل أبناء البلاد ، وهناك حاجة ماسة إلى التنقيب لخوض هذا المجال المكمل للجوانب الاجتماعية الأخرى.

2) ميولي واهتماماتي الشخصية بتاريخ المغرب القديم وبفترة الاستعمار الروماني على وجه التحديد ، ذلك أن هذه الفترة اتسمت بخصائص مميزة جعلت منها مجالا خصبا للمؤرخين الاستعماريين الذين كتبوا تاريخها حسب أهوائهم ومنهجهم فيما يرونه فعالا

لتمرير ما يريدون تمريره طبقا لرؤاهم وفلسفة بلدانهم. وفي هذه الدراسة حاولت أن أسجل أحداث وحقائق هذه الفترة ، بأسلوب علمي نقدي وبمنهجية موضوعية حتى أبرز دور سكان المغرب في الحضارة الإنسانية ومدى تواصلهم مع الشعوب الأخرى لإثراء ثقافتهم الأصلية.

3) رغبتي في دراسة جوانب مهمة وحساسة من التاريخ الثقافي للمغرب القديم، الذي أسهمت فيه شعوب المنطقة لأنها لم تعزل نفسها عن المشاركة، بل كانت لها مبادرات مهمة شجعها عليها طبيعة التعامل وغزارة الإنتاج الفكري.

4) محاولة إبراز مميزات الشخصية والحضارة المغاربية لأن سكان المغرب القديم لهم ثقافتهم المطبوعة بالتركيب والتحليل، مما يساعدهم على فهم ما يرد عليهم من تيارات ثقافية مختلفة.

إشكالية البحث: تتمحور إشكالية البحث حول الحياة الثقافية بالمغرب القديم ومدى تقبل الأهالي للرافد الثقافي الروماني 146ق.م – 431م ، ومن أجل تحقيق أهداف البحث كان حري بي أن أطرح مجموعة من الإشكاليات الفرعية التي تناولتها في كل فصل من الفصول الثلاثة التي عالجت فيها موضوع الحياة الثقافية، وقد أفادتنا تلك التساؤلات الفرعية في فهم الموضوع المدروس .

1) ما هو الواقع الثقافي في بلاد المغرب قبيل الاحتلال الروماني؟ وما هي الأسس الثقافية التي وجدت في بلاد المغرب القديم؟

2) ما هي مظاهر الثقافة الرومانية وتجلياتها ببلاد المغرب؟ ومدى تفاعل سكانه مع هذا الوافد؟ هل ضاعت ثقافتهم في الثقافة الرومانية؟ أم نمت وازدهرت من جديد؟

3) كيف كان الوضع اللغوي في المغرب القديم؟ هل استمرت اللغة اللوبية بعد أن فقدت السند السياسي؟ وما هي إسهامات المغاربة في مجال التأليف الثقافي؟ وكيف كان تأثير الديانة المسيحية على الحضور الثقافي في بلاد المغرب؟

4) ما واقع الحياة الحضرية؟ هل عرف سكان المغرب القديم المدنية قبل الاحتلال الروماني؟ وهل يعتبر ثراء مدن بلاد المغرب بالمرافق دليل على تلاقح الأفكار والثقافات؟

المنهج المتبع في البحث: نظرا لصعوبة موضوع البحث المدروس، فقد اعتمدت على أكثر من منهج بحث، أوردهم فيما يأتي:

1) المنهج التاريخي الوصفي: لجأت إليه عند معالجة سير الأحداث ووصف الوقائع والظواهر التاريخية والاجتماعية والثقافية التي يعالجها هذا البحث، وصفا يمكنني من ترتيبها وتصنيفها حسب أهميتها وزمانها ومكانها.
2) المنهج المقارن: استعملته في مقارنة الأحداث التاريخية أو المظاهر الثقافية والفكرية الجديدة بما كان قبل الوجود الروماني ، والنتائج العلمية التي استخلصتها من دراسة هذا الموضوع بالنتائج التي توصل إليها أشقاءنا في البلاد المغاربية أو كتابات المؤرخين الغربيين.
3) منهج دراسة الحالة: اعتمدت عليه في أخذ عينات أنموذجية للدراسة ، فمثلا: إنه في العهد الروماني كانت كل مدينة من مدن المغرب القديم تتميز بخصائصها الحضارية عن الأخرى خلال الاحتلال الروماني، وتزخر بشواهد عن ملامح الحياة الثقافية في ذلك العهد.

ولما كان من الصعوبة بمكان الإلمام بها جميعا، فقد تم الاعتماد على بعض العينات للدراسة كمدن: نوميديا، وفي مقدمتها مدينة مادور (مداوروش حاليا) لأنها كانت تحتوي على خصائص مميزة، كوجود المدينة القديمة قائمة حتى الآن، لذلك قمت بدراستها خاصة في الفترة الرومانية.

لكن لماذا لا نجد دراسات بحثية جديدة حول مادور؟ رغم أنها مدينة تعددت فيها الاكتشافات، وتراكمت فيها النقود والتماثيل والوثائق المادية، فإنه – للأسف – لا توجد تعليلات جديدة، حيث أن الباحثين الجدد لم يجرؤوا على التعليل، وعليه تبقى الدراسات

على حالها، ولذلك يحتاج الباحث في التاريخ إلى استخدام النمط التعليلي في تفسير الظاهرة التاريخية بهدف الوصول إلى إجابات عن الأسئلة التي تضمنتها الإشكالية.

- صعوبات البحث: واجهتني صعوبات عديدة أثناء انجاز هذا البحث على المستوى المعرفي والمنهجي والاجتماعي ، لكن أهم الصعوبات التي صادفتني قلة المصادر والمراجع، وتناثر المعلومات ، لأنه انعدم وجود إرث مكتوب تركه سكان المغرب القديم ، يمكنني أن أستدل على ثقافتهم الحقيقية باستثناء ما وجد في النقوش الجنائزية.

وما زاد من عنائي ضرورة التنقل إلى أماكن تواجد المادة العلمية ، وصعوبة الاستفادة من الوثائق باللغة الأجنبية خاصة اللاتينية والتي ستضطرني بدون شك إلى استعمال القاموس والاستعانة ببعض الأصدقاء الذين يجيدون لغة المصادر والوثائق بحذر وعلى العارفين والأمناء.

وصف أهم مصادر البحث ومراجعه: اعتمدت على جملة من المصادر المادية والكتابية، ونظرا لتعدد مواضيع البحث المدروس فإن المصادر والمراجع قد تنوعت بشكل كثير، وقد حاولت العودة إلى مصادر ومراجع كل ميدان يندرج في موضوع الحياة الثقافية بما استطعت الحصول عليه في مراكز البحث والمكتبات الوطنية وحتى الالكترونية.

فمثلا: عند دراستي للمواقع الجغرافية كنت اعتمد على الأطالس، وعند البحث في المفاهيم ألجأ إلى المصادر المعجمية، وعند الدراسة الأثرية أعود إلى التقارير التي توفرها الدواوين والحوليات ، وكذلك بالنسبة للتاريخ اللغوي فقد اعتمدت على المصادر اللغوية التي توفرت لي من خلال المكتبات والمتاحف.

ومع كثرة المصادر والمراجع وتنوعها ، فإنني سأكتفي هنا بذكر أهم المصادر التي أفادتني في انجاز هذا البحث.

أولا المصادر المادية: أهمها النقوش مثل: مدونة النقوش اللوبية للأب شابو (Recueil des Inscriptions Lybiques) ، والمجموعة الكاملة للنقوش النوميدية (Collection des Inscriptions Numidiques Compléte) للضابط الباحث فيدراب (Faidherbe).

إضافة إلى تقارير الحفريات حيث استفدت من المعلومات الأثرية الورقية المنشورة في كل من: المجلة الأفريقية (La Revue Africaine) ، ومجلة جمعية قسنطينة (Receuil de Constantine)، والمجلة الأثرية (B.A.C).

إلى جانب هذا فقد استعنت بالأطلس الأثري للجزائر لستيفان غزال ، والذي يعتبر مصدر مهم للباحثين في التاريخ المغاربي القديم .

والملاحظ على المصادر المادية أنها قدمت لي الكثير من المعلومات العلمية المفيدة والتي أوضحت لي أن سكان المغرب القديم ، كانت لهم لغة يتكلمونها وديانة يتعبدون بها.

ثانيا المصادر الكتابية: تتكون من المصادر الدينية: متمثلة في الكتاب المقدس المترجم عن اللغات الأصلية من نشر دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط بالقاهرة سنة 2004، استفدت منه في تتبع ظهور المسيحية في بلاد المغرب القديم. إضافة إلى النصوص الأدبية الإغريقية ويأتي في مقدمتها نصوص هيرودوتس في الكتاب الرابع من مؤلفه التاريخ حيث اطلعت عليه باللغة العربية من ترجمة: عبد الإله الملاح من منشورات أبو ظبي سنة 2002، باعتباره أقدم مصدر كتابي يتناول تاريخ لوبة واللوبيين، واعتمدت أيضا على النصوص الأدبية الرومانية: أهمها: كتاب سالوستيوس حرب يوغرطة.

إضافة إلى مجموعة من المصادر التي كتبها مؤلفون مغاربة مثل: كتاب التحولات لأبولي مادور (Apulee Madaure) ، والمراسالات لفرنطون السيرتي (Fronton)

، إلى جانب إشارات العديد من المجادلين ورجال الدين المسيحيين خاصة منهم ترتليانوس (Tertullianus).

ثالثا الكتب والدراسات: اعتمدت في دراسة موضوع الثقافة المغاربية على مجموعة من الكتب والمؤلفات الخاصة بتاريخ المغرب القديم ، ومن بين المؤلفات العربية كتاب "الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة " تأليف شافية شارن وسعيد دحماني و محمد الحبيب الذي اعتمدت عليه بشكل بارز خاصة فيما يتعلق بالتعليم في بلاد المغرب القديم ، إضافة إلى كتاب محمد العربي عقون، " الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم "، ومؤلفات محمد الصغير غانم والتي نشرتها دار الهدى بالجزائر فيما بين (2005–2013)، وتتناول التاريخ السياسي والعسكري والديني واللغوي في الدولة النوميدية ومن أهمها: المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ونصوص بونية – ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم.

هذا فضلا عن كتابات كثيرة لعل أبرزها الكتابات القيمة والمتميزة لمحمد البشير شنيتي، وكتاب " النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم " لمها العيساوي.

أما المراجع باللغة الأجنبية ، فقد استفدت من مجموعة المؤرخ ستيفان غزال (Stéphane Gsell) التي تحمل عنوان: " التاريخ القديم لشمال أفريقيا " (Histoire Ancienne de l’ Afrique du Nord) ، وكتاب مارسال بن عبو (Marcel Benabou) " المقاومة البربرية لسياسة الرومنة"(La résistance Africaine à la Romanisation)، وكتاب يان لوبوهاك (Yann Le Bohec) تاريخ أفريقيا الرومانية (Histoire de L΄ Afrique Romaine).

كما اعتمدت أيضا على مجموعة متنوعة من المعاجم مثل القاموس الروماني ومعجم المصطلحات والشواهد الفلسفية لجلال الدين سعيد.

-**المواقع الإلكترونية:** في خضم التطور التقني الواسع وتوخي الباحث الحذر من المعلومات المنشورة عبر شبكة الانترنت، تجدر الإشارة إلى أنه لا غنى عن العودة إلى مواقع معينة تتمثل في : المكتبات الإلكترونية التي تحتفظ بآلاف الكتب والمجلات العلمية المحكمة المصورة على نظام (pdf) ومنها على سبيل المثال: مكتبة المصطفى www.al-mostafa.com. ومنشورات تامنغاست www.tawalt.com .

خطة البحث: دفعتني إشكالية البحث إلى وضع خطة منهجية لموضوع هذه المذكرة، وقد قسمت البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة وتضمن كل فصل عدة مباحث:

وقد حاولت في **الفصل الأول:** الوقوف على الوضع اللغوي في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني ، تعرضت في المبحث الأول: للغة وكتابة المغرب القديم الأصلية اللوبية (Le libyque) مفهومها، أصلها، أشكالها وتطورها خلال الفترة الرومانية. و نظرا لانفتاح المغاربة القدماء على لغات وثقافات الشعوب المطلة على البحر المتوسط فقد تتبعت تفاعلهم في هذا المجال مع تلك الشعوب حسب تدرجها الزمني، ويأتي الفينيقيون في مرحلة أسبق وبعدهم الإغريق ، فقد تأثر المغاربة القدماء باللغة الفينيقية ، ووضعوا منها لغة خاصة بهم وهي اللغة البونية والبونية الجديدة (Néopunique) ، كما كان لهم تواصل بالعالم الإغريقي وما احتواه من حضارة فكرية وعلمية ودينية ولغوية لذلك درست في المبحث الثاني اللغات الوافدة إلى المغرب القديم ، لأتناول بعد ذلك وضع اللغة اللاتينية وعوامل انتشارها في المغرب القديم في المبحث الثالث.

وعالجت في **الفصل الثاني:** التعليم في بلاد المغرب القديم ودوره في الإنتاج الثقافي، وقد احتوى على ثلاثة مباحث، تناولت في الأول وضع التعليم قبيل الاحتلال الروماني. أما الثاني فيعتبر من المباحث الهامة في الدراسة ، حيث ركزت فيه على التعليم وأهم المواد المدرسة في العهد الروماني، ومن هنا حاولت تقصي بعض المعلومات عن مراحل التعليم

والأساليب التربوية وطرقها في تنشئة الأفراد في بلاد المغرب القديم. وقد تناولت في المبحث الثالث التأليف الأدبي من خلال شخصيات مغاربية ، وحاولت إبراز أن بلاد المغرب عرفت نهضة فكرية أدبية ودينية واضحة تماشيا والتجارب العالمية الأخرى ، مثلها مؤلفون ومبدعون وكتاب يعدون من المتميزين في هذا المضمار.

أما **الفصل الثالث:** فوسمته على النحو الآتي: الحياة الحضرية والفنية في المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني. تطرقت في المبحث الأول منه للمنشآت الرومانية في حواضر بلاد المغرب القديم ، حيث عملت السياسة الرومانية على إبراز مظاهر الحضارة الرومانية بمختلف السبل، وقد تجلى ذلك في إقامة المرافق الاجتماعية المختلفة: كالحمامات والأسواق والنافورات والمعابد والمسارح في المدن المغاربية. أما المبحث الثاني فقد تضمن دراسة تاريخية وأثرية لمدينة مادور. ودرست في المبحث الثالث: الإبداع الفني في بلاد المغرب القديم ، حيث كان الفن ظاهرة اعتيادية في المجتمعات المغاربية منذ عصور ما قبل التاريخ، فالفنون بأنواعها من رسم وتصوير وعمارة ونحت ، هي مرآة للحياة تعكس تطور حضارة المجتمع المغاربي ، وتوضح كثيرا من مناحي حياته وتقاليده وتطلعاته. وأنهيت هذا العمل بخاتمة سجلت فيها النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الفصول والمباحث.

ودعمت البحث بملاحق ذات علاقة بموضوع هذه المذكرة وبيبلوغرافية متنوعة ورغم هذا العمل فإن الموضوع مازال في حاجة إلى البحث والدراسة والتحليل الكافي، إلا أنني أتمنى أن أكون قد التزمت على الأقل بالمواصفات المنهجية والعلمية والإحاطة بجوانبه الأساسية ، وأرجو أن يكون بحثي المتواضع هذا قد ساهم في إبراز حقيقة أن سكان بلاد المغرب القديم ، كانت لهم ثقافتهم وحضارتهم المميزة لحضورهم في مصادر التاريخ، لكن الاحتلال الأجنبي كان دائما لهم بالمرصاد يطمس ثقافتهم ويزدري حضارتهم الإنسانية.

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب.

الفصل الأول:
الوضع اللغوي في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني

المبحث الأول: اللوبية لغة المغرب القديم الأصيلة.

المبحث الثاني: اللغات الوافدة إلى المغرب القديم.

المبحث الثالث: اللاتينية لغة الاحتلال الروماني.

كان سكان المغرب القديم متفتحينً على لغات وثقافات الشعوب المطلة على البحر المتوسط[1]، فقد تمركزت اللغة الإغريقية في قورين، والفينيقية في قرطاج ثم اللاتينية في كثير من مناطق حوض البحر المتوسط إضافة إلى المغرب القديم، وكانت هذه اللغات مدعومة سياسيا، فقد كانت الفينيقية لغة التجارة في البحر المتوسط، والإغريقية لغة الفنون والآداب والعلوم ثم خلفتها اللغة اللاتينية، التي مكنتها الإمبراطورية الرومانية في السيطرة على حوض البحر المتوسط.

أما لغة المغرب القديم الأصلية هي اللغة اللوبية (Le libyque)، والتي كانت معاصرة للغات قوية مثل: (الفرعونية والإغريقية واللاتينية ولغات الشرق الأدنى القديم) ولكن تلك اللغات اندثرت منذ قرون، بينما لا تزال اللهجات المنحدرة من اللغة اللوبية حية إلى اليوم ومتداولة في الحياة اليومية عند ملايين المتكلمين بها.

وقد كانت اللوبية لغة مكتوبة لها أبجديتها، لكن الاحتلال الروماني الذي سيطر على البلاد قرونا عديدة فرض لغته على سكان هذه الربوع منذ مجيئه إليها، ومنذئذ تحولت اللوبية إلى لغة شفوية بعد أن فقد المغرب القديم سيادته.[2]

المبحث الأول: اللوبية لغة المغرب القديم الأصلية

نعالج في هذا المبحث لغة وكتابة القبائل اللوبية[1] أشكالها وتطورها وانتشارها ومكانتها بين لغات شعوب البحر المتوسط.

---

[1] البحر المتوسط هو أحد المسطحات المائية الهامة، يربط بين قارات العالم القديم الثلاث في أكثر مناطقها حيوية ونشاطا، تعددت أسماؤه منذ القديم، فقد سمي بالبحر الداخلي (mare interum) أو البحر الأفريقي (mare africanum)، كما نسب إلى سردينيا إحدى أكبر جزره، ولقب أيضا بالبحر الكبير (mare magnum) ونسبه الرومان لأنفسهم فأسموه بحرنا (mare nostrum). أما في العصور الوسطى، فقد أطلق عليه اسم البحر العربي نتيجة لبسط المسلمين نفوذهم عليه، كما دعي أحيانا بالبحر العاصف نظرا لأمواجه العاتية التي تعيق حركة السفن والأساطيل.

[2] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 203.

أولاً: أصل الكتابة اللوبية: لازال أصل الكتابة اللوبية يشكل صعوبة جمة، خاصة وأنه حتى الآن لا يزال الباحثين يجهلون المصدر الذي أخذت منه هذه الكتابة، ومعرفة أصولها هل هي محلية أصلية في المغرب القديم، أملتها التطورات الاقتصادية والاجتماعية التي مرت بها بلاد المغرب القديم؟ أو هي مستوردة مثلها في ذلك مثل اللغتين البونية واللاتينية؟

بعد اطلاعي في المصادر والمراجع وجدت أن هناك عدة افتراضات وضعت كمحاولة لتتبع أصول اللغة اللوبية:

أ) **الأصل المحلي للكتابة اللوبية:** أكد مجموعة من الباحثين أن أصل اللغة اللوبية محلي، وأنها نشأت نتيجة لتطور الظروف الاقتصادية والاجتماعية الداخلية.[2] إذا كان اختراع الكتابة هو الذي نقل الشعوب من ما قبل التاريخ إلى الفترة التاريخية، فإن المغرب القديم قد عرف نفس التطور على غرار شعوب البحر المتوسط فقد كان ابتكار الكتابة اللوبية مؤشرا على دخوله التاريخ،[3] فمن الممكن أن تكون الكتابة اللوبية مشتقة من الرسوم الصخرية التي تعد

---

[1] ليبيا أو لوبا: هو اسم عريق ضارب في القدم، دار حوله كثير من الجدل في محاولة تتبع أصوله لغويا وجغرافيا ثم حضاريا، ويبدو أنه اشتق من الكلمة المصرية القديمة ريبو، وفي قراءة أخرى ليبو التي تقابل اللغة العبرية لوبيم وفي الإغريقية ليبوس وفي اللغة العبرية ليبيا، وقد وجدت لها نصوص كثيرة في المعابد المصرية كمعبد الكرنك الذي يعود إلى فترة الملك مرنبتاح، وفي عهد رمسيس السادس من الأسرة الفرعونية العشرين.

لقد شاع اسم القبائل التي كانت تقطن إلى الغرب من مصر تحت اسم الليبو، ثم انتقل الاسم إلى الفينيقيين، وورد الاسم أيضا في نقوش متعددة. وعن طريق الفينيقيين انتقل الاسم إلى الإغريق، وذكر في عدة مواضع من الإلياذة والأوديسة لهوميروس.

أما هيرودوت، فقد ذكر اسم ليبيا في عدة نصوص، غير أن الاسم كان يعني لديه قارة إفريقيا كلها. أما في العصر الروماني، فقد أخذ اسم ليبيا كما هو عند الإغريق لكن مدلول الاسم تقلص في أواخر هذا العصر، وأصبح يشمل برقة فقط وجزء صغيرا من الساحل الغربي لمصر. ينظر: محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، د ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 148.

[2] محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2003، ص 119.

[3] حاول البعض بخلفية اديولوجية وأحكام مسبقة الطعن في أصالة الكتابة اللوبية واعتبارها مجرد محاكاة لكتابات أخرى وأجهدوا أنفسهم في هذا المجال بحثا لها عن أصول فينيقية أو متوسطية عموماً وحتى يمنية، ومع أن خط تسلسل تطور

صحيفة يومية من صنع إنسان ما قبل التاريخ، دون فيها حياته الاجتماعية، ونشاطه اليومي، واستعمل رموز تتبع من أصول الفن الهندسي البربري القديم والمستخدم في زخرفة الفخار والوشم وبعض المنسوجات. وقد لوحظ استخدام الصليب، والنقاط والدوائر ومجموعة الخطوط مصحوبة برسم بعض الحيوانات في بعض الرسومات الجدارية ذات التقليد النيوليثي[1] إلى جانب رسوم صخرية أخرى جيدة التصميم مثل رسوم كاف الخراز التي تكشف عن احتمال الانتقال من الصورة (Figure) إلى الكتابة التصويرية (Pictogramme) على غرار الهيروغليفية المصرية والمسمارية في بلاد ما بين النهرين.[2] (ينظر الشكل رقم 01 ص)

غير أنه إذا كانت الرسوم الصخرية يؤرخ لها بالألف الرابعة ق.م فهل يمكن اعتبارها فعلا كتابة تصويرية ؟[3]

إذا نظرنا إلى مدى إتقانها فقد عبرت الرسوم الصخرية عن تسلسل عدة أفكار لدى إنسان ما قبل التاريخ وفجر التاريخ ، ولكن ما هي الطريقة التي تحولت بها إلى كتابة أو أبجدية؟ فهذا الذي لا يزال غامض لدى الباحثين في هذا الحقل المعرفي للغة وكتابة بلاد المغرب

التعبير الكتابي في المغرب القديم واضح، فمن الرسوم الصخرية بالطاسيلي إلى ما يعرف بالحجارة المكتوبة كمرحلة انتقالية إلى الألف باء الليبية أخيرا.

ينظر: محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 207.

[1] النيوليثي (Neolithic): العصر الحجري الحديث الفترة النهائية من عصور ما قبل التاريخ، تميزت بظهور الزراعة وتدجين الحيوانات حيث دخل الإنسان في مرحلة إنتاج القوت. ينظر: عبد الرزاق قراقب وعلي مطيط، حضارات ما قبل التاريخ (تونس والبلدان المغاربية)، ط1، دار أليف، تونس، 1993، ص 25.

[2] غابريال كامبس، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ ، (تر) و(تح) محمد العربي عقون، دط، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر،2010، ص326

[3] Jinette Aumassip, Trésor de L'Atlas, Entreprise Nationale du livre, Alger, 1986, P.16.

القديم حتى الآن، أما الفترة التاريخية التي تطورت فيها يحتمل أن تعود إلى الألف الأولى ق.م.[1]

ويبدو أن الفرضية وصلت إلى نتيجة تؤكد أن اللوبية تعود في أصولها الأولى إلى الكتابة التيفيناغية[2] وهنا نطرح السؤال الآتي ما علاقة الكتابتين اللوبية والتيفيناغية ببعضهما البعض



الشكل رقم 01: رسم صخري من الأطلس الأعلى عليه كتابة لوبية (أمازيغية قديمة)
نقلاً عن: كابريال كامبس، مرجع سابق، ص 326.

1 Ibid,P.102

2 تعني كلمة تيفيناغ في الأدب الترقي الرموز، والتيفيناغية كتابة طوارق الصحراء لازالت بقاياها موجودة إلى يومنا هذا في الصحراء الجزائرية، وقد اعتنى بها العلماء مثل: الدكتور أودني (Oudnye) الفرنسي وهو أول من تعرف على هذه الأبجدية، وشارل فكولد (Charles de Foucauld) بدارسة التيفيناغ منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين غير أن الإشكال لا يزال قائما حتى الآن بسبب غموض رموزها والأصوات التي تؤديها. ينظر: محمد المختار العرباوي، الكتابة البربرية اللوبية التيفيناغ ما حقيقتها؟، ط1، دار نقوش عربية، تونس، 2010، ص. ص (23– 24).

ب) علاقة الكتابة اللوبية بالكتابة التيفيناغية: بعد تتبع مراحل تطور هذه الكتابة اتضح أن الأبجدية اللوبية تشبه في أشكال حروفها الكتابة التيفيناغية، هذه الأخيرة التي ظلت متوارثة بفضل مجتمع الصحراء، حيث حفظت مخارج النطق التي تشبه إلى حد ما القيم الصوتية للحروف اللوبية، ويبدو أن الكتابة التيفيناغية تطورت في فترة سابقة، ولكن تعرضت بعض حروفها للتحريف أو أخذت قيما صوتية ومصطلحات جديدة بحسب التأثير المحلي[1] والدخيل عليها، وهذا أمر منطقي قد يمر على كل حضارات وثقافات العالم منذ ما قبل التاريخ حتى عصر الكتابة وإلى اليوم. (ينظر: الشكل رقم 02 ص)

وقد تم العثور على نقوش[2] تيفيناغية في العديد من المناطق التي عثر فيها على النقوش اللوبية في المغرب الأقصى، وفي التخوم الصحراوية الشمالية، وهذا ما يدعم فرضية أن تكون التيفيناغية مشتقة من اللوبية. (ينظر الشكل رقم 03 ص)

يضاف إلى ذلك ما أشار إليه الباحث ث.مونو (Th Monod) من أناشيد خاصة بدعاء إنجاء الأطفال مكتوب بحروف لوبية قديمة ضمن مشهد ذو صيغة جنسية من مشاهد الرسوم

---

[1] Salem Chakeret et Sléméne Hachi, A propos de L'origine de L'âge de écriture libyco-berbère, éd . Peeters, Paris, 2000, P.104.

[2] النقوش (épigraphies): جمع نقش وهو علم فك رموز وتفسير الكتابات القديمة المدونة على النصب الحجرية أو المعادن والأصداف والفخار ثم الخشب. وبذلك فإن تسمية نقوش تشمل كامل الكتابات التي كانت قد نقشت على الصخور والجدران، في حين تدخل الكتابات المنقوشة على العملة في باب علم المسكوكات (numismatique).أما تلك النقوش التي تدون على الرقوق (الجلود) والأوراق البردية، فتنسب إلى علم البرديات (papyrologie). وقد اشتقت تسمية علم النقوش من الكلمتين اليونانيتين (épi- grapho) بمعنى "أكتب على". ينظر: محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 13.

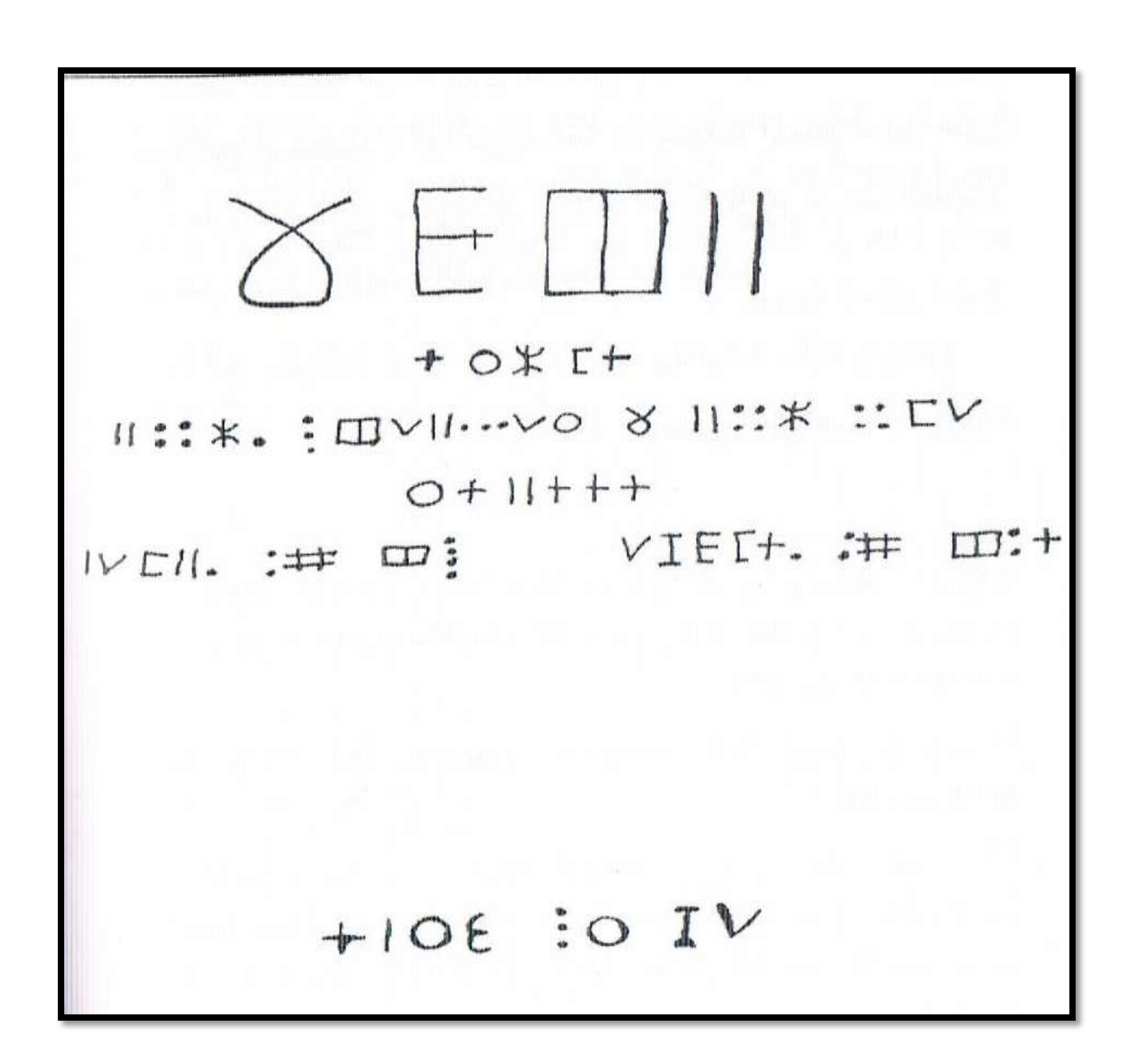
الصخرية في جبل (أهنات) في موقع (ترقرقة) الأثري الذي لا يبتعد كثيراً عن واحة جانيت.[1]

أ =
ب =
ت =
ج، العادية =
= تشبه الجيم المصرية، يسمّيها بعضهم "الكاف المعقودة" (كـ .
= جيم ذات صوت رخيم أو كاف معقودة ليّنة (كـ Ġ)
خ =
د =
ر =
ز =
= زاي مفخّمة، قريبة من الصاد (ز = ẓ)
س =
ش =
ض (d.) =
ط =
غ (R.) =
ف =
ق (K.) =
كـ =
ل =
م =
ن =
هـ (H) =
و =
ي =

الشكل رقم (02): أبجدية التفيناغ موضحة بالحروف العربية

نقلاً عن: محمد مختار العرباوي، الكتابة البربرية الوبية التيفيناغ ما حقيقتها؟ مرجع سابق، ص 38.

[1] إبراهيم العيدبشي، البنية الجغرافية والحضارية في الجنوب الشرقي الجزائري تاسيلي-الناجر نموذجاً، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية (2005-2006) ص. ص (327، 333).



الشكل رقم (03):نموذج من كتابة تيفيناغ

نقلاً عن: محمد المختار العرباوي، المرجع السابق، ص 40.

وقد كان تاريخ وجود التوارق ولهجاتهم غامضاً نوعاً ما، فقد ألف دي فوكو قاموساً مختصراً (طارقي– فرنسي) من الأسماء الخاصة بلهجة الهقار.

(Dictionnaire Abégée (Toureg Français) d' Nons propres dialecte de L'Ahaggar.)

نشره أندري جاسي سنة 1940، أشار إليه المؤرخ الجزائري أبو القاسم سعد الله قائلاً: "**ثم عاد إلى الجزائر ونسق نشاطه مع رجال لا فيجري –الآباء البيض– وأخذ في تعليم اللهجة الطارقية وأصدر معجماً عنها. وكان تجول في الصحراء مستكشفاً وليس كرجل دين....وكان الجنرال لابرين يدرك مدى معرفة دي فوكو لعادات الصحراويين ولهجة الطوارق وقدرته على كسب النفوذ لفرنسا وكتب عدة مؤلفات عن مجتمع الأهقار ولغته.**"[1]

ومع ذلك نجد عدداً كثيرا من الكتاب مثل: كابريال كامبس[2] يقرون أن الألف باء اللوبية ما هي إلا نسخة من كتابات الحضارات الشرقية.[3]

ويستند علماء اللغة على أن أصل كلمة تيفيناغ مشتقة من الجذر (ف ن ق) وتعني في اللغة السامية القديمة الفينيقيات، وبالتالي فأصل الكتابة اللوبية من الكتابات السامية، ولكن حتى صاحب هذه الفكرة سالم شاكر يعتبر بأنه من الصعب إيجاد فك صحيح لرموزها أو الجزم

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط ، ج6: دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990، ص 133.

[2] كابريال كامبس: هو أحد الباحثين الفرنسيين الذين اهتموا بدراسة فجر التاريخ وبداية الفترة التاريخية في شمال أفريقيا.

[3] هذا اعتراف مهم لغابريال كامبس ومع ذلك، فإن هذا الأخير لا يختلف كثيراً عن هؤلاء الكتاب الذين ينتقدهم، ومنذ السطور الأولى في كتابه انطلق من هذه النتيجة رغم أنه قياسا مع الآخرين أقل تشويهاً. ينظر: غابريال كامبس المرجع السابق، ص 324.

بأصلها السامي، كون دراساته من الدراسات المقارنة مع اللهجات الأمازيغية الحديثة.[1] وهذا الموضوع يحتاج إلى مصدرية دقيقة ونتائج موضوعية تعتمد على المنهج العلمي الحقيقي.

ج) الأصل السامي للكتاب اللوبية: أما الفرضية الأكثر انتشارا حسب ما اطلعت عليه في المصادر والمراجع التي تحصلت عليها في بحثي هذا مفادها: أن أصل الأبجدية اللوبية هو الأصل السامي، ويستدل على ذلك من النصوص المزدوجة والأسطر الأفقية وعدد حروفها ثلاث وعشرون حرفاً وأن حروفها ساكنة.[2]

وتعتبر هذه الفرضية من أدق الفرضيات حسب اطلاعي، حيث أكد بعض المؤرخين أن اختراع الكتابة اللوبية يعود إلى احتكاك النوميديين بالقرطاجيين مما جعلهم يخترعون كتابة خاصة تحاكي الكتابة البونية والبونية الجديدة، وهما المتطورتان عن الكتابة الفينيقية ذات الأصول السامية. ويعلل أصحاب هذا الرأي فكرتهم بتواجد معظم النقوش النوميدية في المناطق التي تأثرت بالحضارة البونية شمال تونس الحالية و شرقي الجزائر.[3]

وقد أجريت دراسات معاصرة توصل من خلالها باحثون في مجال اللغة والكتابة اللوبية مثل: جوزيف هالفي[4] وفيكتور روبو[5] وغيرهما إلى أن اللغة اللوبية مشتقة من جذور سامية، معتمدين في ذلك على سلسلة من البحوث الفيلولوجية. وقد واصل البحث في ذلك العالم

---

[1] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 120.

[2] Salem Chaker, Les études de linguistique Berbère pendant la période Coloniale, libyca, Tomes (30-31), (1982-1983), P. 218.

[3] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 120.

[4] جوزيف هالفي (J.Halévy) : قام بدراسة مستفيضة لأكثر من مائتين وخمسون نقشا تضمنه كتابه "دراسات بربرية (Des études bérbères)" استخدم هالفي طريقة المقارنة بين رموز الأحرف اللوبية ورموز بعض الكتابات السامية. ينظر مها العيساوي، النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، ط1، جسور النشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 32.

[5] فيكتور ريبو : اهتم بموضوع اللغة والكتابة اللوبية – بالرغم من أنه كان طبيبا – حيث قام بدراسة إحصائية للمقابر اللوبية وذلك بالتعاون مع الجنرال فيدراب قائد الناحية العسكرية في مدينة عنابة، فأحصيا حوالي 186 نقشا، ودرساها دراسة وصفية ضمنت في فهرس كامل، وهي التي استعان بها شابو فيما بعد عندما وضع كتابه حول النقوش اللوبية (RIL). ينظر: مها العيساوي، المرجع نفسه، ص 75.

الألماني أوتوروسلر، وتوصل إلى نتيجة مفادها أن: " **اللغة النوميدية لغة سامية، انفصلت عن اللغات السامية الأخرى في الشرق في مرحلة مغرقة في القدم، ثم تطورت بعد ذلك في اتجاه خاص جعلها تبدو مختلفة عن باقي اللغات السامية** ".[1]

ويعتمد الآخذون بالأصل السامي على طابع الحروف المتحركة والتشابه الخفيف بين بعض كتابات جنوب شبه الجزيرة العربية والكتابة اللوبية، على أن الكتابة السامية الوحيدة التي يمكن أن يكون المغاربة قد عرفوها هي الكتابة البونيقية[2]. (ينظر الشكل رقم 04)

غير أنه من خلال دراسة الأبجديتين ومقارنتهما ببعضهما البعض من قبل الباحثين، يلاحظ أن الأبجدية اللوبية لها خصائصها القائمة بذاتها، وشكل الحروف بعيد عن الحروف البونيقية. فالكتابة البونيقية تتميز حروفها بالشكل المقوس والحلزوني، أما الحروف اللوبية فهي مستقيمة أو مقرنة.[3]

---

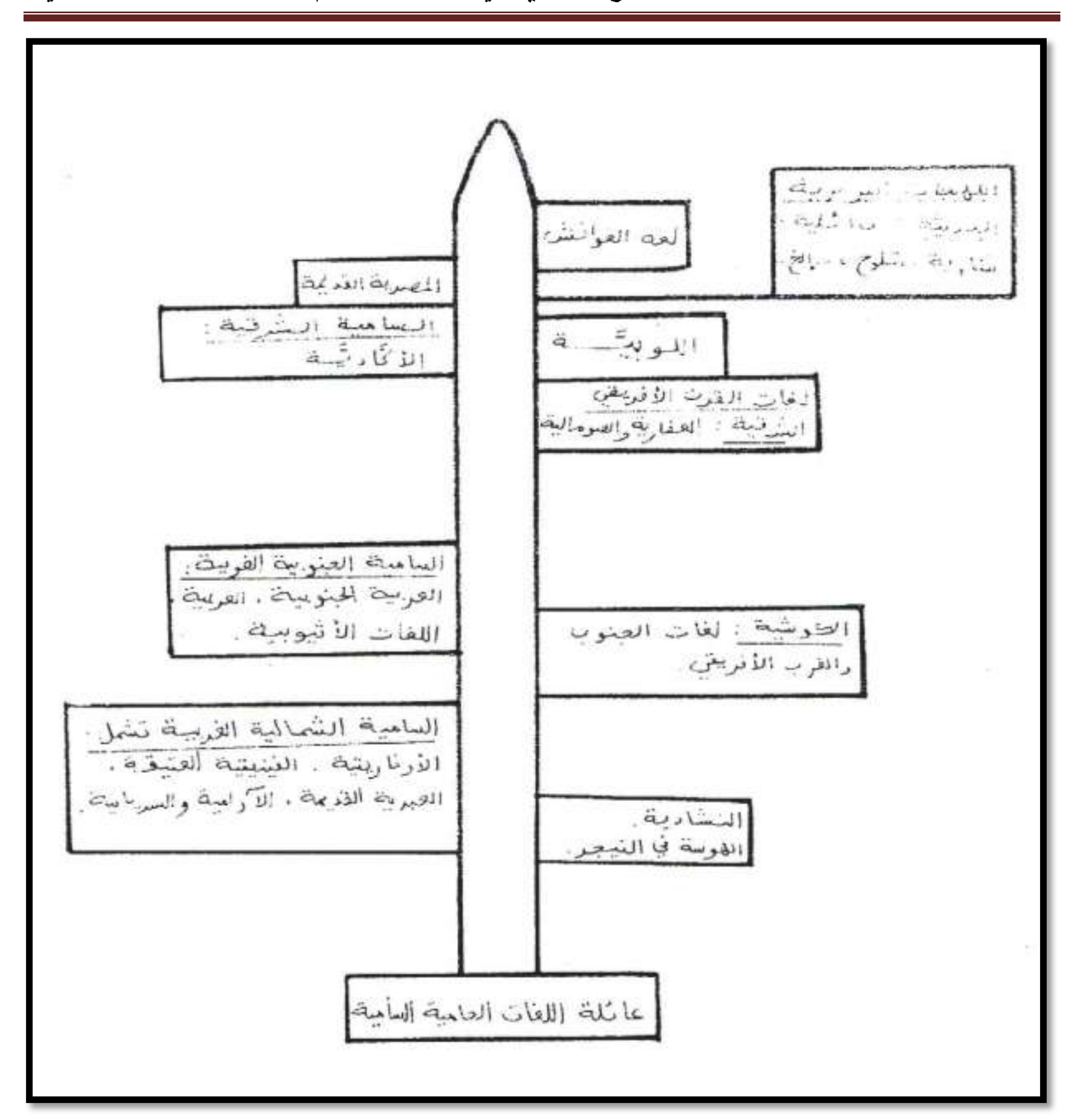
1 Otto Rossler, Die Numider, Herkunft, Schift, Sparch, p.33.

وتكمن أهمية هذا التصنيف لأنه جعل سكان بلاد المغرب والعرب منتسبين إلى أصل واحد، ويعتبر هذا أول تصدي يسجل ضد المدرسة التاريخية الاستعمارية على صعيد المعرفة، وأول خطوة في دحض المعلومات المغلوطة التى تحولت لدى المثقفين الغارقين في حمأة الاستعمار الثقافي إلى قناعات ثابتة. ينظر: محمد الختار العرباوي، اللغة البربرية لغة عربية قديمة، ط1، دار نقوش عربية، تونس، 2012، ص 12.

2 غبريال كامبس، المرجع السابق، ص 324

وقد رأى بعض المحققون أنها حامية الأصول، ومتأثرة بالسامية تأثيراً بارزا (هذا بالطبع إذا صحت هذه التقسيمات التوراتية التقليدية للتراث الإنساني على أنه لا يخرج من حدود ثلاث أسس: سامية وحامية ويافثية) وما يعزز هذا الرأي هو قربها الواضح من اللغة المصرية القديمة، كما أن أبجديتها تلتقي في كثير من الأحيان مع الأبجدية العربية القديمة المعروفة بالمسند، بفروعها الثمودية، واللحيانية، والصفائية. ينظر: محمد المختار العرباوي، اللغة البربرية لغة عربية قديمة، ط1، دار نقوش عربية، تونس، 2012، ص 11.

3 James Février, Histoire de l'écriture, éd . payot, Paris, 1959, P.324.



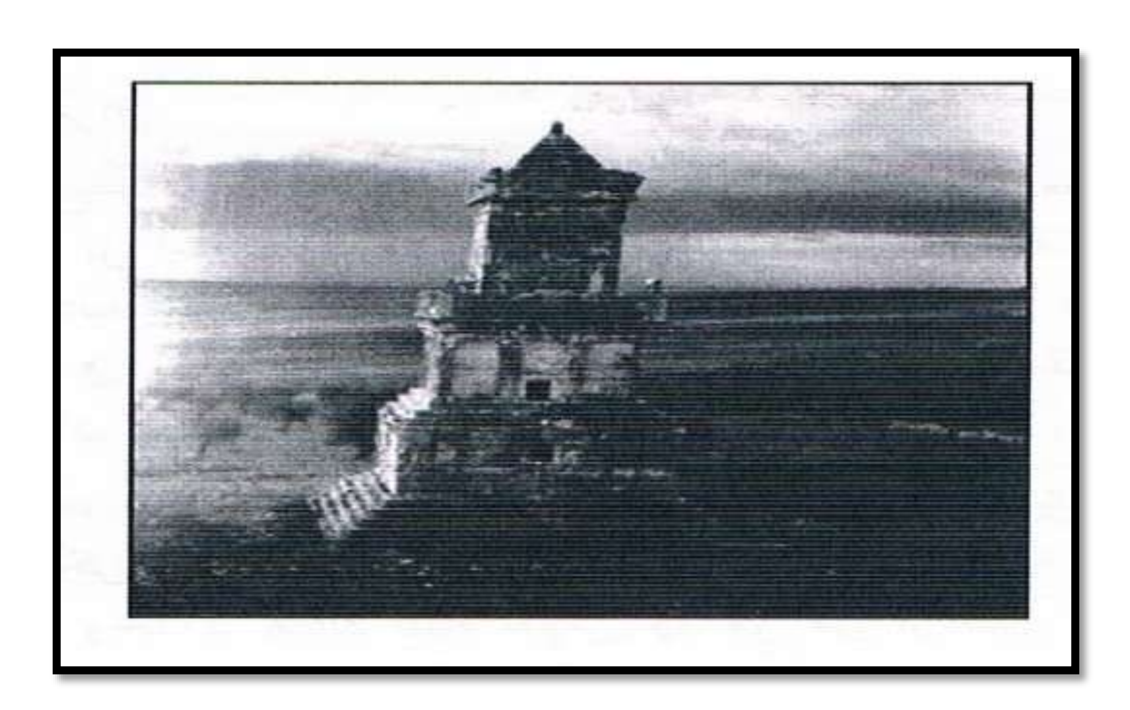
الشكل رقم (04): شجرة اللغات الحامية السامية

نقلاً عن: محمد المختار العرباوي، اللغة البربرية لغة عربية قديمة، المرجع السابق، ص 17.

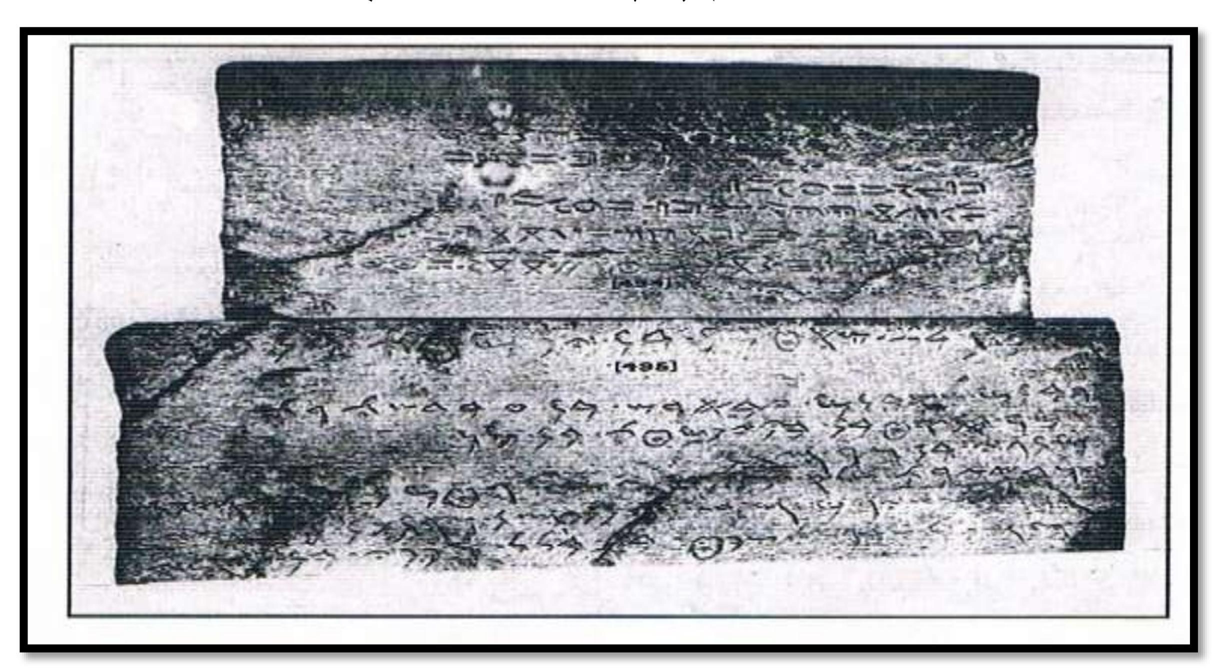
أما فرضية ليدزبارسكي التي تريد ربط الكتابة اللوبية بالبونية الجديدة، فإنها لا تلقى قبولاً من قبل الباحثين في الموضوع لأن أحد النقوش اللوبية المؤرخة، وهو النص الإهدائي في معبد ماسينيسا بدوقة (139ق.م) يعود إلى فترة قبل ظهور الكتابة البونية الجديدة المنبثقة من الكتابة البونية الأولى، ولأن هذا النص النقوشي اللوبي ذاته كتب أفقيا فهو مصنف ضمن النصوص الحديثة وليس القديمة، ومن حسن الحظ أن الوضع الأقدم هو الوضع العمودي، وهذا دليل على أن الكتابة اللوبية عرفت منذ سنة 139 ق.م بعض التطور بعد احتكاكها بالكتابة البونية ولكن حسب الباحثين، فإن نص دوقة النقوشي استثنائي من خلال طوله أو من خلال مضمون الكتابة لذلك يصعب أن نقيم على أساس نموذج أصلي نصوصاً مختلفة كثيراً عن باقي النصوص النقوشية اللوبية.[1] وبالرغم من ذلك فلا يمكن نكران أن النوميديين أخذوا عن القرطاجيين فكرة الأبجدية ذات الأحرف الساكنة واقتبسوا منها ما يناسب لغتهم، وطوروها حسب مفاهيم خاصة بهم. (ينظر الشكلين رقم 05 و06 ص).

علاوة على هذه الآراء التي تعرضت لها آنفا في هذا الفصل، فإن هناك من يعتقد أن سبب ظهور رموز الكتابة اللوبية يعود إلى ظروف داخلية أملتها على المغاربة مرحلة الانفتاح التي عاشوها في ظل الحضارتين البونية واللاتينية، ولذلك كان عليهم أن يخترعوا رموزاً كتابية تفرد شخصيتهم عن الدخلاء عليهم من الخارج، وهذا رأي يحتاج إلى دراسة عميقة موثقة، ويعتبر هذا كرد فعل على سياسة الرومنة المنتهجة من قبل المحتلين في بلاد المغرب القديم.[2]

[1] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 324.
[2] محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 120.



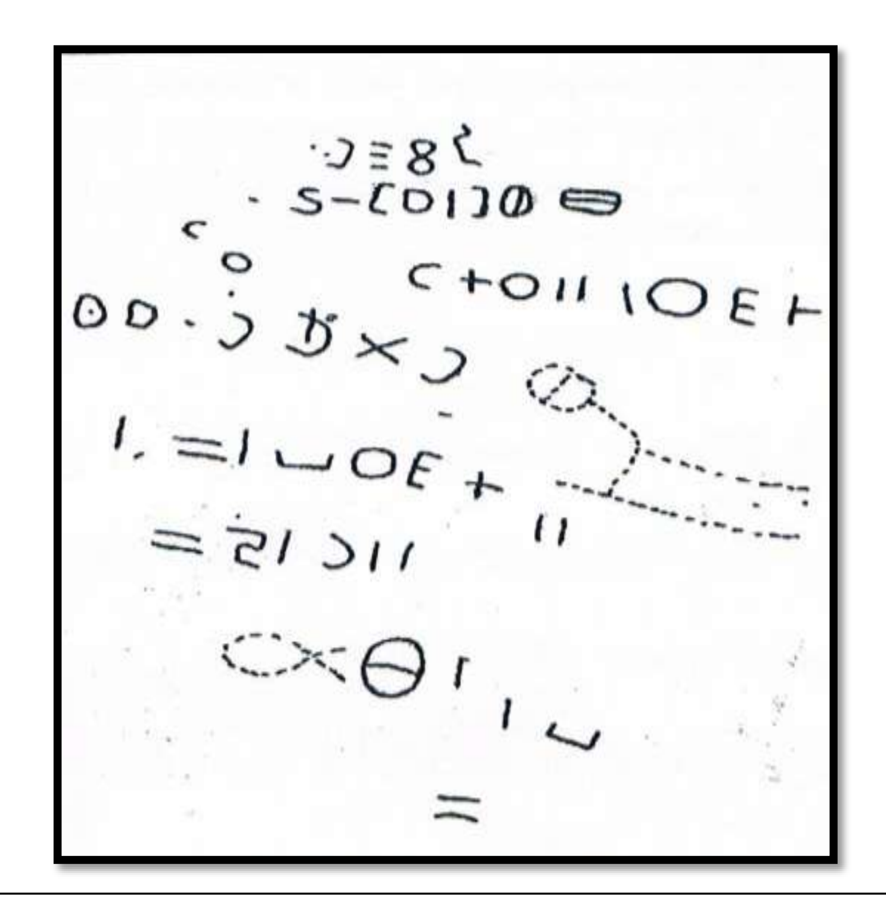
الشكل رقم (05): معبد دوقة الأثري



الشكل رقم (06): نقش دوقة الأثري مزدوج اللغة (اللوبية-البونية) والذي وجد معلقاً على جدران معبدها تخليداً لذكرى ماسينيسا.

نقلاً عن: محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج ج2،ط1، دار الهدى لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001،ص 215.

علاقة الكتابة اللوبية بشبه جزيرة إيبيريا: لاتزال فرضية علاقة نقوش جرز الكناري بالنقوش اللوبية تحتاج إلى التركيز عند دراستها، حيث لوحظ أن سكان جزر الكناري، قد استخدموا رموز كتابية لها قرابة بالرموز اللوبية، وأبجدية جنوب غرب اسبانيا والتي يرجع وجودها إلى ما قبل سنة مائتي ق.م لها بعض أوجه الشبه بالأبجدية اللوبية، وهناك احتمال أن تكون قد حدثت هجرة من سكان بلاد المغرب إلى هذه الجزر، ويستدل على ذلك بالعادات الموجودة –لحد الآن– ذات الأصول اللوبية بالإضافة إلى الفخريات وطريقة صناعتها.[1] (ينظر الشكل رقم 07 ص)



الشكل رقم (07): نقوش جزر الكناري.

نقلاً عن: Mansour-Vinetnt, OP, Cit, P.64.

[1] Mansour- Vincent, Monteil, Les Berbères aux canaris, Encyclopédie Berbère, Tome II, éd, ESIDUE, Aix-en-Provence, paris, 1984, P.61.

وقد تم العثور على اكتشافات جديدة بالمغرب الأقصى في الأطلس الأعلى، وهي عبارة عن رموز كتابية وضعت عمودية على بقايا عظيمة آدمية مرسومة على صخور الأوركيمان، ويرجع هذا الرسم من خلال شكله إلى مجموعة الرسومات الجدارية للأطلس الأعلى المنسوبة إلى عصر البرونز.

ويرى كامبس أن العلاقات القديمة بين المغرب الغربي وشبه جزيرة أيبيريا، قد ساهمت في تكوين الكتابات اللوبية وكتابة جزر الكناري وجنوب غرب اسبانيا،[1] غير أنه يمكن الرد على ما جاء به كامبس بالقول: أن الكتابة اللوبية هي التي ساهمت في تكوين الكتابات الكنارية، وجنوب غرب اسبانيا وليس العكس، ومن المعروف كذلك أن جزر الكناري كانت بمثابة ملجأ وجد بأقصى الغرب، لجأت إليه شعوب المغرب القديم تحت التأثيرات الخارجية والموجات البشرية الآتية من الشرق منذ العهد الحجري القديم الأعلى.[2] لكن في نفس الوقت يناقض كامبس نفسه بنفسه عندما يقول " **ليس نسخاً مذلاً عن النموذج البوني ولا خلقا انطلاقاً من الصفر أوحى به خيال ملك، الكتابة الليبية بكل وضوح كتابة أهلية.**"[3]

ومهما كانت تلك الافتراضات، فإن أصل الكتابة اللوبية لا يزال يحتاج إلى أبحاث عميقة يكون هدفها إنارة الطريق أمام الباحثين في هذا الميدان، حيث يعتبر المهتمون والمختصون بجمع وتدوين مفردات اللغة الأمازيغية الحالية قليلون، خاصة وأن الموضوع كان إلى الوقت القريب من المحرمات السياسية، أما الهواة والجامعيون فليس لهم في الغالب الكفاءات الضرورية لخوض هذا الموضوع، خاصة إذا علمنا أن الأبجدية اللوبية تتكون من

---

[1] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 327.

[2] فتيحة فرحاتي ، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني 213 ق.م- 46 ق.م، الجزائر، منشورات أبيك، 2007، ص 320.

[3] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 327.

الحروف المتحركة (Consonantique) وهو ما يزيد في تعقيد قراءتهاوفك رموزها وفهمها والبحث بها في تاريخ المغرب القديم .[1]

ثانياً: اشكالية اللغة والكتابة اللوبية: تحدث سكان بلاد المغرب لغة تطورت عن اللغة القديمة الشفهية التي ظهرت منذ بداية الفترة التاريخية، واصطلح عليها المؤرخون باللغة اللوبية، وقد كتبت في بداية الأمر بحروف فينيقية ثم حاكت البونية والبونية الجديدة، لتستقل بأصواتها ومعانيها.

أ) اللغة اللوبية: تدل اللغة على الأصوات المنطوقة التي تكون كلمات وجملا، وهي أداة تعبير عن المشاعر والأحاسيس والأفكار والتواصل بين الأفراد والمجتمعات، وهي منظومة نحوية صرفية قبل كل شيء، لأن المفردات تظهر وتزول من عصر إلى آخر أمّا المنظومة النحوية الصرفية الإعراب، الضمائر، الأزمنة، الأفعال فهي التي تستمر كقواعد للنطق والكتابة وقد قسمت من قبل اللغويين المختصين إلى أسر حسب اشتقاقها و تفرعاتها عن بعضها البعض، ويستنتج هذا التفرع من التقارب الذي يظهر في منظومة النحو والصرف.[2]

أطلق الباحثون في مجال اللسانيات السامية على اللغة اللوبية[3] تعريف على أنها تلك الأصوات والكلام الذي تداوله المجتمع المغاربي القديم منذ الألف الأولى ق.م أي منذ وجوده في صورته القبلية البسيطة، وقد اتضحت معالم تلك اللغة في مرحلة حكم أسرة شيشنق[4] كما

[1] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 204.

[2] المرجع نفسه، ص 206.

[3] إن مختلف خصائص ومزايا اللغة الإنسانية التي وضعها علماء اللغة واللسانيات كمقاييس لتحديد أي لغة ضمن قائمة اللغات العالمية القديمة الميتة والحديثة الحية لتنطبق على اللغة اللوبية. ينظر: سالم لبيض، الأقلية البربرية في تونس، ط1، المركز العربي للدراسات السياسية والاجتماعية، 2011، ص.ص (35- 36)

[4] يعتبر شيشنق مؤسس الأسرة الثانية والعشرين (950 – 929 ق.م)، وأهم ملك في نظام السلطة اللوبية التي سيطرت على مصر القديمة خلال الألف الأولى قبل الميلاد، في مرحلة العصر الانتقالي الثالث. على مدى قرنين استطاع سكان بلاد المغرب القديم أن ينعموا بتحقيق هدفهم في الاستيطان في الربوع المصرية، مما أدى إلى احتكاك اللوبيين الطويل بالثقافة المصرية. ينظر: سليم حسن، مصر القديمة، ج9 – نهاية الأسرة الواحد والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية

تكلمت بها القبائل المنتشرة على طول المستوطنات الفينيقية في غربي المتوسط والتي جمعتها مع الفينيقيين علاقات تجارية.[1]

والملاحظ أن الباحثين عندما أطلقوا تسمية "اللوبية" على نوع اللغات التي تكلمها السكان الأصليون ببلاد المغرب القديم، قد أهملوا تمييز الفترات التاريخية التي ظهرت خلالها، ومن ثمة فإن المقياس التاريخي لهذه التسمية ينطبق على الفترة المحصورة بين القرن الثامن ق.م والقرن الرابع ق.م، أما تسميتها باللغة النوميدية فينطبق على فترة الممالك المحلية سواء النوميدية أو المورية.

وعليه فإنه يمكن القول بأن تسمية اللغة اللوبية تتوافق ومصطلح المجتمع اللوبي، أما اللغة النوميدية فتتوافق مع المجتمع النوميدي، وفي حقيقتها فهي لغة واحدة استمرت مع المجتمعين.[2]

وقد اعتمد سكان بلاد المغرب القديم على المشافهة، وفي هذا الصدد يقول الباحث باسي (BASSET): أن المعلومات قليلة جداً عن اللغة اللوبية، وذلك لأنها لغة لم تكن رسمية مثل: البونية أو اللاتينية، ويمكن بواسطتها تسجيل المعلومات أو الآداب اللوبية مشافهة عن طريق التوارث، وبالرغم أن اللغة اللوبية كانت معاصرة للغات متطورة مثل: الفرعونية واللاتينية اللتين كانتا تتمتعان بالحماية في كنف القوة السياسية لدولهما ومع ذلك اندثرتا من الوجود وكأنهما ارتبطتا بالنظام، بينما استمرت اللغة اللوبية التي فقدت السند السياسي منذ زوال المملكة النوميدية، وفي هذا المجال استخلص الدارسون أن لهجات اللغة اللوبية المستمرة إلى

العهد الإثيوبي ولمحة عن تاريخ العبرانيين- ط1، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، ص 75. متاح على الرابط: www.bibalex.org.

[1] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية 2011- 2012، ص 225.

[2] المرجع نفسه، ص 325.

الآن وجدت سندها في العائلة والتضاريس الجغرافية ولذلك استمرت في المناطق الجبلية بوجه خاص ولم تتأثر بالغزوات التي حلت ببلاد المغرب عبر التاريخ.[1]

ويبدو أن العزلة واتساع الرقعة الجغرافية لبلاد المغرب قد تسببت في ظهور لهجات،[2] لكل منها خصوصياتها، رغم أنها تنحدر جميعها من اللغة اللوبية، والتنوع اللهجي ليس نقصا أو عشوائية في التعبير، وإنما النظام اللغوي عند المجتمعات الصغيرة الفرعية مبني دائما على التقابل والتباين والاختلاف وللعوامل الجغرافية دائما أثرها الواضح في ذلك.[3]

والحقيقة أن معلومات المتوفرة عن ظهور تلك اللهجات قليلة، وقد نتساءل هل هي قديمة منذ الفترة الرومانية؟ أم هي أحدث؟ والحق أن أهم هذه اللهجات المستمرة حتى الآن هي:

1- السيوية:وهي لهجة واحة سيوة قرب الحدود المصرية الليبية، حيث كانت تلك الواحات بوابة بلاد المغرب من الجهة الشرقية.

2- النفوسية:وهي لهجة جبل نفوسة ومدينة زوارة الليبية وجزيرة جربة بتونس.

3- ورغمة: لهجة أمازيغية انتشرت في عدة جهات بتونس وهي في طريق الانقراض.

4- الزناتية: وتنتمي إليها لهجة الظهرة من تيبازة إلى مستغانم والشاوية في الشرق الجزائري، والميزابية في واحات غرداية وورقلة، والزناتية في الونشريس، وقلعة السند (تونس) وواحات تيميمون وقورارة وكذا لهجة ناحية تلسمان (بني سوس والغزاوت).

5- لهجة كتامة: أو القبائل الصغرى تنتشر هذه اللهجة في المنطقة الساحلية ما بين مدينتي سكيكدة وجيجل.

---

[1] محمد العربي العقون، المرجع السابق، ص 207.

[2] كثيرا ما يقع الخلط في موضوع اللغة واللهجة ولذلك لابد من توضيح هذه المسألة، فاللهجة هي: الطريقة التي تنطق بها لغة ما في إقليم أو مدينة أو مجتمع محلي، وهي مشتقة من اللغة، ولكن لا تتقيد بقواعد النحو والصرف وفيها تصحيف الكلمات وقلب الحروف ولذلك يجد الباحث عدة لهجات في اللغة الواحدة كاللغة العربية، التي تختلف لهجاتها من بلد إلى آخر، والحال أن أية لغة كانت في البداية لهجة ثم تطورت إلى لغة بقواعدها. ينظر: المرجع نفسه، ص 206.

[3] خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000، ص. ص(47،55).

6-الصنهاجية: وهي لهجة زواوة قبل جرجرة وكذلك لهجة التوارق في الجنوب.

7-الصمودية: تنتشر في المغرب الأقصى ومنها اللهجة الشلحية.[1]

وتنوع هذه اللهجات يعود للغة واحدة في منظومتها النحوية والصرفية، فقد كان اللوبيون يتكلمون هذه اللغة كما تحدثت عن ذلك النصوص التاريخية .

وبالرغم من الاختلاف الملحوظ في نطق المفردات فإنها تبرز محليتها ووحدتها من خلال قرائن عديدة كأسماء المواقع الجغرافية التي تعود في أصلها إلى ما قبل الوجود البوني، مثل: ما ذكرته المصادر القديمة عن القبائل اللوبية وأسماء الأعلام.[2]

ويذكر الجنرال فيدراب[3] أن القديس أغسطين (354-430 م) قد تحدث عن لغة مشتركة للقبائل المحلية، ولكنه لم يستطع تحديد طبيعة تلك اللغة التي ظلت عنده محاطة بالغموض، فأطلق عليها اسم اللغة لا اللوبية، ولكن هل كان في زمن القديس أغسطين خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين ما يشير إلى أنها تسمى بالكتابة أو باللغة اللوبية؟[4]

وقد اعتقد الجنرال فيدراب أن القس فولجانسيوس (Fulgensius)[5] وهو المواطن الروماني الذي عاصر زمن الدخول الوندالي إلى المغرب القديم كان أكثر تركيزاً في دراسته على الحياة الثقافية للأهالي، وبذلك كان أول من سماها باللغة والكتابة اللوبية.[1]

---

[1] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص. ص (207- 208).

[2] Salem Chaker, La situation linguistique dans le Maghreb antique, libyca, Tomes : (28,29), 1980,1981, P.173.

[3] وهو أحد الضباط العسكريين الفرنسيين المتخصصين في دراسة النقوش.

[4] Faidherbe, Collection complète des inscriptions Numidiques, Librairie, Franck, Paris, 1870, P.12.

[5] القس فولجانسيوس: هو فابيوس كلاوديوس جورديانوس، يعد من آباء الكنسية الكاثوليكية في المغرب القديم خلال القرن الخامس للميلاد، ولد سنة 458م في لبتيس (فريانة بتونس) من عائلة أرستقراطية، درس اليونانية واللاتينية، عين ملاحظاً لجباية الضرائب في إقليم المزاق، زار خلال ذلك الأديرة التي أسسها القديس أوغسطينوس ووقف عن كثب حول الممارسات الدوناتية والثورة الاجتماعية المعروفة بالدوارين، وعاش مع النوميديين وكتب عن عاداتهم وديانتهم، ثم تفرغ للعبادة إذ كان

وفي دراسة مقارنة لاحظ المتخصصون أن هيمنة اللغات المتطورة جعل اللغة اللوبية واللهجات المنحدرة منها تدمج مفردات تلك اللغة ضمن مفرداتها وتخضعها لقواعد النحو والصرف اللوبي لتركيب لغة عملية تساير الواقع، ومع أن هذا الوضع جعل بعض المفردات البونية واللاتينية تتسرب إلى اللغة اللوبية وتندمج فيها.

ومع ذلك فإن المفردات اللوبية تسربت هي الأخرى إلى اللغات القديمة التي جاء بها الغزاة، فقد نقل الكتاب القدامى عدداً من المفردات التي أخذت من اللوبيين وأخضعوها لقواعد إعراب اللغات التي كتبوا بها إغريقية ولاتينية وقد أحصى منها المؤرخ غزال[2] حوالي خمسة عشر كلمة،

ثم خلص بعد تعمقه في الموضوع إلى أن استئناس الباحثين المتخصصين بلهجات اللغة الأمازيغية قد يفيد في دراسة لغة السكان المغاربة واكتشاف معاني الكثير من الأعلام: الجغرافية والشخصية المغاربية.[3]

إن ندرة النصوص القديمة التي تتناول تاريخ اللغة اللوبية ومفردتها في المصادر الكتابية، وتردد المؤرخين القدامى في دراستها، والظروف الاستعمارية التي مر بها المغرب القديم، بالإضافة إلى اقتصار معظم الشواهد الأثرية على الجانب الديني قد جعل الباحثين الذين يحاولون التصدي للبحث في هذا العنصر الأساسي من عناصر الحضارة اللوبية يعانون من شحة المادة المعرفية والخوف من الخوض في هذا الموضوع الهام والخطير في نفس

مرهف الحس، أصبح أسقف روسبي ، وترك مؤلفات كثيرة منها كتاب حول تجسيد المسيح والرد على شبهات الدوناتية، وكان انتاجه غزير وعلى نهج أوغسطينوس. ينظر: Louis-Antoine Augustin Pavy, Les Saints de L'Algérie, Imp. Marc Aurel éditeurs, Valence, 1857, P.P.(43 - 48)

1 Faidherbe Op-Cit .P.12.

2 ستيفان غزال (S.Gsell): مؤرخ وعالم أثري قديم ولد بباريس سنة 1864، ألف عدة كتب أشهرها تاريخ شمال إفريقيا القديم في ثمانية أجزاء جمع فيها معلومات ثمينة عن تاريخ بلاد المغرب القديم قبل الإسلام، وهو يعد من أنفس ما سجله المؤلفون الأوروبيون عن تاريخ شمال إفريقيا.

3 Stéphane Gsell, H.A.A.N, T :I, librairie Hachette, Paris, 1913.1927. p.316.

الوقت، خاصة بعد محاولات المستعمر الفرنسي التفرقة بين سكان المغرب من مصر إلى المحيط الأطلسي.

كل هذا أثر في تعميق المعارف حول ما يتعلق بالمستوى اللغوي عند أفراد المجتمع النوميدي، ومدى تعامل أبنائه بها في الساحة الثقافية النوميدية التي كانت تعج –آنذاك– باللغات المتوسطة كاللغة البونية واللغة اليونانية واللاتينية والفينيقية وحتى المصرية.[1]

ويظهر من خلال اطلاعي على المصادر والمراجع أن اللغة اللوبية، كانت لغة محلية تكلمها سكان المغرب القديم منذ فترة قريبة نوعا ما، ولكن يرجح أنها ظهرت خلال الألف الأولى ق.م أي إلى الفترة التي بدأ الفينيقيون يستوطنون ربوع المغرب القديم وينشرون فيه حضارتهم بين سكان المنطقة وتعاقبت لغات وكتابات كثيرة حيث استخدمت اللغة البونية كلغة رسمية خلال الفترة القرطاجية.[2]

وبحكم تبني أسرة الملك ماسينيسا الحاكمة للثقافة الهلينية، فإن اللغتين البونية واليونانية، كانتا لغتان لهما مكانة مرموقة في المملكة النوميدية[3]، وإذا كانت البونية هي لغة الطبقة الثرية في المجتمع النوميدي، واليونانية لغة الطبقة المتهلينة، فإن اللغة اللوبية كانت

---

[1] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 331.

[2] S,Chaker, OP, cit, P. 173.

[3] نوميديا: لقد عرفت في كتابات المؤرخين القدماء بأسماء عديدة اختلفت في تسميتها المصادر الإغريقية واللاتينية، ففي المصادر الإغريقية كان اسم نوميديا اسما وصفيا يعني نمطا في الحياة ينطبق على البدو الرحل.
أما المصادر اللاتينية، فقد أطلقت اسم (Numidae) على سكان شمال إفريقيا إبان حروبهم مع قرطاجة التي عرفت بالحروب البونية وجرت أحداثها إلى غاية القرن الثاني قبل الميلاد، وقد اختلف المؤرخون في تحديد المنطقة التي تسمى بنوميديا. فعند ديودور الصقلي: النوميديون هم قوم عاشوا في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد في جزء كبير من ليبيا يمتد حتى الصحراء. أما بوليبيوس: فقد أطلق تسمية نوميديون على سكان شمال إفريقيا عامة في المنطقة الممتدة من ليبيا حتى المغرب الأقصى. ينظر: غايوس كريسبوس سالوستيوس، حرب يوغرطة، (تر) و (تح) محمد العربي عقون، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 44.

لغة عامة المجتمع النوميدي باختلاف أصواتها ونطقها من قبيلة إلى أخرى في المدن الداخلية والقرى.

وهكذا احترم النوميديون لغتهم واعتزوا بها،[1] بصفتها جزء من شخصيتهم وحضارتهم رغم منافسة اللغات الأجنبية لها من: فينيقية وبونية ولاتينية.

وبما أن اللغة تتأثر بالوضع السياسي، فإنها قد ازدهرت في عهد الممالك المحلية المستقرة كعهد الملك ماسينيسا ومن جاء بعده من ورثة العرش النوميدي، وفي المقابل فإن الضعف قد ظهر في استخدام اللغة اللوبية خلال القرن الأول ق.م وذلك بسبب منافسة اللغة اللاتينية لها بفعل الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم، وتحكم روما في البلاد وممارستها لسياسة الرومنة وتهديم الحضارة النوميدية ذات الصلة بالمجتمع المغاربي.

ومن ثمة أصبح الوضع اللغوي متباينا في بلاد المغرب وحلت تلك اللغات الواردة محل اللغة والكتابة المحلية اللوبية، في بعض المناطق التي كان فيها حضور الوجود الأجنبي قوياً.

أما في مناطق أخرى، فقد تعايشت الكتابة واللغة اللوبية معها، إذ أننا لا ننكر أن اللغة البونية واللغة اللاتينية أنتجتا كتابة على مستوى عال في الوضوح والمستوى لتفرض نفسها على اللغة المحلية، التي أصبحت محصورة التداول بين سكان المدن والقرى ذات المنشأ اللوبي، واقتصرت عملية تدوينها في المناطق الداخلية على احتياجات دينية.

وهكذا حدث التناوب اللغوي فهيمنت الكتابة البونية في مناطق والكتابة اللوبية في مناطق أخرى من بلاد المغرب القديم.[2]

والحقيقة فإن اللغة تظل قوية عبر العصور إذا توفر لها سند ثقافي وسياسي وديني، وقد تضعف اللغة ولا تستمر في الوجود إذا فقدت ذلك السند الذي ذكرناه سلفا.

---

[1] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 331.

[2] S.Chaker, op, cit, P. 173.

وخلاصة لما سبق يمكن القول أن اللغة اللوبية هي أصل اللهجات الأمازيغية المعاصرة، وقد أجمع جل علماء اللغة على أن أصلها من العائلة الحامية السامية (chamito – Sémitique) ، وكانت لغة مختلف القبائل اللوبية في بلاد المغرب القديم.

ب) **الكتابة اللوبية:** تعرف الكتابة اللوبية أيضاً بالكتابة النوميدية،[1] حيث كانت مستخدمة من قبل النوميديين والموريتانيين.

وهي كتابة صوتية وليست مقطعية كما هو الحال في الكثير من الكتابات القديمة،[2] وقد أكد ذلك القس فولجانسيوس (Fulgensius) وكان أول من أشار إلى أن الكتابة اللوبية أبجدية وليست رموزا، وقد كانت كتابة متكونة من ثلاثة وعشرون حرفا، كلها أحرف صامتة ولا تحتوي على حروف متحركة.

وقد عثر على كتابة مستخدمة في شواهد نذرية[3] تدل على أنها أبجدية ذات هدف واحد مسخرة للنوع الجنائزي، ومن ثمة فإن الكتابة اللوبية هي تلك الرموز المدونة التي وضعها سكان بلاد لوبة للتعبير عن لغتهم المحلية، وتتميز بطبيعتها المحلية، وإتقان الأهالي لها دون غيرهم من الدخلاء على البلاد من المحتلين.[4]

---

[1] حيث أطلق عليها هذه التسمية الجنرال فيدراب (Faidherbe)، وقد علَّلَ دوافعه في ذلك بأن أعلى نسبة من النقوش اللوبية قد عثر عليها في المملكة النوميدية الشرقية أي بلاد الماصيل، وبالتالي فإن التسمية الأكثر ملائمة لها من ناحية احترام التسلسل الزمني هو أن يقال: الكتابة النوميدية. ينظر: Faidherbe, Op-Cit, P.6.

[2] J.Février, Op-Cit p.321

[3] النذر: هي جمع نذر، وهو طقس تقديم القرابين تمارس يوميا في المعابد والأضرحة، على أساس أن الآلهة تحتاج إلى ذلك. وعليه فإن عملية تقديم القربان هي عبارة عن شعيرة ثابتة في الطقوس الإلهية اليومية، وتتضاعف أثناء الاحتفالات الدورية والمناسبات الدينية الهامة، وقد كانت الحيوانات تذبح في ساحة خاصة أمام المعابد. ينظر: محمد الصغير غانم، النصب البونية القسنطينية المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 21.

[4] J.Février Op-Cit P.321.

ويلاحظ في هذا الموضوع أن الآداب المدونة بالكتابة اللوبية شحيحة، ومن هنا فإننا أمام إشكالية قلة المادة الأدبية في النقوش والمصادر الكتابية. وما اطلعنا عليه في المراجع الحديثة عن الكتابة اللوبية أنها علامات بارزة للغة كان يتكلمها سكان المنطقة قديما وإلى الآن، وقد تفاعلت في هذه الكتابة عوامل عديدة، نميزها في النقطتين التاليتين:

أ. سعة المساحة المنتشرة فيها، حيث تمتد من واحة سيوه شرقاً إلى سواحل المحيط الأطلسي غرباً، ومن ضفاف البحر المتوسط شمالاً إلى أطراف الصحراء جنوباً.

ب. ظاهرة التدخل الأجنبي في بلاد لوبة، بحيث تعرضت لتأثير اللغات والكتابات الدخيلة، كالكتابة البونية والبونية الجديدة والكتابة اللاتينية.[1]

غير أن الإشكال في هذا هو أن الكتابة اللوبية لم تحظ حتى الآن بأبحاث أكاديمية تجعلها في مصاف النقوش اللاتينية والبونية التي درست في بلاد المغرب، كما أنها لازالت في حاجة إلى الاعتناء البحثي من قبل الأثريين والمؤرخين كما عرفته من قبل اللغويين الساميين.

لقد سمحت النقوش اللوبية للباحثين في هذا المجال معرفة طبيعة الكتابة اللوبية وأبجديتها، حيث كان للنوميد خارج مجال الحضارة القرطاجية لغتهم ومنظومتهم الكتابية، وإذا كانت هذه الأداة الحضارية قد انتظمت خارج التأثير الفينيقي، فإن ذلك يقدم الدليل على أن الأفارقة لم يتخطوا المرحلة البدائية فقط، لكنهم أحسوا بالحاجة إلى تثبيت حركة الفكر والخطاب بالكتابة.[2]

وحسب المراجع فإن الشكل العمودي هو البارز في اتجاه الكتابة في جل النقوش التي عثر عليها وغالبا ما تكون الكتابة وحيدة خالية من نصوص مرافقة بونية أو لاتينية بعكس النصوص المزدوجة، التي يتأثر فيها النص اللوبي بالنص المرافق له فمثلا عندما يكتب

---

[1] مها العيساوي، النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 65.

[2] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 322.

النص البوني بطريقة أفقية، يكتب النص اللوبي أيضا بالطريقة نفسها، والمظهر نفسه بالنسبة للنص اللاتيني الذي يكتب من اليسار إلى اليمين.[1]

وتقرأ النصوص المزدوجة بكل وضوح وذلك بالاعتماد الكلي على أبجدية النص المرافق لها كما هو الحال في نقشي دوقة الأول والثاني وقد لا يفهم معناها ذلك لأن لغتها مازالت غامضة بعيدة عن البونية التي قد توضحها.

وتبقى النصوص اللوبية وحيدة الكتابة غير مقروءة، وقد لا يفهم منها إلا بعض أسماء الأشخاص فقط، وتعتبر بذلك الرموز الكتابية في النقوش اللوبية الرموز الوحيدة البعيدة عن قانون أساسي يحدد اتجاه سطورها.[2]

ومع أن للألفباء اللوبية حروفها الخاصة التي تميزها عن الأبجدية الفينيقية، فإن شكل الحروف في ذاته بعيد كثيراً ومتعارض مع المظهر الانسيابي بالأساس للحروف البونية، هذه الأخيرة هي كتابة تجار يخطونها بسرعة على شمع أو على ورق البردي، فالأحرف البونية كلها منحنية وحلزونية الشكل أما الحروف اللوبية فعلى العكس مستقيمة الخطوط ومزواة (Anguleux) وتكون أشكالا هندسية أساسية، وأشار كامبس أن هذه الكتابة استعملت على ما يبدو في نقش نصوص على الحجر أو على مادة صلبة.[3]

لقد توصل الباحثون إلى تقسيم الكتابة وتصنيفها بناء على اتجاه الأسطر أفقية كانت أم عمودية، ومناطق تواجد النقوش التي احتوت النصوص اللوبية، فميدان النقش الأثري ثري بمادة معرفية غزيرة إذ تتوزع في مناطق شاسعة في بلاد المغرب القديم بداية من جبل نفوسة بليبيا إلى جنوب المغرب وجزر الكناري وبلاد الطوارق والأهقار والتاسيلي ناجر.

---

[1] مها العيساوي، النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 68.

[2] لا يعلم ما هو السبب الحقيقي لذلك هل كانت الكتابة اللوبية كتابة بدائية تفتقر إلى أصول وقواعد؟ أم أنها كانت محاصرة من قبل الدخلاء في الفترة الرومانية خاصة؟ وهل تعد كتابتها اجتهادات فردية من ناقشي النصب؟ هي في الحقيقة مسألة يكتنفها غموض كبير تحتاج لدراسات تاريخية متخصصة وعميقة.

[3] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص. ص (322،327).

ويعد النقش الأثري على الصخور آلاف النماذج، وهو تراث يستحق الإحصاء والاهتمام حتى تتوفر المادة الخبرية لدى الدارسين والباحثين ويؤرخ لحضارة النوميد.[1]

1) الكتابة اللوبية الشرقية: تسمى الأبجدية الشرقية، كانت تدون على النصب بشكل أفقي، وقد انتشرت في نوميديا الشرقية وعرفت بكتابة قبائل الماصيل.[2] (ينظر الشكل رقم 08 ص)

وردت نصوصها مزدوجة الكتابة في النقوش منها البونية – اللوبية، ومنها البونية الجديدة –اللوبية، وفي مرحلة لاحقة برزت النقوش المزدوجة الكتابة اللاتينية – اللوبية.

واعتمادا على المنهج المقارن، تمكن الباحثون من معرفة معاني رموز الكتابة اللوبية، وهي التي أطلق عليها: الأبجدية النوميدية، لأنها كانت تمثل وجه الإنتاج الثقافي للنوميديين، بحيث وجدت في كل مناطق الماصيل على مجموعة النقوش مثل: نقوش دوقة والنقوش المتكشفة في بعض المدن الداخلية[3] مثل: (ماكتريس وبونة وتيفست وكيرتا وسيقا).

2) الكتابة اللوبية الغربية: كانت الأبجدية اللوبية معروفة لدى مجموع السكان المغاربة وظلت طيلة التاريخ القديم تستعمل في نوميديا الشرقية (الماصيل)، لكن مدونة الأب شابو (Chabot) والاكتشافات التي تلتها تبين أنها كانت معروفة لدى الماصيصيل ولدى المور والجيتول، هؤلاء استعملوها فترة أطول، وتقدم النقوش المسماة لوبية بربرية (Libyco-berbére) في المناطق الجنوبية (الأطلس المغربي– الجنوب الوهراني– تريبوليتانيا) نمطاً مزيجا بين اللوبي والتيفيناغ.[4]

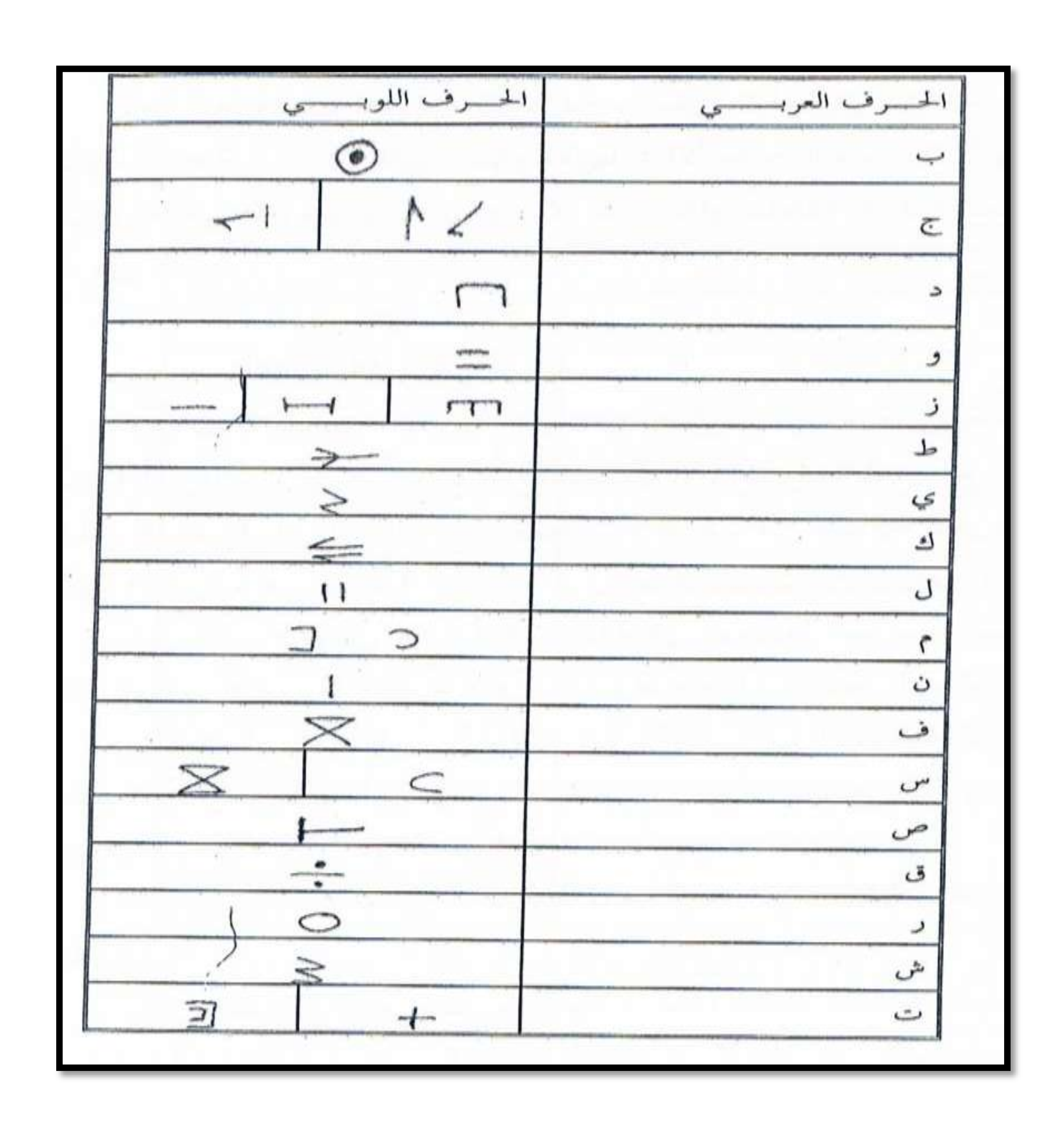
---

[1] الطاهر ذراع، العلاقات الحضارية القرطاجية النوميدية (814-146 ق.م) كتاب أنجز في إطار السنة العلمية بتونس (2009- 2010)، ص 226.

[2] (J.B) Chabot Reculé des inscriptions libyques, Imprimerie Nationale, Paris, 1940, P.3.

[3] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص. ص(341-342).

[4] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 323.



الحـــرف العربـــي	الحـــرف اللوبـــي
ب	
ج	
د	
و	
ز	
ط	
ي	
ك	
ل	
م	
ن	
ف	
س	
ص	
ق	
ر	
ش	
ت	

الشكل رقم (08):جدول الأبجدية الأفقية اللوبية.

نقلاً عن:J.,B.,Chabot,Op-Cit, P,V

دونت الأبجدية الغربية بطريقة عمودية، ولا تزال القيم الصوتية للحرف الكتابي بها مجهولة لدى الباحثين لأن معظم النصوص كانت فردية يصعب مقارنتها بكتابة رسمية وتحليلها اللغوي مثلما جاء في نقوش دوقة وإنما كانت وحيدة الكتابة.[1] (ينظر الشكل رقم 09 ص)

ويبدو أن النقوش العمودية قد استخدم أغلبها في الريف المحافظ وهي ذات طابع جنائزي.

وهكذا في كل الأحوال تعتبر الكتابتين اللوبيتين الشرقية والغربية، قد جاءتا من الابتكار المحلي لأفراد المجتمع المغربي القديم، وغرضها هو تدوين بعض القضايا التي رأى فيها السكان ضرورة لأن تدَّون بتلك الكتابة حسب متطلبات حياتهم.

ثالثا: تطور النقوش والكتابة اللوبية خلال الفترة الرومانية.

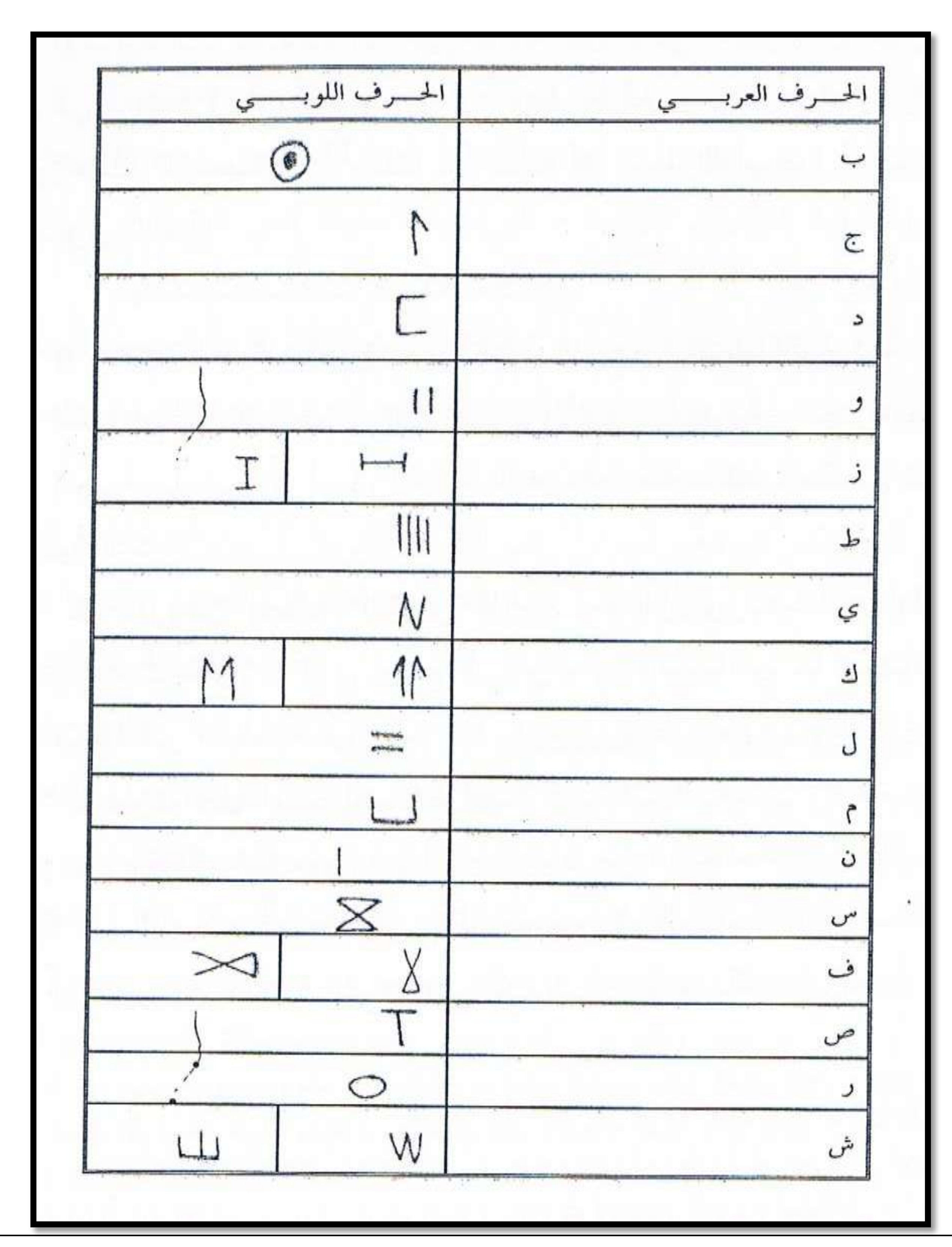
عرفت النقوش التي عثر عليها العلماء[2] في المغرب القديم منذ عهد أغسطس بثلاث أنواع من الخطوط هي: اللوبية والبونية واللاتينية، وانعكس هذا التنوع اللغوي والخطي على المنطقة بوجود فئة متعلمة تقرأ وتكتب بهذه الكتابات.

فإذا كانت اللاتينية لغة وكتابة لها قواعدها النحوية والصرفية، فإن الكتابة البونية الجديدة ظلت متواصلة تفتقر إلى وجود إحصاء دقيق لعدد النقوش التي تعود إلى الفترة الرومانية على عكس الفترة السابقة التي قدر فيها عدد النقوش بحوالي 2500 نقشا.

---

[1] فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص 316.

[2] علماء النقوش: هم الباحثين الذين حققوا النصوص النقوشية اللاتينية والبونية واللوبية، أما بالنسبة للنقوش اللاتينية فقط، فهم كثيرون ونذكر منهم على سبيل المثال: ستيفان غزال وإرنست مارسي الضليعين باللاتينية، وأما البونية فنذكر منهم بيرتيي واللوبية نذكر فيدراب وروبو وشابو، وهؤلاء ساهموا بقسط وافر في التعريف بالواقع اللغوي في المغرب القديم عبر تاريخه العميق. ينظر: Salem Chaker, La situation linguistique dans le Maghreb antique, op - cit, P.25.



الحرف العربي	الحرف اللوبي
ب	
ج	
د	
و	
ز	
ط	
ي	
ك	
ل	
م	
ن	
س	
ف	
ص	
ر	
ش	

الشكل رقم (09):

نقلاً عن: J.,B.,Chabot,Op-Cit, P,V

أما النقوش اللوبية فقد قدرها شابو بحوالي 1100 نقشا، ثلثيها نقوش لوبية صرفة تعود إلى العهد الروماني.[1] وبالرغم من انتشار اللغة والكتابة اللاتينية في المغرب القديم كلغة للمعاملات الرسمية، فإن هذا لم يمنع اندثار اللغة والكتابة اللوبية في المناطق الداخلية.

أولاً: أنواع الكتابة اللوبية في الفترة الرومانية: قسم الباحثون الكتابة اللوبية في فترة الاحتلال الروماني إلى أربعة أنوع[2] هي على الترتيب من ليكسوس إلى تاكاب (قابس حالياً):

أ. الكتابة اللوبية الماصيصيلية الغربية: كانت تنتشر في المنطقة الممتدة مابين طنجاي وفولوبيليس.

ب. الكتابة اللوبية الماصيصيلية الشرقية: وقد وجدت نقوشها في المنطقة الممتدة ما بين كارتيناي (تنس) وإيومنوم (تيقزيرت).

ج. الكتابة الماصيلية: انتشرت هذه الكتابة في المنطقة التي تمتد ما بين تيقزيرت و توبور بوسيكوبور (تبرسق) والجم.

د. الكتابة الجيتولية: وجدت في المنطقة الممتدة مابين جنوب فولوبيليس إلى جنوب تاكاب وهي التخوم الصحراوية والصحراء، حيث كان الجيتول يتنقلون، وهي المعروفة في المصادر بالكتابة التيفيناغية.[3] (ينظر الخريطة رقم 01 ص)

والحقيقة أن الباحث يجد صعوبة في تحديد ملامح الإرث اللوبي أثناء العهد الروماني، لأن المجتمع المحلي ترك آثار قليلة في مجال اللغة نظراً لانتشارها في مناطق دون غيرها، لكن رغم ذلك فإن استخدام اللاتينية عند الريفيين والبدو كان محدوداً.[4]

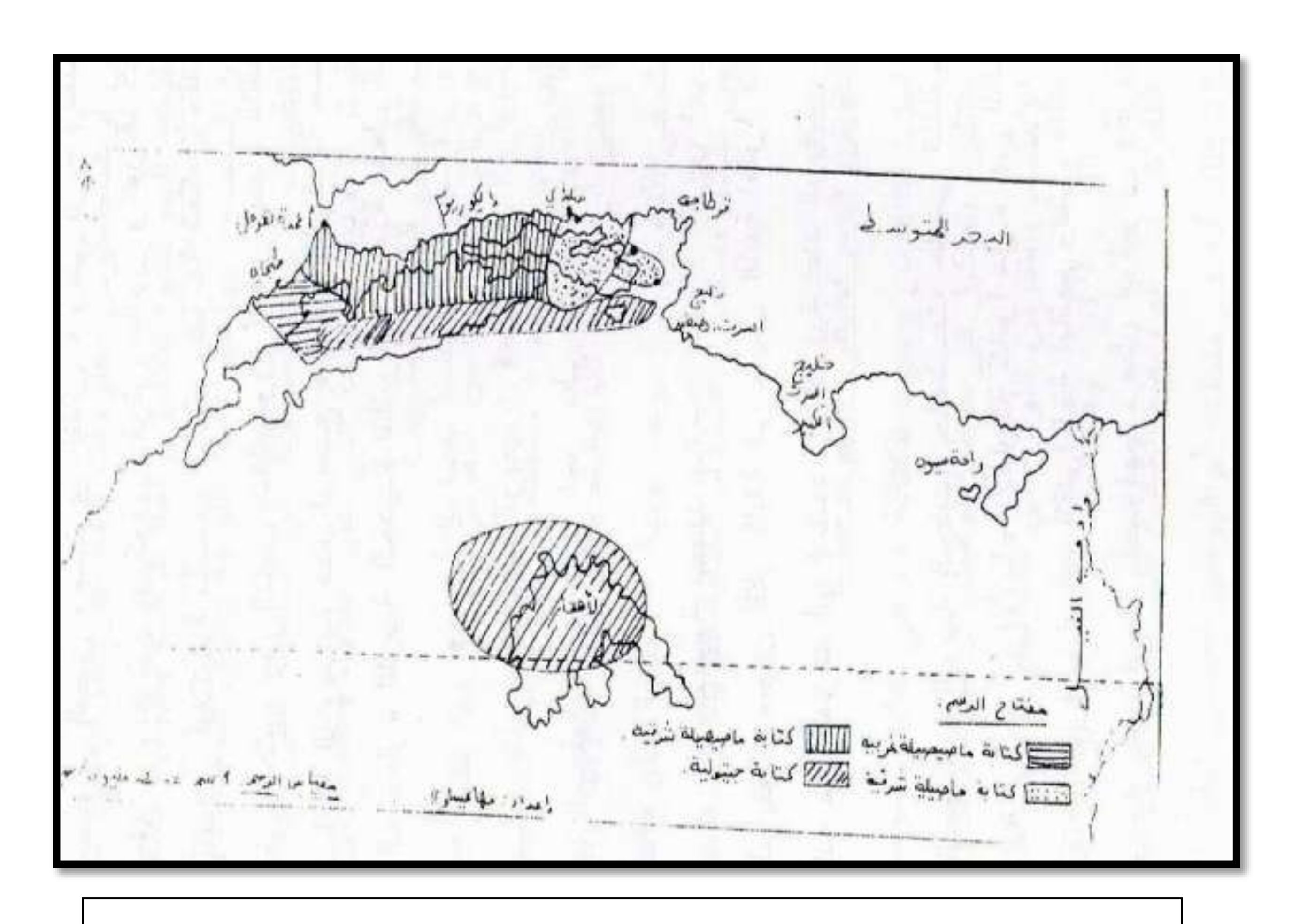
---

[1] مها العيساوي، النقوش النوميدية في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص. ص(138- 139) .

[2] Lional Galand , Les Alphabets Libyques, Ant, Afr, T..25, 1989,P72.

[3] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 472.

[4] Mansour Chaki, « La répartition des inscriptions libyques » REPPAL, T : IX, éd Institut National du Patrimoine, Tunis, 1995, P.107.



الخريطة رقم (01):مناطق إنتشار الكتابة اللوبية في بلاد المغرب القديم، خلال الاحتلال الروماني.

نقلاً عن: مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 472.

ثانياً: أنواع النقوش اللوبية: يمكن للباحث تحديدها في مجالين:

أ. النقوش المزدوجة (لوبية – لاتنية): يعتبر هذا النوع من النقوش الأكثر انتشارا في المغرب القديم، حيث استخدمت إلى جانب اللاتينية في المعاملات الرسمية، وهذا يعني أن الكتابة اللوبية استمرت تؤدي دورها الحضاري طيلة فترة الاحتلال الروماني.

إن البحث في النقوش المزدوجة لوبية لاتينية يطرح قضايا عديدة أهمها إثبات الهوية المحلية من خلال تواصل استخدام الكتابة اللوبية في المناطق الريفية النائية.[1]

ب. النقوش الصرفة في إقليم نوميديا: يعرف هذا النوع بالنقوش وحيدة الكتابة، وهي غالبا عبارة عن نصوص لوبية صرفة يتضمنها النقش، وقد انتشرت بتركيز في منطقة نوميديا الشرقية ثم الموحدة. (ينظر الخريطة رقم 02 ص)

لقد بدأ الاهتمام بالنقوش اللوبية في ضواحي نوميديا من قبل الباحثين المحدثين خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي حيث استطاع الأب شابو أن يحصي في "مدون النقوش اللوبية" تعداد النقوش في منطقة نوميديا سابقا.[2]

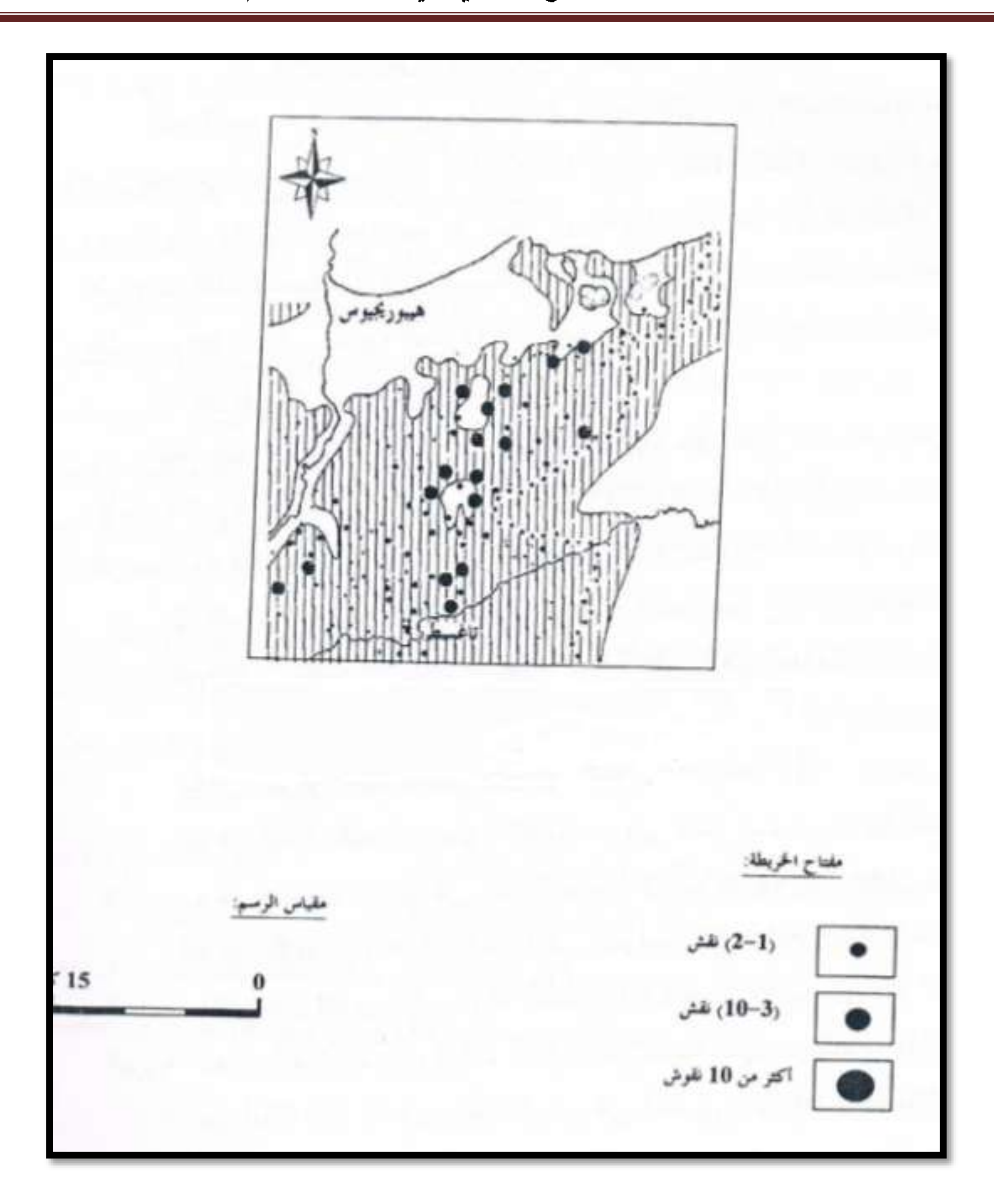
وكان عدد النقوش التي أحصاها تسعة عشر نقشاً مثبتة من الرقم (804–822) في منطقة أم البواقي منتشرة في هنشير بيربوعامر وسيدي عباس وبرج القصر.[3]

---

1 Ibid, P.106.

2 J.B Chabot, OP, Cit, P.8.

3 Stéphane Gsell, Atlas Archéologique de L'Algérie, 2 éme éd A.N.A.P.S.M.H , Alger,1997, T :I, P. 28.



الخريطة رقم (02): خريطة تمثل توزيع النقوش اللوبية المكتشفة في شمال شرقي الجزائر إقليم هيبوريجيوس

نقلاً عن: مها العيساوي، النقوش النوميدية، المرجع السابق ص135.

ثالثا: التوزيع الجغرافي للنقوش اللوبية: تعتبر بلاد المغرب المجال الجغرافي الذي توزعت فيه النقوش اللوبية، وتختلف نسبة تواجد هذه النقوش من منطقة إلى أخرى، إذ من الملاحظ أنها غزيرة في كل من شرق الجزائر وشمال غربي تونس، في حين أنها قليلة الوجود في المغرب الأقصى وليبيا، ولعل هذا راجع إلى أن المملكة النوميدية الشرقية كانت أكثر منطقة استخدمت فيها اللغة والكتابة اللوبية.[1] (ينظر الخريطة رقم 03 ص)

وعثر على نماذج من هذه النقوش في منطقة شمال غرب تونس، ومنطقة شرق الجزائر ما بين مدينتي عنابة والقالة شمالاً وفي ضواحي قسنطينة.

أما في الجنوب والتخوم الصحراوية فتنعدم فيها، وتوجد كذلك في بعض المناطق الغربية من إقليم وهران وهي قليلة جداً.[2]

المبحث الثاني: اللغات الوافدة إلى المغرب القديم

أول ظاهرة يلمسها الباحث لتاريخ بلاد المغرب القديم هي الامتزاج الواضح بين عدد من العناصر الحضارية في ذلك المجتمع فإلى جانب العنصر القرطاجي الفينيقي وجد العنصر اللوبي المحلي والعنصر اليوناني بالإضافة إلى العناصر الحضارية البونية واللاتينية، مما أدى إلى تفتحه على ثقافات ولغات هذه الشعوب.

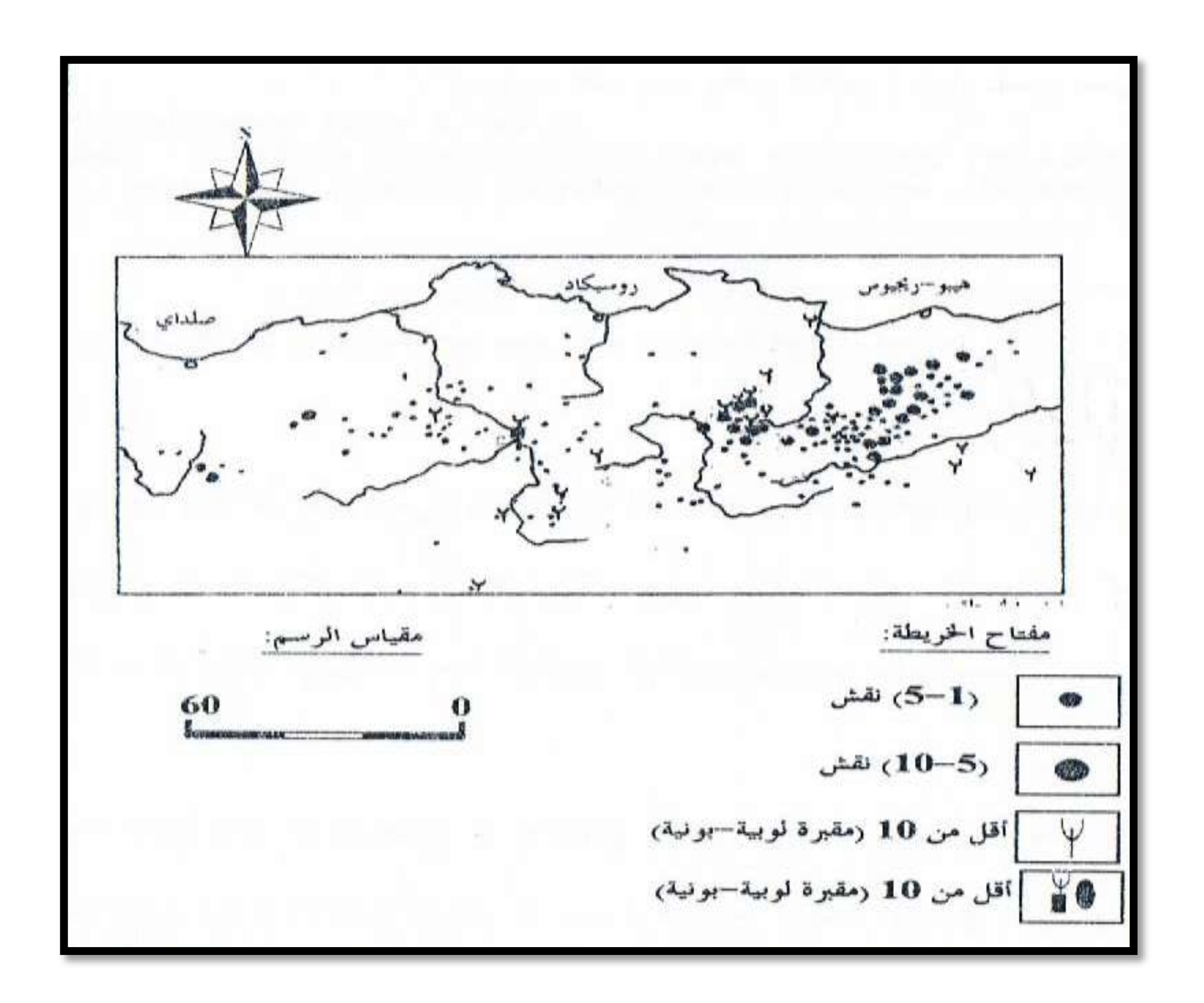
أولاً اللغة الفينقية: عندما حلت سفن الفينيقيين[3] في ربوع بلاد المغرب القديم في نهاية الألف الثاني ق.م، كانت البلاد مأهولة بالسكان الأصليين فتعايشوا مع اللوبيين، الذين كانوا يعمرون هذا المجال من السرت الأكبر إلى المحيط الأطلسي.

---

[1] Salem Chaker et Slémène Hachi, A propos de L'origine de L'âge de l' écriture libyco, op- Cit, P.98.

[2] محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 123.

[3] الفينيقيون هم أولئك القوم الذين ينحدرون من الكنعانيين الذين استقروا على السواحل الشرقية للبحر المتوسط، وقد سميت المنطقة باسمهم فينيقيا، حيث كانت لهم لغتهم وثقافتهم كغيرهم من الأقوام السامية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية



الخريطة رقم (03): عدد وتوزيع النقوش اللوبية والبونية في شمال إفريقيا.

نقلاً عن: مها العيساوي، النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 136.

متجهة نحو الشمال، وذلك منذ الألف الثالثة قبل الميلاد. لمزيد من المعلومات ينظر: الموسوعة العربية الميسرة، تحت إشراف محمد شفيق غبريال، ط2، دار الشعب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1959، ص 1356.

ويكونون "وحدة عرقية حضارية" لها مميزاتها اللغوية والبيئية وسبل عيشها، ونشاط متواصل في مجال البحر المتوسط وعلاقات كثيفة مع الشعوب التي كانت تعيش في سواحله جمعت بينها عناصر حضارية متوسطية جلية في سائر الأقطار المطلة على البحر.[1] (ينظر الخريطة رقم 04 ص)

لقد رحب اللوبيون بالتجار الفينيقيين الذين وفدوا إلى المغرب القديم بغرض التجارة، ونظراً لجهل الطرفين لغة الآخر، فقد توصلا إلى لغة إشارات وإيماءات وطرق معاملات سيميائية مفهومة عالميا، ولذلك يعد نص المساومة الصامتة التي أوردها هيردوت[2] خير مثال لعملية التفاهم فيما بين اللوبيين والوافدين الفينيقيين حيث عرفنا طبيعة العلاقات الباكرة فيما بينهما، ومضمون النص:

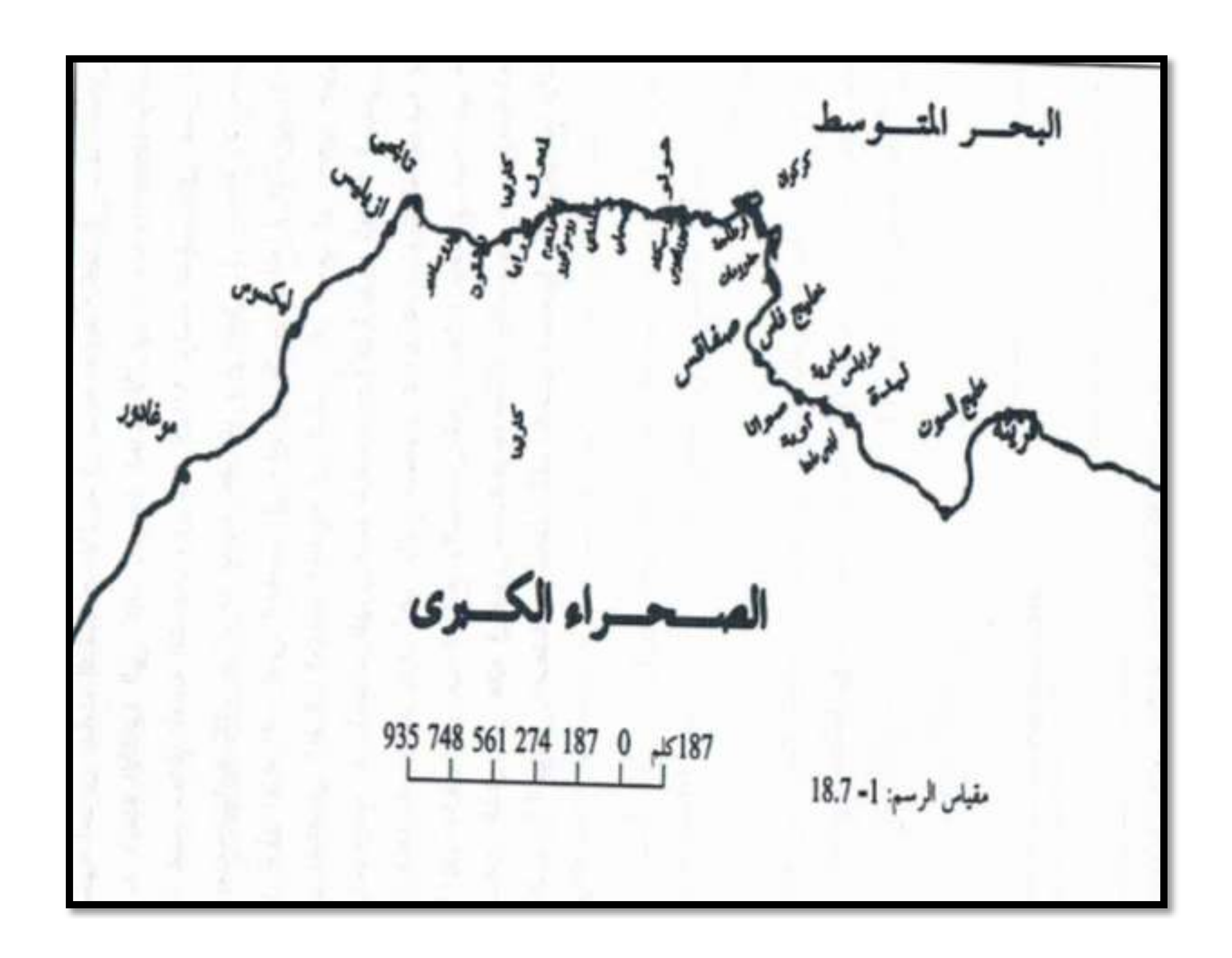
" ويروي القرطاجيون أن لهم تجارة مع قوم يسكنون وراء أعمدة هرقل، فيسافرون إليهم، وحين يبلغون أرضهم يعرضون بضاعتهم في ترتيب حسن عند المرفأ، ثم يشعلون نارا ليصعد منها الدخان، ويقفلون عائدين إلى مراكبهم، فيأتي أولئك القوم عند رؤية الدخان ليضعوا مقدارا معينا من الذهب على الأرض مقابل تلك البضاعة، ثم يبتعدوا مسافة ويقبعوا في مكانهم فينزل القرطاجيون إلى الشواطئ ليحملوا الذهب معهم، فإذا وجدوا ما دفع مناسبا أخذوا ثمن بضاعتهم ورحلوا، وإلا مكثوا حيث هم، حتى يقترب الزبائن ويزيدوا ما يرضي التجار. والصدق والأمانة في هذه العلاقة بين الطرفين على أتم وجه، فلا القرطاجيون يمسون الذهب ما دام دون السعر المطلوب ولا الأهالي يمسون البضاعة قبل أن يحمل أصحابها الذهب ويمضوا في طريقهم"[3]

---

[1] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص. ص (60-61).

[2] هيرودوت (Hérodot): ولد مابين سنوات 484 – 425 ق.م في هاليكارناس وهي مدينة بآسيا الصغرى، زار مصر وقورينة بليبيا وبابل، يتناول مؤلفه خاصة الحروب الميدية والأسباب الأولى للنزاع بين الإغريق والمشارقة وقد تمثل ذلك في الأجزاء الأربعة الأولى من كتابه: تاريخ العالم. لمزيد من المعلومات ينظر: علي فهمي خشيم، نصوص ليبية، ط2، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1975، ص. ص(15– 18).

[3] هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، أبو ظبي: منشورات المجمع الثقافي، 2001، ص 369.



الخريطة رقم (04): المستوطنات الفينيقية في بلاد المغرب القديم.

نقلاً عن: محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، المرجع السابق، ص 90.

يلاحظ من خلال النص أن العلاقات اللوبية الفينيقية كانت سليمة ذات طابع اقتصادي، استفاد منها اللوبيون في الخروج من العزلة التي كانوا يعانون منها بسبب بعد منطقتهم الجغرافية عن منطقة حضارات الشرق الأدنى القديم.[1]

تأثر المغاربة القدماء بالحضارة الفينيقية ومن مظاهر هذا التأثير انتشار اللغة الفينيقية[2] التي تعتبر عنصرا تاريخياً انتشر في بلاد المغرب، وذلك لسببين أساسيين هما: أن اللغة الفينيقية، كانت أولى اللغات السامية المكتوبة التي تعرف عليها اللوبيون في زمن مبكر، واستمدوا عن طريقها كثيرا من عناصر الثقافة الشرقية.

والسبب الثاني: يتجلى في كون اللغة الفينيقية تبناها سادة القوم وأعيانهم، وأصبحت لغة التعامل لديهم فاحتوت بذلك على معلومات تاريخية ذات أهمية بالنسبة لتاريخ الممالك المغربية القديمة. لذلك فإنني أحاول التعرف على اللغة الفينيقية وعوامل انتشارها في بلاد المغرب وهل استمر تداولها بعد سيطرة الرومان على بلاد المغرب؟ أم اندثرت بعد سقوط قرطاج؟

توجد مادة معرفية شحيحة عن اللغة الفينيقية وذلك لعدة أسباب منها:

---

[1] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 81.

[2] اللغة الفينيقية (La langue phénicienne) تتفرع اللغة الفينيقية عن جذع اللغات السامية الشمالية الغربية مثل الأوغاريتية والعبرية ثم المؤابية وسائر اللهجات الآرامية، ويمكن الحديث عنها ابتداء من القرن الثاني عشر أو الحادي عشر قبل الميلاد، كما أنها تتميز عن لغات الألفية الثانية لهذا الجدع باختزال نظامها الصوتي، فلقد استبدل الحرفان اللهويان الداخليان "غ" و"خ" بالحرفين الأذنيين "ع" و"ح"، وعوضت الحروف الأسنانية "س" و"ذ" ثم "ث" بحروف الصفير "ص" أو "ز"، وانقلبت حركة النصب الطويلة " L" إلى حركة ضم طويلة "و"، وانقلبت حركتا النصب والجر القصيرتان (ہ) و(أ) إلى حركتا جر بالإمالة ــي. أما حركة الضم، فانقلبت مفتوحة، واختزلت الحركة المزدوجة، حيث أصبحت حركة ضم طويلة وـــ. ينظر: محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة، ط1، المرجع السابق، ص40.

1. ضياع التراث اللغوي الفينيقي على يد الغزاة الأجانب الذين اجتاحوا منطقة الساحل الفينيقي ابتداء من غزو شعوب البحر المدمرة حتى الاحتلال اليوناني للساحل الفينيقي في شرقي المتوسط وتدمير قرطاجة[1] من طرف الرومان في الحوض الغربي للبحر المتوسط.
2. إن الفينيقيين لم يسجلوا آدابهم وأفكارهم على مواد مقاومة للفناء لا تؤثر فيها العوامل الطبيعية مثلما فعل السومريون والأشوريون في تسجيل تراثهم على الألواح الطينية، ولذلك لم يبق من التراث الفكري الفينيقي إلا ما سجل على المواد الصلبة مثل: الصخور واللوحات المعدنية.[2]
3. إن زمن ازدهار الفينيقيين لم يكن طويلاً حتى يسمح لهم بالالتفات إلى الناحية الأدبية والتاريخية فيسجلوا الكثير منها في شتى مجالات الحياة.
4. تحيز المؤرخين اليونان واللاتين والعبرانيين، الذين كتبوا عن الفينيقيين حيث كانت كتاباتهم بعيدة عن الموضوعية وفيها تحيز وتزييف للحقائق التاريخية، سواء أكان ذلك عن قصد وقناعة أو بسبب جهلهم للغة الفينيقية[3]

ونتيجة لذلك سأحاول التطرق لموضوع اللغة الفينيقية بما توفر لي من مرجعية تاريخية كتبها المختصون في هذا المجال ومما كتبوه ما يأتي:

1) أسماء الأعلام: تتفرع اللغة الفينيقية عن اللغة الكنعانية، وتتشابه مع اللغات السامية الأخرى في مدونة الألفاظ والتصريف الذي يطرأ على مصادرها، وغالباً ما يتكون فعلها من

---

[1] قرطاجة (Carthage): لقد شيدت مدينة قرطاجة على خليج شمال تونس، وذلك على مقربة من مدينة أوتيكا (عوتيقا) التي سبقتها في التأسيس. وقد أرخ لتأسيس مدينة قرطاجة بحوالي العام 814 ق.م، ويبدو أن اسم قرطاجة كنعاني فينيقي مشتق من كلمتين " قرت التي تعني القرية " و " حدشت التي تعني الحديثة "، والمعنى ككل هو المدينة الحديثة نسبة إلى عوتيقا التي سبقتها في التأسيس. ينظر: كونتو (ج)، الحضارة الفينيقية، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، ط3، شركة مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 1948، ص 98.

[2] محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 31.

[3] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج2، ب ط، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 30.

ثلاثة أحرف، وتتفق مع الكتابات السامية الأخرى في عدم كتابة الحركات حتى تزيل شكوك التردد والخطأ في النطق بكلماتها. وعلى هذا المنوال جاءت أسماء الأعلام الفينيقية كما أشار إليه المختصون في هذا الميدان، عبارة عن أوصاف تشير إلى خاصية من الخواص مثل: الابتهال أو إظهار الإيمان أو الثناء على الرب.[1]

2) النقوش الإهدائية: تشمل النقوش الإهدائية كل الأشياء المهداة إلى الرب تقربا إليه لنيل رضاه والاستعانة به في قضاء المآرب والوقاية من الكوارث. وغالباً ما تحتوي صيغة الإهداء تلك على وصف القربان ثم تطلب في الأخير إنزال البركة.

3) الأدب الفينيقي: يجهل الكثير عن الأدب الفينيقي، وما وجد منه قليل لا يتعدى بعض الأساطير النادرة المتعلقة بفكرة الخلق عند الفينيقيين، والمناظرات الأدبية التي تتمثل في النزاع السنوي بين إله النبات عليان بعل وخصمه الإله موت.[2] وهناك موازنات ومقاربات من حيث اللغة والأفكار بين الأدب الذي ظهر على الألواح الأوغاريتية[3]، وما جاء في التوراة خاصة في الأوزان الشعرية. ومن أشهر المؤرخين الفينيقيين الذين وصلتنا أخبارهم نذكر الكاهن "سانخونياتون" (Sanchoniaton) الذي عاش في القرن الحادي عشر قبل الميلاد، وقد اقتبس عنه فيلون الجبيلي[4] في حوالي القرن الأول ميلادي، وفي حوالي القرن

---

[1] المرجع نفسه، ص 31.

[2] الإله موت أشار فيلون الجبيلي أن موت هو ابن الإله كرونوس الإغريقي والإلهة هيرا، كان أبوه قد ألهه بعد وفاته ويدعوه الفينيقيون ب" تاناتوس" (Thanatos) أو " بلوتون" (Pluton) ينظر: محمد أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت:1981، ص. ص (141- 142).

[3] الألواح الأوغاريتية: لقد اكتشفت الألواح الأوغاريتية سنة 1929، وكانت تتضمن أساطير كنعانية، كتبت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، وكانت تلك الأساطير تعبر عن رغبة الإنسان الطبيعية في التعرف على الكون والإجراءات الأخرى التي تشير إلى خصوبة الإنسان والحيوان ثم النبات، كما صورت مجمع الآلهة السامية في علاقاتها المتشابكة ونظرتها إلى الكون العلوي والسفلي. جان مازيل، تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية)، تر: ربا الخش، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1998، ص 43.

[4] فيلون الجبيلي (Philon de Byblos): كاتب يوناني ولد في فينيقيا حوالي عام 42م، لقب باسم هيرينيوس (Herennius) كان حيا أيام الامبراطور الروماني هادريان، وهو الذي نقل لنا فكرة الديانة الفينيقية عن خلق العالم

الرابع ميلادي أخذ المؤرخ اليوناني أوزيب – والملقب بأبي التاريخ الكنسي – آراء سانخونياتوس عن فيلون وانتقدها.

وتجدر الإشارة أيضا إلى نصوص تقارير رحلتي حانون وخملكن الاستكشافيتين والوصف الشامل للأماكن التي بلغتها رحلتا القائدين القرطاجيين، وقد ترجم التقريران من الفينيقية إلى اللاتينية ثم إلى لغات العالم الأخرى. كذلك نذكر أيضاً في ميدان التاريخ والأدب الفينيقي النقش الذي سجل عليه حملات حنبعل على إيطاليا ثم أودعه في معبد جونو (Junon) وكان هذا النقش مزدوج اللغة فينيقية يونانية، ولذلك أخذه المؤرخ الروماني تيت–ليف (Tituis Livius) في كتاباته.[1]

يضاف إلى ذلك، كتب الموسوعة الزراعية التي ألفها القرطاجي ماغون (Magon)[2] خلال القرن الثالث قبل الميلاد، والتي أمر مجلس الشيوخ الروماني بعد تهديم مدينة قرطاجة بترجمتها إلى اللغة اللاتينية للاستفادة منها في ميدان الزراعة.

لقد أجريت الكثير من الأبحاث وتم التوصل للعديد من الاستكشافات الأثرية لكشف الستار عن الكتابة الفينيقية التي تضاربت أراء المختصين واللغويين حول طريقة كتابتها.

يعتقد المختصون في ميدان اللغات السامية أن الأبجدية الفينيقية الأولى كانت قد اشتملت على اثنان وعشرين حرف صامتة أضيف إليها فيما بعد الشكل والحركات، ولم تتخلص تلك

بالاستعانة بالكتب القديمة التي سبقته، والتي من بينها كتاب سانخونياتوس. ينظر: محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 32.

[1] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، المرجع السابق، ص 31.

[2] ماغون: عالم قرطاجي علش خلال القرن الثالث قبل الميلاد صنف موسوعة تشمل ثمانية وعشرون سفرا مخصصة للاقتصاد الريفي، وقد اعتبره القدماء من إغريق ورومان مؤسسا لعلوم الزراعة ومؤسسا لعلم الاقتصاد الريفي وهو ما تشير إليه العبارة اللاتينية (Parens rusticationis) التي أوردها العالم الروماني قلوملة (Columella) الذي نوه بعبقرية ماغون القرطاجي في كتاباته خلال القرن الأول قبل الميلاد. ينظر: الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 113.

الأبجدية الفينيقية الأولى من الكتابة الرمزية فحسب، بل تخلصت من كل المقاطع اللفظية، حيث أنه لا يستعمل أي مقطع لفظي ليدل على المقطع السابق له .[1]

كما يلاحظ أن الكتابة الفينيقية الأولى هي كتابة لفظية غير متكاملة، ذلك لأنها تسجل الحروف الصامتة فقط، ومع تخلصها تقريبا من كتابة الرموز، فإنها لم ترق إلى النطق السليم وذلك لتعدد اللغات التي كانت تكتب بها.[2]

انتشار الفينيقية في غربي البحر الأبيض المتوسط: قدم التجار الفينيقيون إلى غربي المتوسط ومعهم موروث حضاري متطور يتمثل في اللغة والكتابة الفينيقية، التي ارتكزت في بداية وجودها بالمستوطنات الفينيقية الساحلية على امتداد الشواطئ المغربية كلها، ثم توسعت في الأرياف المجاورة فتعلمها الريفيون، الذين تعاطوا العلاقة التجارية مع الفينيقيين، وبعد ظهور قرطاجة كدولة أضحت لغة عامة للسكان الذين احتكوا بها ببلاد المغرب .[3]

ومع ذلك فإن اللغة الفينيقية سرعان ما ضعفت أمام اللغة المحلية للسكان الأصليين، ودخلتها تعابير وأسماء محلية أبعدتها عن طابعها الشرقي الأصيل.

ومن جهة أخرى فإن التعابير التي تسربت إلى اللغة الفينيقية في المغرب تناولت التراكيب ومخارج الأصوات التي تؤديها وتجاوزت المرحلة السطحية، بل أصبحت أكثر عمقا.[4]

وقد وضع سكان المغرب القديم من اللغة الفينيقية لغة خاصة بهم وهي اللغة البونية والبونية الجديدة (Néopunique) وهذا ما سأحاول دراسته في المطلب الثاني من هذا الفصل:

---

[1] محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة، المرجع السابق، ص 34.

[2] المرجع نفسه، ص 35.

[3] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، المرجع السابق، ص 28.

[4] محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 125.

ثانيا: تطور اللغة البونية والبونية الجديدة: كان المغرب القديم متفتحاً على لغات وثقافات البحر المتوسط، حيث جعل لنفسه من اللغة الفينيقية لغة خاصة به تمثلت في اللغة البونية[1] حيث أنها كانت تعتبر من اللغات القديمة التي وصلت لغويا إلى المستوى العجمي[2] ولغة التجارة والمعاملات، ولغة الأدب والثقافة الرفيعة لدى الأوساط المتحضرة ، لذلك اعتمدت كلغة رسمية في الممالك النوميدية والموريطانية، حتى ما بعد تهديم قرطاجة[3]، وباللغة البونية قدمت النذر إلى الآلهة في المعابد والنصوص الإدارية والسجلات الرسمية التي عثر عليها ولما استعملت أيضا تلك اللغة في كتابة الشواهد القبرية وعلى العملة. (ينظر الشكل رقم 10، ص)

وحسب المعطيات التاريخية والأثرية فإن اللغة البونية بقيت مستعملة كلغة رسمية ولغة التداول اليومية ببلاد المغرب القديم على مدى خمسمائة عام تقريبا بعد تهديم قرطاجة وهذا اعتماداً على المخلفات النقوشية التي عثر عليها في بلاد المغرب ولاسيما في نوميديا الشرقية (الشرق الجزائري).[4] (ينظر الشكل رقم 11، ص)

أما الكتابة البونية فقد تميزت بمظهر حروفها المائلة والمنحنية في بعض الأحيان. وتعد البونية هي الكتابة الرسمية في قرطاجة العاصمة، وكامل مستوطنات إمبراطوريتها في غربي المتوسط ابتداء من نشأتها 814 ق.م حتى تاريخ سقوطها سنة 146 ق.م.

---

[1] الأثر الذي أحدثه المغاربة في اللغة الفينيقية هو إخضاعها لنطقهم وهو ما أدى إلى ظهور لغة جديدة متكونة من اندماج اللغة الفينيقية باللغة اللوبية وهذه اللغة الجديدة هي اللغة البونية، ثم اللغة والكتابة البونية الجديدة (Néo-punique) التي ظهرت بعد سقوط قرطاجة. ينظر: محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 205 .

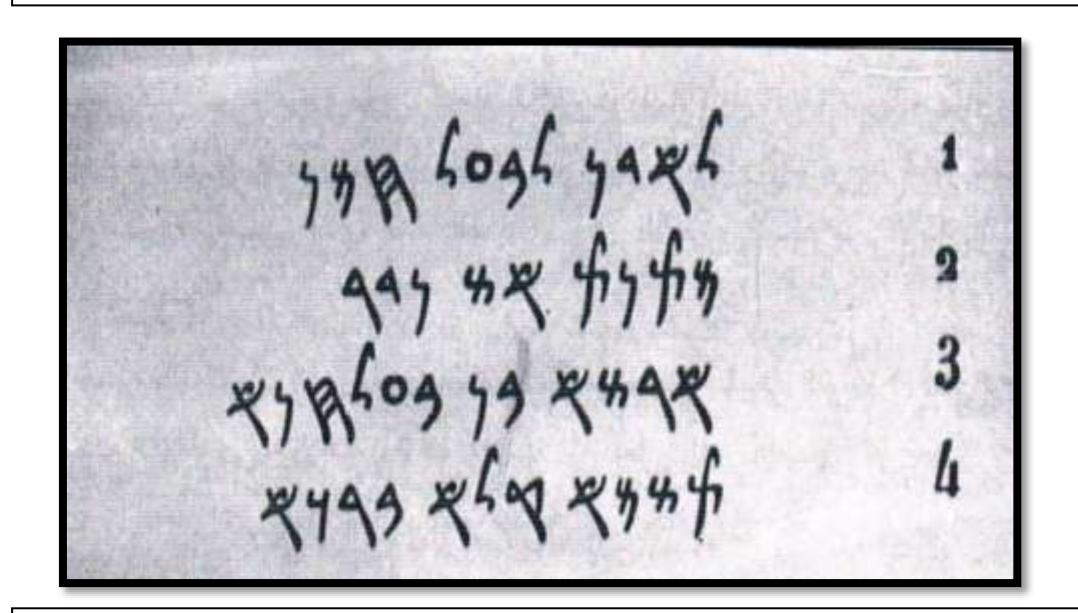
[2] بمعنى أن البونية لغة متطورة وكتابة لها منظومتها النحوية والصرفية الخاصة بها.

[3] كانت مدينة قرطاجة قد هدمت سنة 146 ق.م، ثم انتهت سياسيا وعسكريا، غير أن إشعاع ثقافتها وحضارتها قد استمر تأثيرهما بين السكان المغاربة القدماء، وذلك حتى بداية الفتوحات العربية الإسلامية لشمال أفريقيا، لاسيما في مناطق الأرياف.

[4] أحمد السليماني، المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص. ص (191-192).

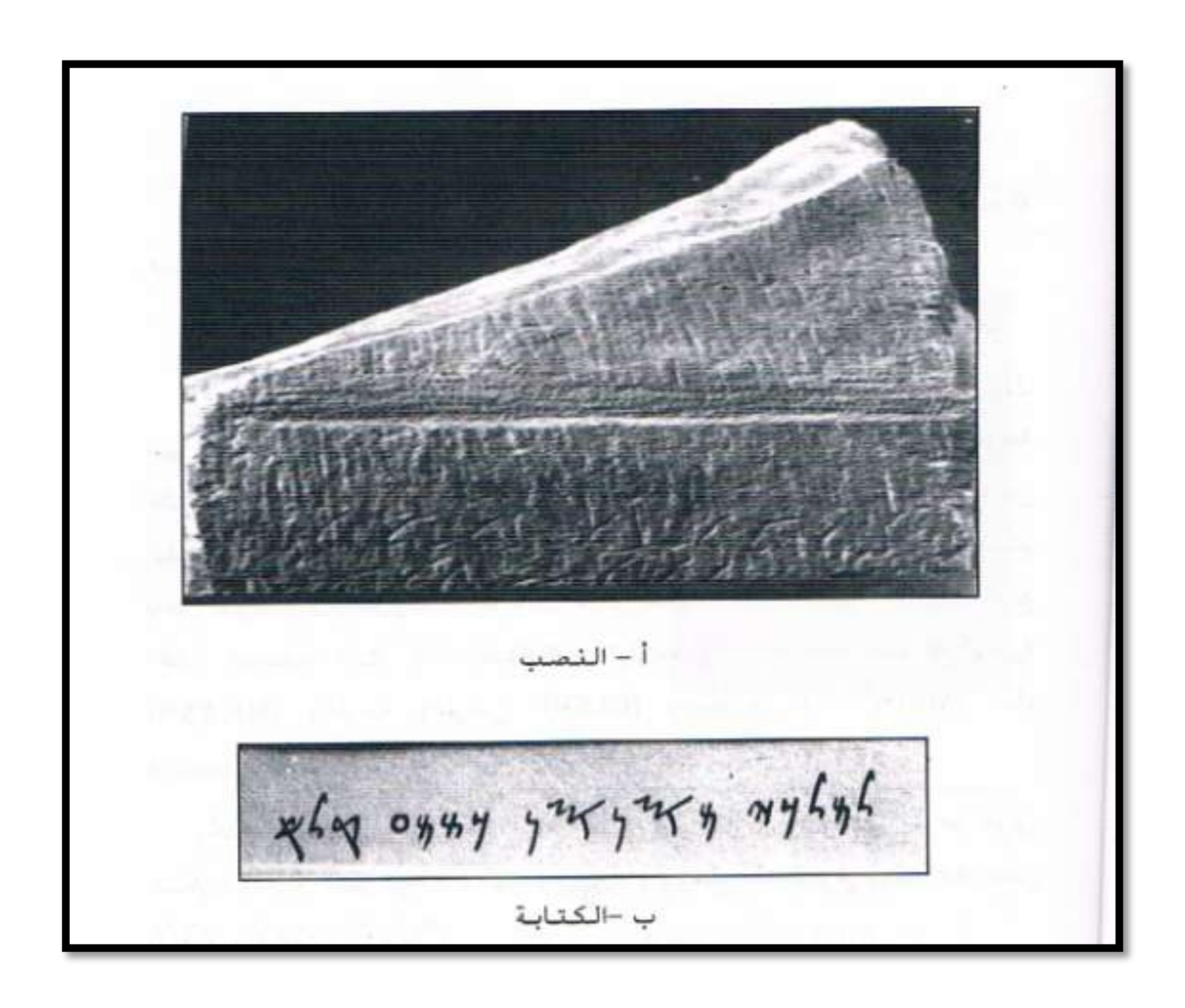


الشكل رقم (10): نقش إهدائي للإله بعل حمون والإلهة ثانيث.



فك رموز الشكل السابق الذكر

نقلاً عن: محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، المرجع السابق، ص 221



الشكل رقم (11): نصب تذكاري يحمل كتابة بونية إهدائية للملك ماسينسا اعترفاً له بالفضل.

نقلاً عن: محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، مرجع السابق، ص 223.

وقد استمر تداول الكتابة البونية حتى بعد هذه الفترة بدليل النقوش التذكارية للأمراء المغاربة، والكتابة على المسكوكات.[1] (ينظر الشكل رقم 12 ص)

والحق أن الكتابة البونية الجديدة، كانت قد حلت محل الكتابة البونية القديمة[2] ابتداء من سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م[3].

ويرى بعض الباحثين المتخصصين في علم الكتابات السامية أن الكتابة البونية الجديدة تعد آخر مراحل الانحطاط التي وصلت إليه الكتابة الفينيقية في بلاد المغرب القديم، حيث أصبح القائمون بنقش هذه الكتابة يميلون إلى السرعة وإلى قلة الاعتناء في إعطاء الحرف الهيئة التي يستحقها وعلى سبيل المثال فإن حرف الباء –ب–، والدال–د– والراء–ر– أصبح لا يفرق بينهما بل تكتب على شكل ربع دائرة أو قوس (ʼ)، مما يجعل الشك والاضطراب ينتاب دارس رموز الكتابة البونية الجديدة.[4]

وبعد دراسة النقوش البونية تبين تفوق أعداد النقوش البونية على مثيلاتها البونية الجديدة، ويمكن أن يكون ذلك راجعاً إلى عدة أسباب من بينها:

1. أن الفترة التي استغرقها التعامل بالكتابة البونية يفوق الفترة الزمنية التي استغرقتها الكتابة البونية الجديدة حيث بدأ التعامل بها بعد تهديم مدينة قرطاجة كما سلف الذكر.

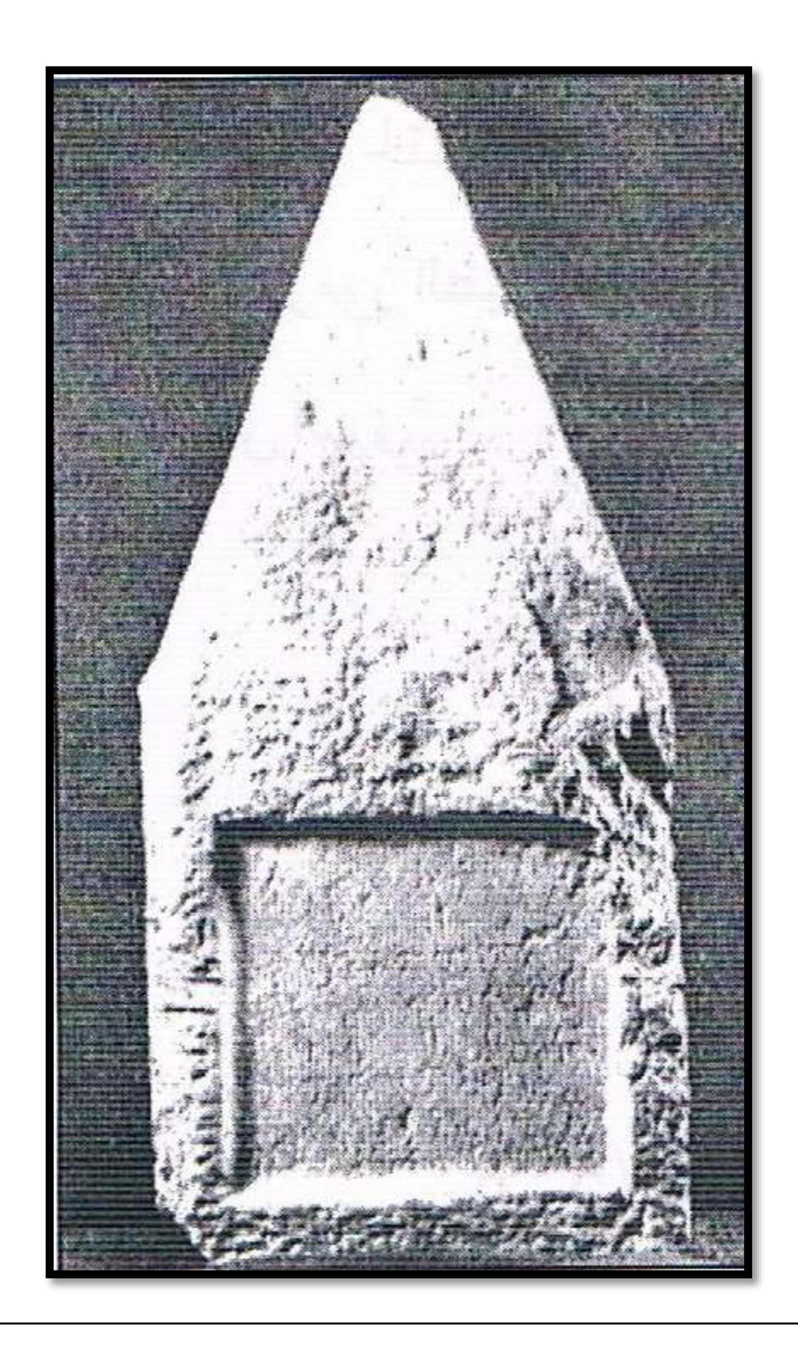
---

[1] محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 126.

[2] كان الانتقال من الكتابة البونية إلى البونية الجديدة قد حدث بالتدرج وعلى مراحل، حيث استمرت الكتابة البونية ثم تسربت إليها في بداية الأمر بعض الحروف البونية الجديدة، وبعد ذلك حلت هذه الأخيرة محل الكتابة البونية القديمة.

[3] في الحقيقة ليس هناك فرق جوهري بين فينيقي وبوني، فالمصطلح واحد، والفرق بينهما هو أن كلمة بوني تتفرد بأنها تطلق على تسلسل الحضارة الفينيقية في غربي المتوسط، لا سيما بعد تأسيس مدينة قرطاجة وانفصالها عن صور الأم في شرقي المتوسط على الساحل اللبناني ثم دخول عنصر جديد مع الفينيقيين في بلاد المغرب وهم المغاربة، وبعبارة أوضح فإن مصطلح بوني، وبوني جديد هو عبارة عن تسلسل زمني مرت به الكتابة الفينيقية في بلاد المغرب. ابتداء من تأسيس قرطاجة وانفرادها بالحكم في غربي المتوسط حتى ما بعد سقوطها سنة 146 ق.م. ينظر: محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 126.

[4] محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص 76.



الشكل رقم (12): نصب نقيشة الملوك النومديين.

نقلاً عن: محمد الصغير غانم، الفن الزخرفي والكتابة البونية في نصب سيرتا النوميدية، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص271.

2. كانت الكتابة البونية هي التي تؤدى بها اللغة الرسمية في الدولة القرطاجية، بينما ظهرت البونية الجديدة في بعض المناطق المتأثرة بالحضارة البونية، أي قليلة الانتشار ومحصورة في مناطق محدودة.

3.غياب كتابات رسمية تنافس الكتابة البونية في بلاد المغرب القديم، قبل تهديم قرطاجة، بينما على العكس من ذلك وجدت الكتابة البونية الجديدة منافساً خطيرا يتمثل في الكتابة اللاتينية بعد الغزو الروماني وسياسته التي تهدف إلى القضاء على الثقافة المحلية.[1]

ومن أهم المكتشفات الأثرية المتعلقة باللغة البونية مجموعة نقوش معبد الحفرة البونيقي بقسنطينة[2] التي تم العثور عليها ربيع عام 1950م وهي تتكون من حوال 278 نقيشة منها 32 كتبت بالكتابة البونية الجديدة و246 كتبت بالحروف البونية، ورغم الطابع النذري لهذه النقوش فإن لها قيمة تاريخية بالنظر لما تتضمنه من معلومات عن مجتمع مدينة سيرتا آنذاك ومنها اللغة التي كان يستعملها أفراده في حياتهم اليومية.[3] (ينظر الشكل رقم 13 ص)

[1] محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 127.

[2] معبد الحفرة البوني بقسنطينة: يقع عند نقطة تقاطع طريق سطيف والطريق المؤدي إلى مطار عين الباي، تم العثور فيه على ما يقرب من 900 نقيشة مابين سنوات 1875 – 1950م، حيث عثر في هذه الحفرية الأخيرة فقط على 700 نقيشة وهي عبارة عن نصب وأنصاف نصب إهدائية، غير أنها لا تخلو من الأهمية، ذلك أنها زودت الباحثين بمعلومات قيمة تطرقت إلى كثير من الوظائف والمهن ثم الحرف المنتشرة في سيرتا في عهد ملوكها النوميديين خاصة، حيث قدمت لنا تلك النصب، ولأول مرة تقريبا تواريخ مضبوطة تعود إلى عصر بعض هؤلاء الملوك. لمزيد من المعلومات ينظر: فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص9.

[3] A.Berthier et L'abbé René charlir, Le Sanctuaire punique d'El hafra à Constantine, Paris, 1955, P. 10.



الشكل رقم (13): نقيشة الملك ماسينسا.

نقلاً عن: محمد الصغير غانم، الفن الزخرفي والكتابة البونية في نصب سيرتا النوميدي، المرجع السابق، ص 288.

كان ذلك الاكتشاف مثيرا للدهشة وقد عبر ألبير غروني على ذلك الإحساس قائلا: " **إن ما يدعو للإعجاب هو أن يوجد في سيرتا وفي عمق بلاد البربر إشعاع قرطاجة الحضاري.**"[1] ويتضح من خلال النص مدى تغلغل اللغة البونيقية إلى ذلك العمق النوميدي.

وقد كتبت النصوص النقوشية الرسمية المتعلقة بالمملكة النوميدية باللغة البونية وكانت واحدة منها ذات طابع ديني مزدوجة الكتابة، تحتوي على الترجمة اللوبية لنص بوني، ويتمثل هذا في النص الإهدائي المنقوش على لوح في معبد ماسينيسا بدوقة، وينبغي على الباحثين التمحيص، لأن النص البوني متبوع بجلمة أخيرة لا مقابل لها في الترجمة اللوبية.

وإذا كان النص البوني يحتل المكانة الأولى في إهداء معبد ماسينيسا، فإن ذلك ليس أمرا عاديا لأن البونية كانت اللغة الرسمية في المملكة النوميدية.

بينما توضح وفرة النقوش اللوبية في دوقة أن اللغة والكتابة النوميدية كانت معروفة عند سكان تلك المدينة خلال القرن الثاني ق.م، مثلما لوحظ في نص إهدائي خاص على غرار نص ضريح أتبان (Ateban) نجد النص اللوبي يسبق النص البوني على اليمين.[2]

والحقيقة أنه يصعب يصعب على الباحث حصر عدد النقوش البونية والبونية الجديدة، ذلك لأنها حتى الآن لم تجمع في كتاب واحد أو تبوب حسب أهميتها ومناطقها الجغرافية، غير أنها لا تزال متبعثرة بين المكتبات ودور الأرشيف الجزائرية والتونسية والمغربية والعالمية.[3]

---

[1] Ibid, P.P (10-11).

[2] كابريال كامبس، المرجع السابق، ص. ص (319– 320).

[3] محمد الصغير غانم، معالم التواجد الفينيقي، المرجع السابق، ص 135.

لقد تم العثور على نقائش بونية عديدة في ربوع الممالك النوميدية المورية لاسيما في الحواضر ومنها سيرتا[1] العاصمة النوميدية.

وكان للغة البونية حضور مكثف في المدن المطلة على سواحل غربي ليبيا، لاسيما في مدينة طرابلس وفي سبراطة ولبدة الكبرى، التي توجد أطلالها قرب مدينة الخمس الليبية.

وفي تونس حظيت اللغة البونية بظروف مواتية جعلتها تتألق وتتسع رقعتها حتى شملت ربوعا مترامية الأطراف تمتد من وتيكة وقرطاجة إلى رمال الصحراء، ففي ضواحي تطاوين ورمادة عثر على نقائش بونية تؤكد أن الغزو الروماني فشل في إقصائها وتحويلها.[2]

تثبت تلك النقائش بكمها ومضمونها مدى انتشار القراءة والكتابة في المجتمعات البونية اللوبية. ومن الطرائق ما تم العثور عليه في ضواحي مدينة قالمة بالقطر الجزائري نصب عليه نقيشة بونية سطرت بالحرف النسخي تدعو عابر الطريق أن قف واقرأ. فهي شاهد على انتشار التعليم في المدن والأرياف البونية النوميدية.[3]

---

[1] سيرتا أوكرتان (Kirtan) تسمية سامية فينيقية تعني المدينة مثل: قرتي حدشت أي المدينة الجديدة.
وهي مدينة نوميدية توجد بالشرق الجزائري، تحمل اليوم اسم قسنطينة، كانت من أكبر عواصم المملكة النوميدية المازيسيلية، أطلالها تشهد على عمق الحضارة البونية فيها ويتجلى ذلك في معالم دينية وجنائزية منها معبد التوفاة والنصب التي أقيمت إجلالا لبعل حامون وتانيت، نذكر منها ضريح الملك ماسينيسا أو ما يعرف بضريح صومعة الخروب. أما عن اسمها القديم كرتان، فقد ورد مكتوبا على النقود التي ضربت في عهد الملوك النوميديين.
وقد ركز الباحثون الفرنسيون اهتمامهم أكثر في دراسة تاريخ وآثار قسنطينة على الفترة الرومانية، لأن الفترة القديمة بالنسبة للكثير منهم كانت مرادفا للفترة الرومانية فقط التي اعتبروها ارثهم الحضاري، لذلك لابد من ابراز قيمتها كعاصمة نوميدية متفتحة على الحضارات الأخرى، وكمدينة وصلت إلى العالمية بفضل وجود فئات بشرية متنوعة، بونية وإغريقية وإيطالية وغيرها امتزجت مع سكانها الأصليين لتجعل منها مدينة غير عادية، تماثل المدن الكبرى آنذاك.
من جهة أخرى، يتوزع تاريخ الأطلال النوميدية – البونية التي أزيح عنها التراب في كرتان على مابين القرنين الثالث والأول قبل الميلاد. لمزيد من المعلومات ينظر: جهيدة مهنتل مقروس، حاضرة قسنطينة كرتا النوميدية والرومانية، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص. ص (3-4).

[2] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 118.

[3] المرجع نفسه، ص 118.

هذا بالإضافة إلى بعض النقوش التي وجدت على المسكوكات والفخار، وغالباً ما تكون قصيرة بحيث لا تتجاوز أسماء الأعلام.[1]

وضع اللغة البونية أثناء الاحتلال الروماني: تبنى النوميديون اللغة البونيقية وتشبعوا بثقافة الشرق ومن الأدلة التي تثبت ذلك أن مجلس الشيوخ الروماني اعترف لهم بذلك وسلمهم الكمية التي تجاوزتها النيران في مكتبة قرطاجة[2]، وكانت تلك المكتبة قبل سقوط قرطاجة سنة 146 ق.م ذات شهرة بحيث نافست مكتبة الاسكندرية[3] بمصر.

وقد أكد الكاتب كابريال كامبس: "**أن أفريقيا لم تصطبغ بالحضارة البونية تماما إلا بعد نهب قرطاج في 146 ق.م ويبين لنا التاريخ الأفريقي الذي لا لبس فيه أن ماسينيسا استلم من يدي سيبيون الإميلي الضمان المادي لإرث قرطاج الروحي وهو مخطوطاتها التي سلمت من الحريق**".[4] يستنتج من خلال النص أن الثقافة البونية زاد امتدادها أثناء الاحتلال الروماني، حيث حافظت الكثير من المدن على استعمال اللغة البونيقية خلال هذه الفترة، ومنها مدينة طرابلس ولبدة ودوقة، حيث تدل الوثائق الأثرية على استمرار اللغة البونيقية بتلك المدن إلى القرن الثاني بعد الميلاد رغم غزو اللاتينية للمدن والحواضر المغربية.[5]

كما ظل التخاطب بالبونيقية متواصلا ببعض الأرياف القريبة من المدن ذات العراقة البونيقية إلى القرن الخامس الميلادي، وهو ما شهد به الأسقف أوغسطين الذي ذكر بأنه كان

---

[1] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية، المرجع السابق، ص 228.

[2] تحدث كثير من الكتاب الإغريق واللاتين عن أهمية المكتبة القرطاجية مشيرين إلى محتوياتها القيمة، والظاهر أن آخر المستفيدين منها هو يوبا الثاني الذي اعتمد على ماورد في بعض كتبها الجغرافية عندما كان يعد رحلاته الاستكشافية بحثاً عن منابع النيل. ينظر: الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 120.

[3] عرفت باسم مكتبة الإسكندرية الملكية أو المكتبة العظمى، شيدها بطليموس الأول ويقال أنه تم تأسيسها على يد الإسكندر الأكبر ويقال أيضا أنه تم تأسيسها على يد بطليموس الثاني في أوائل القرن الثالث قبل عام (285 – 247 ق.م).

[4] كابريال كامبس، المرجع السابق، ص 318.

[5] معا العيساوي، النقوش النوميدية في بلاد المغرب، المرجع السابق، ص 67.

يواجه صعوبات في إفهام جمهور الريف ما يريده باللغة اللاتينية، وأنه كان مضطر لاستصحاب المترجمين الذين يجيدون اللغة البونيقية.[1]

وقد شكك كورتوا (Ch. Courtois) ومجموعة من المؤرخين، فيما ورد عن أوغسطين معتقداً أن البونيقية زال أثرها قبل عهد أوغسطين بكثير وأن الرومنة قد عمت الحواضر النوميدية والأرياف المحيطة بها وأنه ربما اختلط الأمر على أوغسطين فاعتقد أن اللوبية هي البونيقية.[2]

الحقيقة أن الاكتشافات الأثرية الجديدة أكدت صحة رواية أوغسطين جاعلة فرضية كورتوا مجرد شكوك باطلة بعيدة عن الصحة العلمية والموضوعية التاريخية.

وتذكر المصادر التاريخية أن اللغة البونيقية قاومت الغزو اللاتيني في المدن بصورة متفاوتة، حيث ضعفت في مدينة سيرتا أمام كثرة المجتمع اللاتيني، الذي أقبل عليها منذ سقوط مملكة نوميديا عام 46 ق.م على يد قيصر الذي منح مرتزقة سيتيوس سيرتا وإقليمها،[3] بينما صمدت كلاما (قالمة) ومكثر ودوقة مدة أطول في وجه المد اللاتيني مما جعل البونيقية تستمر بها إلى فترة أطول .[4]

بعد الغزو الروماني رفضت روما الاعتراف باللغة البونيقية في الدوائر الرسمية، كما شجعت الأهالي على تعلم اللاتينية والإقبال على ثقافة روما وجعلت من ذلك معيارا يؤهل

---

[1] M.Benabou, La Résistance africaine à la romanisation, Paris, 1976, P P.(483- 489).

[2] Ch.Courtois, « Saint Augustin et le problème de la survivance de Punique » Rev. Af. T :XCIV, 1950, P.P (259-282).

[3] عندما آل الحكم الروماني إلى الإمبراطور أكتافيوس اغسطس وانتهاء العهد الجمهوري بروما، أصبحت المقاطعتان الإفريقيتان، القديمة والجديدة تحت سيطرته خلال الفترة الممتدة ما بين سنة 36-27م وهي الفترة التي دخلت فيها مدينة كرتا النظام الروماني بصورة مباشرة وواضحة، حيث منحها الإمبراطور اكتافيوس لقب مستعمرة (Colonia Julia Cirta) وهو نفس الاسم الذي ذكرها به بطليموس (كرتا يوليا كولونيا). ينظر: جهيدة مهنتل مقروس، المرجع السابق، ص 104.

[4] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003، ص 158.

صاحبه للحصول على امتيازات مدنية ومنها درجة المواطنة الرومانية وذلك نوع من الإغراء للترومن والأخذ بثقافتها والتخلص من الثقافة المغربية.[1]

هذا وقد ساهم النوميديون في تطوير اللغة البونيقية التي تواصل انتشارها على أيديهم ببلاد المغرب مدة طويلة، بينما تراجعت الفينيقية بالمشرق أمام ضغط لغات أخرى كالإغريقية التي غزت مجتمعات الشرق ابتداء من توسعات المقدونيين هناك.

ويتجلى مظهر التطور في بروز خط جديد دعي بالبونيقي الحديث، حيث كان أكثر قابلية للكتابة العادية، التي كانت ترقم على سطوح مرنة كألواح الطين، ثم ما لبث هذا النموذج الخطي أن أصبح هاماً يكتب على الألواح التذكارية والنذرية المنحوتة على الحجارة.[2] (ينظر الشكل رقم 14 ص)

وخلاصة القول يمكن أن نستنتج أن النقوش البونية تشكل مصدرا أساسا لا يستهان به في دراسة تاريخ وحضارة المغرب القديم في غياب المصادر الكتابية.

هذا بالإضافة إلى أن اللغة والكتابة البونية في المغرب قد عايشتا اللغة والكتابة اللاتينية حتى القرن الخامس ميلادي، لاسيما في المناطق التي كانت بعيدة عن الاستعمار الروماني.[3]

ثالثاً: اللغة الإغريقية: كان لموقع بلاد المغرب القديم، الذي يتوسط العالم القديم مع امتلاكه للطرق البحرية أن منحه اتصالا بالعالم الإغريقي وما احتواه من حضارة فكرية وعلمية ودينية ولغوية، وكانت طبيعة اليونان الجغرافية والمتسمة بالطابع الجبلي مع قلة المساحات الزراعية أن دفعت بالإغريق إلى البحث عن مناطق خارج حدود الإقليم للاستقرار فيها، فأقاموا علاقات مع بلاد المغرب منذ العصور التاريخية الباكرة، وعوامل التأثير عديدة من الجانبين، فبعد انفتاح بلاد المغرب على العالم المتوسطي أثناء التواجد الفينيقي أصبح

---

[1] المرجع نفسه، ص 158.

[2] محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية، المرجع السابق، ص 230.

[3] محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غربي البحر، المرجع السابق، ص 06.



الشكل رقم (14): نصب تذكاري يحمل كتابة بونية حديثة.

نقلاً عن: محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة، المرجع السابق، ص 45.

الاتصال بين الإغريق وسكان المغرب القديم أكثر سهولة خصوصاً بعد الانتشار الإغريقي عبر الحوض الغربي للمتوسط حيث تمكن اليونانيون من تأسيس مدينة "قورينا" بحسب ما أورده هيرودوت من أن كاهنة "دلفي" قد أمرت ملك "ثيرا"[1] بأن ينشئ مدينة في ليبيا، ويعتقد أن ذلك كان على يد "باتوس"[2] وعرف عن ليبيا خصوبة أرضها، وتربيتها للخيول[3].

إضافة إلى استقرار جاليات يونانية ببرقة[4] وصقلية وسردينيا وقيام البحارة الإغريق بمحاولاتهم اكتشاف البلاد الواقعة خلف القرطاجيين (أي نوميديا وموريتانيا) وكانت حالات التوتر في العلاقات بين نوميديا وقرطاجة عاملاً مشجعاً للإغريق كي يقدموا على توطيد علاقاتهم بالنوميديين[5] نظرا لاتفاق وجهة الطرفين إزاء القضايا المتوسطة ومنها الرغبة في الحد من هيمنة قرطاجة البحرية ونفوذها التجاري الواسع في حوض المتوسط الغربي.[6]

---

[1] ثيرا (Thera) ، إحدى جزر السبورايد شمال جزيرة كريت، وتدعى اليوم سانتورين وهي جزيرة شبه دائرية، يعتقد بأن الفينيقيين أول من عمرها ثم بنا الأكونيون فيها معبدا لأبولو قبل أن يهاجر أهلها إلى قورينا. ينظر: علي فهمي اخشيم، المرجع السابق، ج2، ، ص 20.

[2] باتوس شخصية تاريخية امتزجت بعالم الأساطير في كتب اليونان، ويعتبر رئيس اليونانيين النازحين، ومؤسس الأسرة الباطية المؤلفة من ثمانية ملوك والتي حكمت قورينا لمدة مائة وخمس وثلاثين سنة. ينظر: علي فهمي اخشيم، المرجع نفسه، ج2، ص 24.

[3] سترابون، في نصوص ليبية، تر: علي فهمي اخشيم، الكتاب السابع عشر، فصل 3، فق 21، ص 64.

[4] يعود أصل إغريق برقة إلى أهل ثيرا (سانتورين حاليا) وكان سبب قدومهم إلى المغرب القديم هو القحط وتدهور المحصول والضغط السكاني في أواخر القرن السابع ق.م وبذلك أرسلوا أبناءهم بصفة مستعمرين وليس بصفة تجار، ففي الواقع لم يكن لديهم ما يتاجرون به، وكانت مغامراتهم صعبة للوصول إلى المغرب القديم، وفي بداية الأمر عند ما حاولوا العودة إلى ديارهم رماهم أهلهم بالساهم كي لا يعودوا وبهذه الطريقة قسمت الأراضي بين من تبقى من العائلات الثرية، وأسسوا هم مستوطنتهم في بلاد المغرب القديم. للمزيد من المعلومات ينظر: روبرت ليتمان، التجربة الإغريقية بين حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي (800 ق.م– 400 ق.م) تر: منيرة كروان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000، ص 46.

[5] شامو فرانسوا، في تاريخ ليبيا القديم، الإغريقية في برقة الأسطورة والتاريخ، تعريب محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا، 1990، ص 43.

[6] لقد كان دافع الاستيطان الإغريقي مختلفاً عن الدافع الذي أسست لأجله قرطاجة ولذلك تعارض الإغريق مع القرطاجيين، وقام صراع بينهما سرعان ما انتقل إلى عرض البحر المتوسط بعد أن كان في سواحل المغرب القديم، حيث تمكن الإغريق

كما جاءت هزيمة قرطاجة في حربها ضد الرومان بداية مرحلة جديدة بالنسبة للدولة الإغريقية ومملكة نوميديا التي منحتها معاهدة ما بعد الحرب امتيازات معتبرة منها: الحق في التعامل المباشر مع العالم الخارجي وربط علاقات تجارية ودبلوماسية مع الدول المجاورة مثل: دويلات الإغريق حيث اندفع التجار الإغريق نحو الموانئ والمدن التجارية النوميدية كما عمل ملوك الإغريق ووجهائهم على التقرب من ملوك نوميديا وأمرائها.

وتطورت تلك العلاقات حتى أضحت صداقة بين الطرفين توطدت أواصرها عن طريق السفارة والزيارة وتبادل الهدايا والتكريم.

ومن ذلك أن نوميديا كانت توفد أمراءها في بعثات طلابية إلى العواصم اليونانية لتلقي المعرفة على أيدي أدباء وفنانين إغريق[1]، حيث يقول كابريال كامبس:" **تضاعف الاحتكاك ببلاد الإغريق على امتداد حكم ماسينيسا ولا تزال بعض الشواهد الأدبية والنقوشية والأثرية من تلك المبادلات والعلاقات قائماً، وهو ما جعل فترة حكمه فترة انفتاح بلاد البربر على التأثيرات الإغريقية ليس فقط في المدن الساحلية ولكن المدن الداخلية التي اتخذها الملك وأبنائه عواصم لهم من بعده.**[2]

وبذلك نلاحظ أن ماسينيسا أقام علاقات صداقة مع الإغريق (اليونان) حيث انفتحت أبواب مملكته لأرباب الفن والثقافة والتجارة اليونان، وقد بلغ ماسينيسا وحلفاؤه في تقريب العنصر الإغريقي من القصر واستخدامه في مجالات البناء والتعمير.

وتذكر المصادر أن بدايات الهلينة (انتشار الثقافة والحضارة الإغريقية) في المملكة النوميدية تعود إلى فترة حكم ماسينيسا، -كما ذكرت سابقاً- حيث أنشأ أبناءه الثلاثة الذين

من منافسة قرطاجة في الحوض الغربي للمتوسط بعد أن نافسوا الفينيقيين في الحوض الشرقي. ينظر: مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، ط1، المبطعة الأهلية، بنغازي ليبيا، 1966، ص.ص (56-58).

[1] محمد بشير شنيتي، المرجع السابق، ص. ص (161- 162).

[2] كابريال كامبس، المرجع السابق، ص 237.

أوصى لهم بالحكم من بعده وهم ميسيبسا[1] وغولوسن ومسطنبعل تنشئة إغريقية، وهذا يعني تعايش ثلاث لغات في البلاط النوميدي: اللوبية لغة البلاد والبونية والأغريقية[2] وكان استعمال هذه الأخيرة رسميا في الحياة العملية والعلمية. وبذلك توجب على رجال النخبة المغاربة كالمهندسين والرسامين والموسيقيين تعلم الأبجدية الإغريقية.

وقد أصبحت اللغة الإغريقية بعد التوسع الإغريقي شرقاً وغرباً لغة عالمية بالنسبة للعالم القديم، حيث انتشرت في آسيا الصغرى ومصر وليبيا وإيطاليا وشمال إفريقيا وقورين[3]، وأصبحت لغة التجارة والعلم معاً، وقد كان متعذراً على التجار الإيطاليين أن يتفاهموا مع النوميديين من غير استعال البونيقية أو الإغريقية أو استخدام المترجمين للتعامل التجاري فيما بينهم.[4]

ومن خلال هذه الحقيقة يمكن أن نقر بتواجد تعايش لغوي ثلاثي (لوبية – بونيقية – إغريقية) في أوساط محدودة على الأقل، ولدى الفئة المثقفة من علية القوم، والذي دعى إلى هذا الافتراض أن مدينة سيرتا (قسنطينة) قد عرفت هذه الثلاثية اللغوية أثناء العهد

---

[1] ميسيبسا (Micipsa): ذكر في الكتابات القديمة باسم مكوسن، وهو الابن الأكبر لماسينيسا، تقاسم عرش الماسيل مع أخويه غلوسن ومسطنبعل، بعد وفاة أبيهم سنة 148 ق.م. غير أنه انفرد بالحكم بعد وفاة أخويه سنة 139 ق.م. وحكم إلى غاية 118 ق.م. ينظر: محمد الصغير غانم، نقيشة ميسيبسا الأثرية، مجلة سيرتا، عدد4، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص. ص (2 - 4).

[2] هي لغة أهل أثينا ألفت فيها روائع الأدب والفلسفة، واللغة اليونانية هي إحدى الفروع الهامة في الأسرة المتعددة اللغات المعروفة بالهندو أوروبية والتي تضم اللغة اللاتينية وما اشتق منها من لغات أوروبا الغربية كالإيطالية، واللغات السلافية وما اشتق منها من لغات أوروبا الشرقية كالصربية وشمال آسيا كالروسية ولغات آسيا الصغرى كالفارسية، وغالبا ما يتم مقارنتها مع اللغات السامية التي تنتمي إليها اللغة الفينيقية والعبرية وغيرهما. لمزيد من المعلومات ينظر: مفيد رائف العابد، المدخل إلى اللغة اليونانية، ط1، منشورات جامعة دمشق، 1977، ص. ص (3 - 7) .

[3] تأسست مستعمرة قورين سنة 637 ق.م من قبل جالية إغريقية قدمت من جزيرة ثيرا (THERA)، وقد أشار هيرودت إلى تأسيس قورين، ولكن كعادته أدخل في ذلك التأسيس أحداثا ووقائع أسطورية.

ينظر: (P) L'évêque L'aventure grecque, éditions Armand Colin, Paris, 1964, P.195.

[4] محمد البشير شنيتي، لمحة عن التفاعل الثقافي في الجزائر القديمة، مجلة الإنسان، عدد2 ، مركز البحوث في الأنثروبولوجيا، وما قبل التاريخ والإثنوغرافيا، الجزائر، 1983، ص.ص (18 - 19).

النوميدي[1] بدليل أنصاب معبد الحفرة التي نقشت عليها كتابات إغريقية مختلطة مع الأنصاب البونية والبونية الجديدة وهي نقوش تضمنت نماذج للغات ثلاثة بصفة متفاوتة الحجم والعدد طبعاً، بالإضافة إلى مائة وثلاثون لقباً ذي أصل إغريقي والذي تم التنقيب عنها في نفس المنطقة من طرف علماء الآثار.[2]

وقد اعتقد بعض المؤرخين أن النقوش الإغريقية بمدينة سيرتا تخص جالية إغريقية، كانت تعيش في تلك المدينة النوميدية الحصينة، حيث استبعدت الدراسات التاريخية حقيقة تفتح البربر وذوبانهم الكلي في ثقافة الإغريق، ومن جهة أخرى أكدت على احتمال تأثر الأقلية من حكام البربر باللغة اليونانية[3].

وإن صحة وجود اللغة الإغريقية ببلاد المغرب القديم لاشك من وقوعها لما فيه من بقايا أثرية مادية كتلك التي وجدت منقوشة في المعابد وعلى الأضرحة. ولكن الدرس اللغوي ينفي أية علاقة لغوية تأثرية بين لغة الإغريق والبربر، لأن تطور اللغة واللهجة يحمل في طياته أصولا لبعض الكلمات المأخوذة أو الدخلية، لكن هذا الافتراض لا يتعارض مع القول بوجود الناطقين بالإغريقية من النوميديين بالمدينة خاصة إذا تذكرنا أن النقوش البونيقية نفسها تضمنت أسماء إغريقية والعكس صحيح،[4] وبلغت الهلينة في بلاد المغرب أوجها على يد

---

[1] المرجع نفسه، ص 19.

[2] (F) Decret et (M) Fantar, L’Afrique du Nord dans l’antiquité, Histoire et civilisation des origines au Vème Siècle, Ed. Payot, Paris, 1991, P.113.

[3] ونود الإشارة هنا إلى أنه رغم تهلين النوميديين في المدن أسوة بأسرة ماسينيسا إلا أنهم لم يكتبوا خلال هذه الفترة باليونانية، وعلى افتراض أنهم كتبوا فالثابت أثريا أنه لم يصلنا شيئ منها، والوحيد الذي كتب كان يوبا الثاني (50 – 23 ق.م) بعد الاحتلال الروماني وكردة فعل على الثقافة اللاتينية، كما أن الكتابة اليونانية في المغرب القديم قد أكب علماء اللغة على دراستها فيلولوجيا وخاصة الباحثين من جامعة قار يونس ببنغازي، وكذا الأمر بالنسبة للبونية التي اهتم بدراستها أعضاء هيئة التدريس بجامعة منوبة. ينظر: مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 332.

[4] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، مرجع سابق، ص 51.

الملك يوبا الثاني ولكن الزحف الإمبراطوري الروماني أوقفها في كامل العالم القديم لتحتل محلها اللغة اللاتينية.

المبحث الثالث: اللاتينية لغة الاحتلال الروماني

انتشرت اللغة اللاتينية كما انتشرت اللغة اليونانية ثم القرطاجية في بلاد المغرب وأثرت في اللوبية، وخاصة في الطبقة المتعلمة من المغاربة، حيث شملت الحضارة الرومانية الجوانب المادية، وكذلك نشر الثقافة واللغة الرومانية بكافة الوسائل التي توفرت لهم في المجتمع المغربي، فهل تحقق ذلك بصورة عملية من جانب المغاربة؟ أم استمروا في استخدام لهجاتهم اللوبية والبونية؟

أولاً: ماهية اللغة اللاتينية وأطوارها : اللاتينية أو الرومية هي أصل اللغات الأوروبية الهندسية، يقال أنها متأصلة من السنسكريتية لها بعض العلاقات مع الإغريقية، وهي لغة إيطاليقية كانت متداولة أولا في سهل اللاتيوم (Latium)– وهو الجزء الأوسط من شبه الجزيرة الإيطالية– وفي مدينة روما القديمة ثم انتشرت عبر المتوسط وإلى جزء واسع من أوروبا بفعل التوسعات الرومانية.[1]

كانت اللاتينية تعتمد في قواعدها على ترتيب الكلمات ونقل المعنى من خلال نظام اللاحقة المتصلة بجذر الكلمة، وتعتمد أبجدية اللغة على الأبجدية الإتريورية ، التي كانت بدورها تعتمد على الأبجدية اليونانية.[2]

وقد مر تطور اللغة اللاتينية بمجموعة من المراحل يمكن للباحثة تحديدها فيما يأتي:

1.اللاتينية القديمة: تشمل اللاتينية القديمة الكتابات اللاتينية منذ بدايتها وحتى نهاية العصر الجمهوري بروما، من سنة 240 إلى 70 ق.م تشمل كتابات إنيوس وفلاوتوس.[1]

---

[1] الموسوعة العربية الميسرة، المرجع السابق، ص 1536.

[2] محمد عبد الكريم الرُدَيْني، فصول في علم اللغة العام، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007، ص 75.

2.اللاتينية الكلاسيكية: تمتد مرحلة اللاتينية الكلاسيكية ما بين 70ق.م و 130م وتنقسم إلى عصرين: عصر ذهبي (70 ق.م إلى 14 م) ويشمل الكتابات النثرية ليوليوس قيصر وليفيوس بالإضافة إلى أشعار كاتولوس.[2]

تطورت الأساليب التعبيرية والبلاغية للغة اللاتينية بشكل متميز خلال العصر الذهبي الذي يعتبر أرقى عصورها، ويمتد العصر الفضي ما بين (14 إلى 130م).

تمتاز اللغة الكلاسيكية باختلافات فونولوجية وأروثوغرافية بسيطة عن اللغة القديمة.[3]

3.اللاتينية المتأخرة: تمتد اللاتينية المتأخرة من القرن الثاني الميلادي حتى القرن السادس (حوالي عام 636م)[4].

ثانياً: عوامل انتشار اللغة اللاتينية في المغرب القديم: كانت اللغة اللاتينية معروفة عند الشعب المغاربي، وقد عرفها الساسة ضمن العلاقات التي كانت تربطهم بروما في مجالات مختلفة في السلم والحرب، حيث كانت لماسينيسا علاقات وطيدة بالرومان استمرت طيلة عهد ابنه ميسيبسا وهي العلاقة التي جعلت حفيده يوغرطة يقف إلى جانب الرومان في حرب نومنتيا.[5]

هذه العلاقة مكنت الحكام من إتقان اللغة اللاتينية، حيث ألقى أدربال خطابا في مجلس الشيوخ الروماني[6] نقله إلينا سالوستيوس[1] ورافع يوبا الأول في نفس المجلس دون الاستعانة

---

[1] محمد بن رابح، بقاء اللغات وانتشارها، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمان، 1999، ص 56.

[2] المرجع نفسه، ص ص (56 - 57) .

[3] إبراهيم أيوب، التاريخ الروماني، ط1، المؤسسة العربية الحديثة، بيروت، 1996، ص 107.

[4] المرجع نفسه، ص 106.

[5] غايوس كريسبوس سالوستيوس، المصدر السابق، ص 80.

[6] من المرجح أن يكون خطاب أدربال باللاتينية، مع أن سالوستيوس لم يشر إلى ذلك، والأكيد أن اللغة اللاتينية منذ توطيد علاقة الأسرة الملكية الماسيلية بروما تكون قد نالت مكانة خاصة في البلاط الملكي النوميدي. ينظر المصدر نفسه، ص 84.

بمترجمين، وكان في المدن النوميدية جاليات رومانية من التجار خاصة في سيرتا، إضافة إلى الجيش النوميدي الذي انخرط فيه أفراد من جنسية رومانية، لكن بعد ذلك بدأ الرومان في احتلال شمال إفريقيا سنة 146ق.م فوجدوا مقاومة بربرية قوية، خاصة بالمناطق الجبلية والداخلية.[2]

كما انتهج الرومان سياسة تستهدف المواقع الريفية لنشر اللغة اللاتينية، لأن البدو أقل الجماعات اللغوية (Communauté linguistique) تعرضاً للتأثير والتأثر والأكثر تمسكاً بعاداتهم وثقافتهم. ولكن هذا الاستعمار فشل في سيطرته على المناطق المستهدفة مما دفع الرومان إلى طرد البربر من المدن نحو الأرياف والصحاري. وكان هذا يُدعى "المنجى التاريخي"[3] والذي قد صان الأغلبية الساحقة من البربر من التكلم باللغة اللاتينية.

إلا أن المستعمر استطاع أن يثبت اللغة اللاتينية في المدن الكبرى ولو بشكل نسبي فما هي العوامل التي ساعدتهم على ذلك؟

أ) النظم الادارية والقانونية: ساهمت الإدارة الرومانية في نشر اللغة اللاتينية باعتبارها اللغة الرسمية المستعملة في المحاكم والمجالس وفي القرارات والمراسيم، والمناقشات البلدية والمراسلات الإدارية والاتفاقيات وبلاغات الحكومة، والشرط الأساسي في وظائف الدولة

---

[1] هو غايوس كريسبوس سالوستيوس (Caius crispus Sallustius) ولد في إقليم السابين (Sabinum) في أميترنوم (Amiternum) سنة 86 ق.م. في عهد القنصلية السابعة لماريوس، ينتمي إلى عائلة ثرية، لكنه من الطبقة العامة، توجه إلى روما بحثا عن الشهرة والمجد، حيث كان له منذ وقت مبكر ميل قوي نحو الآداب، وعلى وجه الخصوص نحو دراسة التاريخ، ومن أهم الأحداث الكبرى التي عايشها: دكتاتورية سولة، والاضطرابات التصاعدة في عهد لبيدوس (Lepidus) والسلطات المتنامية لبومبيوس (Pompeius) وبدايات قيصر (Julius Caesar). ينظر: المصدر نفسه، ص. ص (24-25).

[2] (F) Decret et (M) Fantar (M), OP, Cit.P.140.

[3] Laroui (A), L’histoire du Maghreb , un essai de synthèse , Ed.F. Maspéro , Paris , 1970, P.06.

والحصول على المواطنة.[1] كما عملت الإدارة الرومانية على تطبيق النصوص القانونية اللاتينية في مدن الولايات مما حفز الأهالي على تعلم هذه اللغة لفهم تلك القوانين والتخاطب بها لأنها أصبحت ضرورية في حياتهم.[2]

وكون الإدارة الرومانية منعت تعميم التعليم على جميع سكان الولايات، فقد تعلم البعض القليل منهم اللغة اللاتينية وأحسنها وظل أغلبهم لا يجيدها ولايتقنها أو يجهلها تماماً ولا يعرف إلا اللغة اللوبية أو البونيقية.[3]

ب) المدارس: تعد المدارس أهم أداة لرومنة المجتمع،[4] ونشر اللغة اللاتينية بين أفراده، وكانت مناهج التعليم فيها ترتكز على القراءة والكتابة والحساب ثم النحو وعلى التلاميذ أن

---

[1] المواطنة ترقية اجتماعية سياسية للأفراد والجماعات وترسيخ للولاء لروما، مثلما يوجد الروماني بالولادة هناك الروماني بالتجنس، وقد كانت الموطنة الرومانية بالنسبة لجل الأهالي المغاربية أمرا يصعب التفكير فيه، وخاصة منهم الريفيون الذي ظلوا خارج إطارها باستثناء بعض الأمراء أو الأعيان. ذلك أن الترفيعات التي كان يمنحها الأباطرة للحواضر لم يكن يستفيد منها أهالي تلك الحواضر إلا نسبياً، إذ كان الترفيع لصالح العناصر الرومانية والايطالية التي كانت تطمح في التمتع بامتيازات القانون الروماني في هذه البلاد الأجنبية. وكان بعض الأهالي الحضريين ممن يتوفرون على الثروة والثقافة ولا يبخلون بالإنفاق من أموالهم الخاصة على المصالح العمومية في مدينتهم يحصلون على المواطنة الرومانية بقرار من الإمبراطور، لأن أساس النظام البلدية الروماني كان يقوم على الطبقة البرجوازية الثرية التي تمثل النخبة الاجتماعية في الحواضر، بحيث تمكنها ثروتها ووجاهتها من النهوض بأعباء البلدة والمساهمة في ترسيخ السيادة الرومانية بالإقليم التابع لها، فالغنى كان شرطاً أساسياً للانتقال من إطار قانوني أدنى إلى إطار أعلى، وقد أشاد البعض بهذا الأسلوب بقوله أن روما سخرت قوتها العمومية لفرض قانونها الخاص لتتقاسم سيادتهم مع البلاد المستعمرة أي تتقاسم سيادتها وحياتها من خلال القوانين التي سنتها.

ينظر: (J) Carcopino , Du droit de cité accordé par les romains aux peuples conquis ,extrait des : Annales Universitaires de L'Algérie, Mars 1915, Typographie Adolf Jourdan, Imprimeur Libraire de L'université, Alger, 1915, P.P.(2-5).

[2] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر: 1954، 2007، ص 263.

[3] المرجع نفسه، ص 263.

[4] ومن الملفت للانتباه أن اسم المدرسة والمعلم لا يزال إلى الآن في المدن الشاوية عين البيضاء، خنشلة، وتبسة وربما في جهات أخرى بصيغة اللاتينية فالمدرسة اسمها شكولا من الكلمة اللاتينية (Scola) والمعلّم اسمه الميسترو من الكلمة اللاتينية (Magister). ينظر: محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 272.

يحفظوا بعض أمهات الكتب في التعليم الأولي وفي المراحل اللاحقة تمتد الدراسة إلى الفنون والعلوم الأخرى (الشعر، الموسيقى، الفلسفة، الرياضيات) وطبيعي أن يكون المجتمع الحضري على الخصوص أو المتأثرين بالرومنة اللغوية، وقد أصبحت قرطاج عاصمة الثقافة اللاتينية في بلاد المغرب بمدارسها وطلابها وأساتذتها.

ج) الجيش والمرافق: فرضت روما اللغة اللاتينية عن طريق الجيش، على المنخرطين فيه قهراً أو طواعية،[1] وعن طريق المرافق الضرورية والاجتماعية كالأسواق والمدرجات، حيث أقاموا المسارح في البلاد ومثلوا فيها الروايات الجميلة المغاربية باللغة اللاتينية، وكانوا يتسامرون في حماماتهم ونواديهم وفي الميادين العامة (الفوروم) بانشاد الشعر الروماني، وقص القصص بالرومانية، والتحاور في المواضيع المهمة بها، فصارت لغة الصالونات أيضا.[2]

نتج عن التنوع اللغوي ما يسمى في علم اللسانيات "ثلاثية اللغة"[3] (Trilinguisme) بين اللوبية والبونيقية واللاتينية. وهذا لا يراد به اندماج وذوبان سكان المغرب القديم في لغة الغير، بل الحفاظ على المصالح العليا لسكان المدن والمجندون والعمال من أبناء القرى الذين اختلطوا بالرومان أو تعلموا في مدارسهم أقلية في المغرب القديم. وكان الباعث لهم على تعلمها هو حب الاختلاط والمنافع المادية والعلمية، حيث كانت اللاتينية لغة التجارة الواسعة، وسبب الوظيفة الحكومية ولغة العلم والحكومة، فأقبل عليها المغاربة لتلك الأسباب[4]

---

[1] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 269.

[2] محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ج1، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1964، ص 410.

[3] E.F , Gantier, E.F, Le Passé de L'Afrique du Nord, Le passé reculé, Coll, « Bibliothèque Historique » . ED. Payot, Paris, 1952, P.P.(24-25).

[4] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 411.

وأكد هذا ابن عبو بقوله: " **أثناء تواجده في شمال إفريقيا جعل الحكم الروماني في تعدد اللغات قاعدة...وتعايشها يتحقق إلا برغبة الفرد في التعلم والتكلم بهذه اللغات معاً**"[1]

وقد نبغ علماء مغاربة كثيرون ساهموا في إثراء الأدب اللاتيني بأعمال خلدها التاريخ، شملت مجالات عديدة، كما برز عدد من الأدباء والمفكرين منهم فرنتون (Frotnton) وأبولي (Apulee) في منتصف القرن الثاني الميلادي، كما نجد بينهم رجال دين أمثال ترتليان (Tertullin) والقديس أوغسطين الذي يعد مصدرا دينيا لرجال الدين المسيح قديماً وحديثاً، والذي خلد أفكاره في مؤلفات عديدة منها الاعترافات ومدينة الله،[2] حيث قال فيه بيروني عن كتاب محمد علي دبوز: "**هو أخطب خطيب لاتيني، وأكبر مفكري كل زمان**"[3]

إلا أن هؤلاء الأدباء الأفارقة كانوا مزدوجي الثقافة فإلى جانب حذقهم اللغة اللاتينية وإبداعهم فيها فقد أتقنوا لغة آبائهم ودليل ذلك تلك النصوص المدرجة في كتاباتهم التي توحي باعتزازهم بأصولهم المغاربية.[4]

وبالرغم أن التعليم كان إجباريا باللغة اللاتينية، فإن الأهلي لم ينس لغة بلاده فقد برع فيهما معاً، قال المؤرخ تيري عن كتاب عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: " **لقد كانت العلوم تدرس بمدينة مادور، سوسة، لبتيس وسيرتا وفي داخل نوميديا وكانت الدراسة فيها باللاتينية إنما هي لاتينية مركبة على البونيقة التي مكثت حية إلى تلك الفترة، ومن هذه المدارس التي كانت تعلم اليونانية واللاتينية والبونيقية تكون ذوق جديد مركب من ذلك، كانت تغلب عليه الصبغة البونيقية.** "[5]ورغم حرص روما على تعميم لغتها وآدابها بكافة الوسائل في المجتمع المغاربي إلا أنها فشلت في تحقيق سياستها بصورة عملية وذلك لرفض

---

[1] (M) Benabou, OP. Cit, P.70.

[2] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 269.

[3] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 411.

[4] Laurence Roger, Romain Narratives, Archéological Dialogues, T :VII, V :II, British Archeological Report, London, 2001, P.90.

[5] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط3، المطبعة التجارية، 1971، ص 105.

سكان المغرب الذين استمروا في استخدام لهجاتهم اللوبية المتأثرة باللغة البونية خاصة في القرى والجبال وفي الصحراء. حيث قال بيروني عن كتاب مبارك بن محمد الميلي: " **في أيام القديس أوغسطين (في القرن الرابع الميلادي) في آخر عهود الرومان بالمغرب، وبعد مقامهم بنحو ثلاثة قرون ونصف في تلك الأيام كان الولاة الإداريون، والرؤساء الدينيون يحتاجون إلى ترجمان بينهم وبين البربر البادين. وكانت اللغة (البونيقية) لغة الأكثرية البربرية حتى أن العظماء الذين تخلقوا بالأخلاق الرومانية كانوا يتكلمون بها**"[1]

ومنذئذ برزت ظاهرة سيسيوثقافية في بلاد المغرب جديرة بالدراسة وهي مدن ناطقة بلغة المستعمر وأرياف محافظة على لغة البلاد.[2]

لقد قل استعمال اللغة اللاتينية بمجرد سقوط الإمبراطورية الرومانية رغم قضائها فترة طويلة تجاوزت خمسة قرون في بلدان المغرب القديم خلافاً للغة البونية التي ظلت مستعملة بعد سقوط كل من قرطاجة وروما.[3]

ثالثا: النقوش اللاتينية: حسب المعطيات الأثرية تم إحصاء خمسون ألف نقش لاتيني تقريبا في كامل المغرب القديم، جلها مرتكزة في المثلث الشمالي الشرقي للمغرب القديم (البروقنصلية ونوميديا) وهي ثروة مصدرية مادية قد تضاهي تلك الموجودة في شبه الجزيرة الإيطالية.[4]

أ) أنواع النقوش اللاتينية: اكتشف الباحثون النقوش على نسب متفاوته في كتابتها بحيث وجدت حسب مستويات مختلفة منها:

---

[1] مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 2004، ص 292.

[2] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 272.

[3] إن السبب في ذلك هو أنه لا أصول راسخة للغة والحضارة الرومانيتين في نفوس البربر، من وراثة بامتزاج الدماء أو الدين أو حب. أما الفينيقيين فقد امتزجوا بالبربر فاختلطت دماؤهم فصارت حضارتهم وليدة شخصيتهم الفينيقية المغاربية أقرب إلى نفوس المغاربة، وكذلك لغتهم التي كانت مزيجاً من اللغتين الفينيقية واللوبية كانت قريبة منهم فانتشر تداولها وحافظ عليها الأهالي مدة طويلة من الزمن.

[4] مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 471.

1. نقوش لاتينية متقنة حيث تم إحصاء ستمائة نقشا يحتوي على نصوص كاملة واضحة المعاني ثرية الأفكار جيدة التحرير، استشف المؤرخون منها المستوى اللغوي الذي كانت عليه اللاتينية من حيث مستوى النص ومستوى النقش، وهي ثرية ومتنوعة منها مثلا: النقوش البلدية بتاموقادي وكويكول ونقوش مادور وغيرها.[1]

لقد أفادتنا النقوش اللاتينية بأسماء أعلام متنوعة تعكس مقدار تقبل المواطنة في كل منطقة، وقد بقي الكثير من الناس مخلصون لأطر الحياة التقليدية، فظل الشعب قبلياً، وقد ألفت السلطة الرومانية هذا الوضع فكان لكل قبيلة ضابط روماني.

2. نقوش ركيكة الأسلوب باللغة اللاتينية، سيئة الحظ مما يدل على عدم تلقي أصحابها القدر الكافي من التعليم فظهرت ضعيفة.

3. نقوش مزدوجة اللغة بالبونيقية واللاتينية داخل المدن الرومانية أو بالقرب منها وهذا يعني حفاظ الأهالي على لغتهم الأصلية.[2]

ومهما يكن من أمر، فإنه إذا كان بعض الأفارقة استطاع تعلم اللاتينية وإتقانها واحتلال مناصب مرموقة في الإدارة الرومانية، فإن البعض الآخر تعلمها أو جهلها بنسب متفاوته.

ب) ظاهر رومنة أسماء الأعلام في النقوش المزدوجة (لوبية-لاتينية): إن أول ملاحظة يمكن تسجيلها حول النقوش اللوبية المزدوجة هي ظاهرة أسماء الأعلام المُرَوْمَنَة في النصوص اللاتينية، واختلافها اختلافاً جذرياً في النصوص اللوبية من حيث المدلول والمعنى، وهي واسعة الانتشار في النقوش المزدوجة، مما يدعم فرضية اكتساب الفرد النوميدي لاسمين، فالمصادر المادية أوحت بذلك دون أن تؤكده،[3] فعلى سبيل المثال، إن

---

[1] Ahmed (S), l'Afrique romaine, Paris, 1998, PP.(322,331).

[2] Ahmed (S), OP-Cit, P, 331.

[3] في إطار رصد المقاربات التاريخية الأنثربولوجية لا يزال لحد الآن سكان الأوراس والنمامشة يتخذون اسمين أحدهما يدَّون في الوثائق الرسمية، والثاني ينادي به من طرف أفراد أسرته ومعارفه المقربين.

النصوص التي تحتوي على إشارات دالة على ترومن الطبقة الأرستقراطية، تشير بوضوح إلى المرتبة السياسية، التي ارتقى إليها الأثرياء، أما السكان المحليين فإنهم أقبلوا على الرومنة لحل مشاكلهم الإدارية مع السلطة الرومانية، فوجدوا الحل باتخاذ أسماء رومانية.[1] (ينظر الشكل رقم 15 ص).

هكذا تسمّى المغاربة القدماء بالأسماء الرومانية، ودونوها في نقوشهم الجنائزية، كما دَونوا أسماءهم المحلية ذات الأصل اللوبي، وهذا يعني أن لكل فرد اسمين الأول اسم في الوثائق الرسمية والثاني اسمه المتداول في حياته اليومية.

فعلى الباحثين اتخاذ الحذر في دراسة أعلام المغرب القديم عند البحث حول مسألة " الرومنة والترومن " عند الأشخاص، للدلالة على التغيرات الحضارية التي عاشها المجتمع إبان الاحتلال الروماني، لأنه لا يمكن معرفة ما إذا كان الشخص قد عاش فعلا مترومنا ثقافيا أو مرومنا في السجلات الإدارية فقط؟

كما أن المفهوم المشار إليه أنفا لم يكن ليشمل السكان الذين أعلنوا الولاء المطلق للسلطة الرومانية بل شمل أبناء المجتمع المحلي، ففي عهد الأنطونيين كانت الرومنة مقتصرة على الأوراس، وفي عهد السويريين كانت الرومنة أكثر توسعاً في المنطقة.[2]

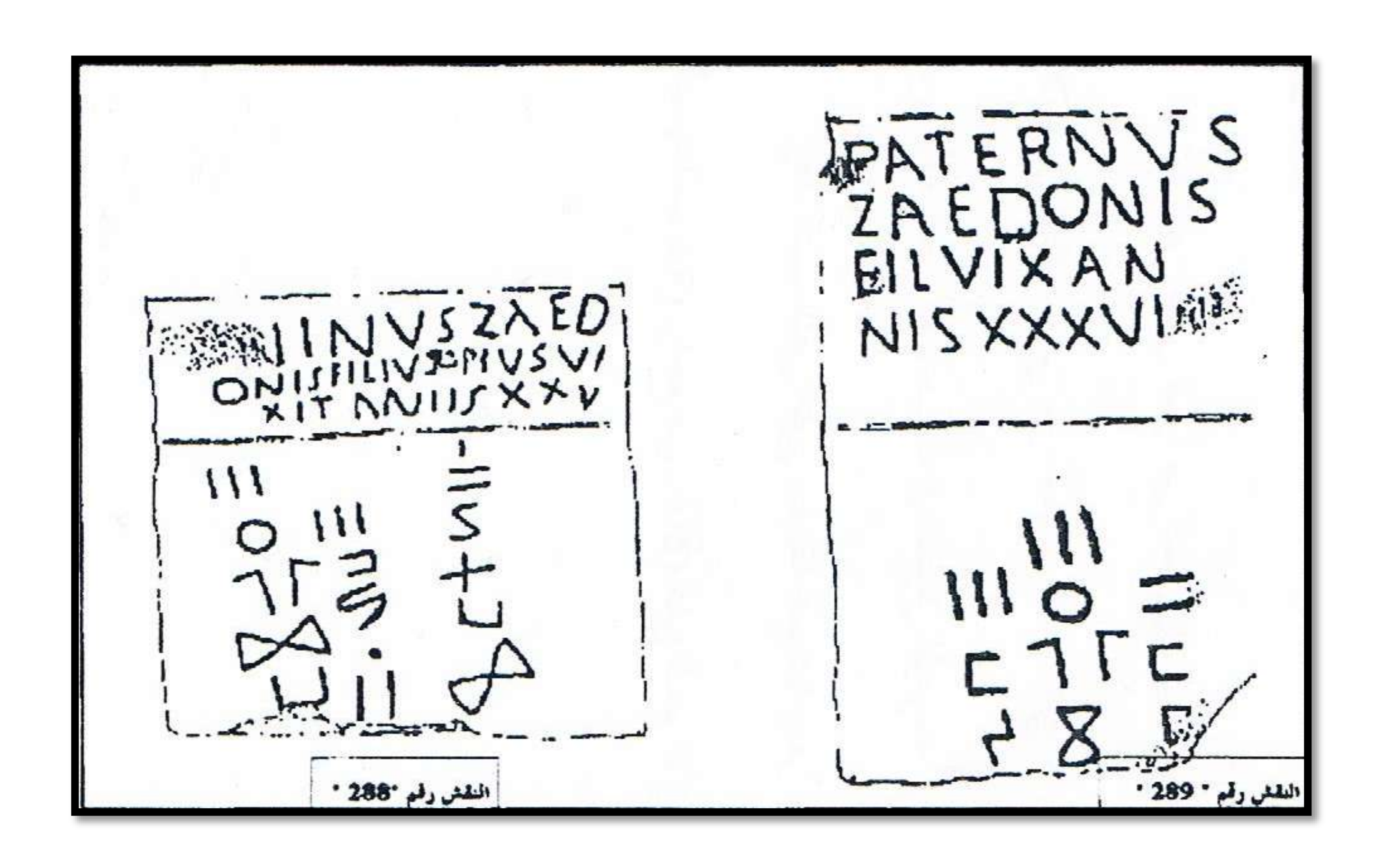
فالرومنة –حينذاك– كانت حركة إدارية أكثر منها حركة حضارية، إذ مثلت من المنظور الروماني صورة معبرة عن نمط الحياة البلدية وتطبيق النظام البلدي في المدن، ومن هنا فإن الاعتقاد بترومن السكان من خلال رصد أسماء الأعلام المترومنة ضعيف الدلالة على الترومن الحضاري والثقافي.

من خلال ما سبق نستخلص أن الكثير من المغاربة القدماء، قد حافظوا على أسمائهم التي هي من أصل نوميدي أو جيتولي ضمن أسمائهم الثلاثية.

---

[1] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 270.

[2] Yann le Bohec, Histoire de l'Afrique Romaine, éd. Picard, Paris, 2005, P.162.



الشكل رقم (15): نقش مزدوج اللغة (لوبية– لاتينية).

نقلاً عن: J.,B., Chabot, Op-Cit, P.69.

ومن خلال إحصاء أسماء الأعلام الواردة في النقوش اللاتينية فإن هناك ثلاثمائة اسم من أصل لوبي كتبت باللاتينية على النحو الآتي:

(Gildo, Zautum, Aptan, chinidal, Massiran) وهي باللوبية (كنديل، يفطن، زرتن، جلد، مسيرين)، من أسماء النسوة الشائعة في البروقنصلية (بليبيا) كما هناك أسماء ذات أصل بوني مثل: (صفن، بعل).[1]

ويبدوا أنهم تداولوا أسماء ملوكهم مثل: يوبا وجودا وجايا وغلوسن وماسينيسا.[2]

والحقيقة أنه لا تزال هناك نقوشاً كثيرة بحاجة إلى البحث والاكتشاف وإزالة اللبس والغموض عن مضامينها، وذلك عن طريق تكثيف البحث الأثري، فإنه على الرغم من قوانين السلطة الرومانية وإجراءات الكنيسة الرسمية إلا أن التأثير اللوبي كان واضح الملامح عن طريق النقوش الجنائزية، وذلك بغرض الرد على الاحتلال الروماني حتى وإن لم يكن بمؤلفات إلا أن استمرارية النقوش، كانت دليلاً على الحفاظ على الهوية المغاربية التي دامت عبر مئات السنين من الاحتلال الروماني،[3] الذي يعتبر المسؤول الرئيس في زعزعة الكيان الحضاري المغاربي بحصاره له وتهميشه لثقافته ولغته، فسكان بلاد المغرب القديم استضعفوا بالاستعمار وبالاحتلال المتتالي عليهم، وهو الشيء الذي جعل اللغة الخطية المكتوبة تندثر وتتحول إلى لهجات منطوقة، فمهما يكن، فإن عودة اللهجات الأمازيغية إلى طبيعتها وصفتها الأولية (الشفوية) جعلت شخصية المغاربي تتزن بتطويره لثقافته وبضبطه للغته وترقيتها.

---

1 Gabriel Camps, liste Onomastique libyque d'après les sources latines, REPPAL, T: VIII, Institut National de Patrimoine, Tunis, 1993, P.41.

2 Ibid, P.57.

3 مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 494.

الفصل الثاني:
التعليم في بلاد المغرب القديم وما ترتب عنه من إنتاج أدبي

المبحث الأول: وضع التعليم قبيل الاحتلال الروماني.

المبحث الثاني: مراحل التعليم وأهم المواد المدرسة في العهد الروماني.

المبحث الثالث: التاليف الأدبي من خلال شخصيات مغاربية.

التعليم هو الدعامة الأساسية لتقدم الشعوب، فالنهوض به وإعداد النشئ إعدادا سليماً يجعلهم مواطنين صالحين، نافعين لغيرهم، وبذلك ينشأ مجتمع متحضر يملك أسباب القوة جميعها.

وقد اتسمت التربية في المجتمع المغربي البدائي بالتقليد والمحاكاة وكان جوهرها التدريب الآلي والتدريجي والمرحلي، إذ كان يقلد الناشئ عادات مجتمعه ونمط حياته تقليدا عبوديا خالصا، ونظراً لأن المتطلبات الحياتية كانت بسيطة فلم تكن هناك مدرسة تقوم بنقل التراث الثقافي للأجيال الصاعدة، وكان يقوم بالعملية التربوية أو التدريبية وعملية تكيف الأفراد مع البيئة، الوالدان أو العائلة أو أحد الأقارب وفي أواخر المرحلة البدائية كان يقوم بها الكاهن أو شيخ القبيلة.[1]

وبتطور الحياة وتعقدها أصبح من الصعب على الوالدين أو العائلة القيام بعملية التربية، ومن هنا نشأت مهنة جديدة هي مهنة المربين، وكانت العملية التربوية تتم في الساحات العامة أو أماكن العبادة إلى أن تطورت عملية التعليم ونشأت المدارس النظامية، وقد قلد المغاربة القدامى اليونان والرومان في نظام التعليم الذي تبنوه.

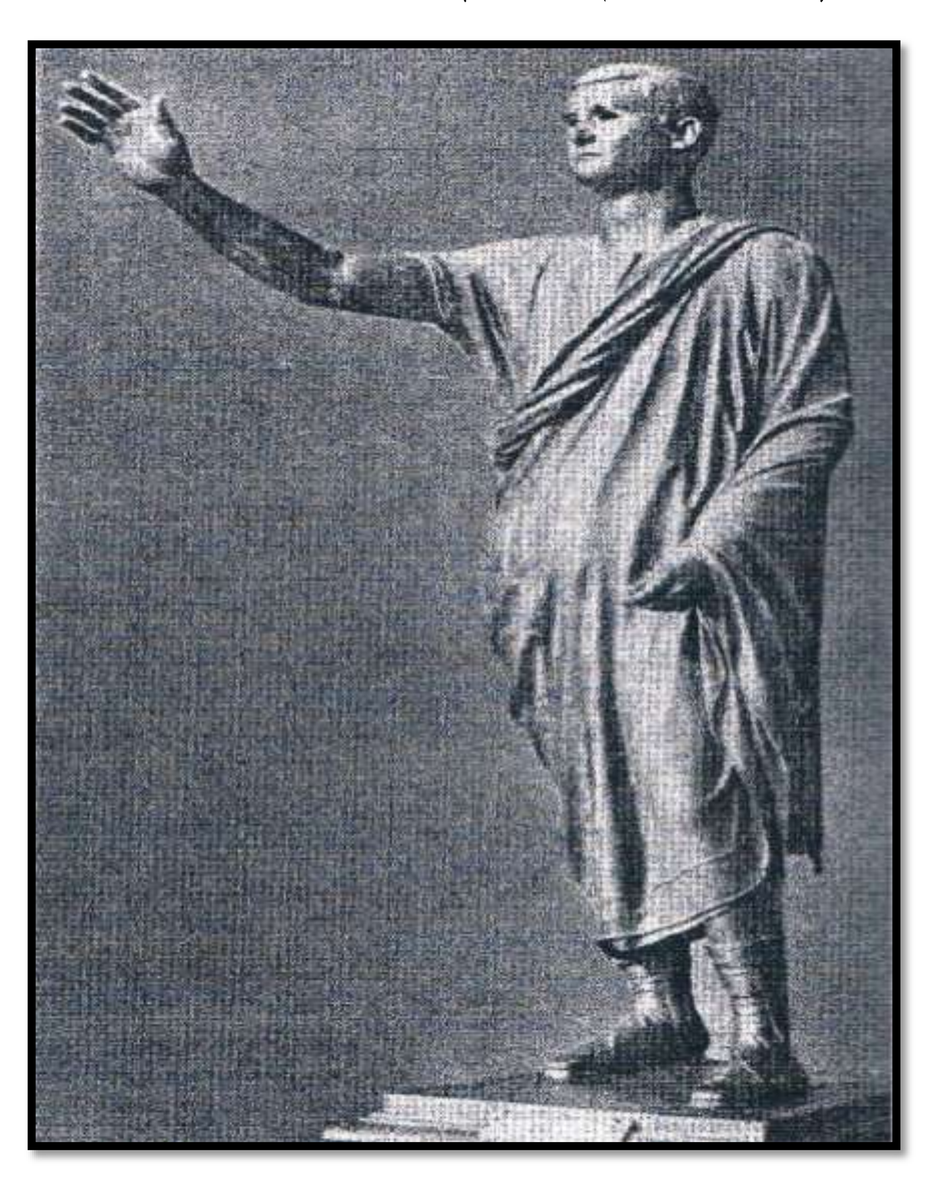
وهكذا اكتشفوا في بداية الأمر الريطوريقا[2] والدراسات الأدبية بشكل عام. حيث كانت مواد التدريس تنحصر في الأدب الإغريقي ونحو اللغة الإغريقية والريطوريقا والسفسطة والرسم والنحت والموسيقى والرقص، سواء كان ذلك عند المغاربة أو الرومان، وكانت

---

[1] خليف يوسف الطراونة، أساسيات في التربية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، 2004، ص. ص(47-48).

[2] الريطوريقا هي فن الخطابة، لأن الخطباء كانوا يستخدمون الريطوريقا لانتزاع القرار بدلا من البحث البرهاني على الحقيقة. ينظر: سارة التونسي الزواري، المعجم الفلسفي النقدي، ط1، مطبعة السفير الفني، 2005، ص227.

تلك المواد تعطى إما على شكل دروس خاصة بالمنازل أو على شكل دروس جماعية بأمكنة عامة.[1] (ينظر الشكل رقم 16 ص).



الشكل رقم (16): خطيب من الفترة الرومانية.

نقلاً عن: إمار أندريه، رومان وإمبراطوريتها، تر: داغر(فريد وأسعد)، بيروت، 1964، (خارج النص).

---

[1] عبد السلام بن ميس، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة، ط2، الرباط، 2010، ص 32.

ومن هنا حاولت تقصي بعض المعلومات عن مراحل التعليم والأساليب التربوية وطرقها في تنشئة الأفراد في بلاد المغرب القديم وما نتج عنهما من إنتاج علمي وأدبي، حيث يعتبر الأدب المغاربي بكل مكوناته وأنماط فروعه وتجليات أجناسه النثرية والشعرية الشفهية أو المكتوبة انعكاس ضمني لحيوية ونشاط وديناميكية العقل المغربي في بعده الفلسفي والتأملي في هذا الكون الذي يتطلب وقفة معمقة وتدبر، مبرهنا عن مدى حيويته وقدرة نشاطه التي ساهمت في عقلنة الفوضى واللامبالاة وتوجيه الفرد نحو أفق اجتماعي منظم ومؤطر ومنضبط، ساهم في التطور الحضاري للمجتمع المغربي القديم.

وهو أدب يسعى الفرد المغاربي من خلاله إلى إثبات ذاته ووجوده وهويته، التي سعى إلى إثباتها بواسطة الثقافة والعلم والعلوم نحو منحنى تكريس الوعي بالذات الفردية والجماعية.

وقد عرفت بلاد المغرب نهضة فكرية أدبية ودينية واضحة تماشيا والتجارب العالمية الأخرى، قام بها مؤلفون ومبدعون وكتاب يعدون من المتميزين في هذا المضمار.[1]

وما نتائج البحث الأركيولوجي، إلا دليل على ما كانت تزخر به المجتمعات المغاربية قبل الميلاد، لتبقى النقائش والمسكوكات والصفائح الأثرية والرسوم الجميلة خير وثيقة تاريخية تفيد أن الأدب في المغرب القديم متجذر المرجعية، وليس رهين صحوة جديدة وهي كتابات تناولها التاريخ القديم. واعترف بمدى تأثيرها على الثقافات الأخرى، ومنها المتوسطية بفعل عامل التجارة البرية والبحرية والتقارب الجغرافي.[2]

[1] محمد أسويق، الأدب الشعبي الأمازيغي، متاح على الرابط: WWW.ahewar.org تاريخ الرفع: 2013/05/27.

[2] محمد أسويق، المرجع السابق، متاح على الرابط: WWW.ahewar.org تاريخ الرفع: 2013/05/27.

المبحث الأول: وضع التعليم قبيل الاحتلال الروماني.

أدرس في هذا المبحث التعليم في بلاد المغرب القديم في العهد القرطاجي والهليني والروماني.

أولاً: التعليم في قرطاجة: أتطرق هنا إلى وضع التعليم في قرطاجة لتوفر المرجعية التاريخية مقارنة ببلاد النوميد والمور، ولارتباطها بسكان المغرب القديم وبعض المؤسسات التعليمية كالمدارس والمعابد ودور الكتب التي كانت موجودة في تلك الفترة.

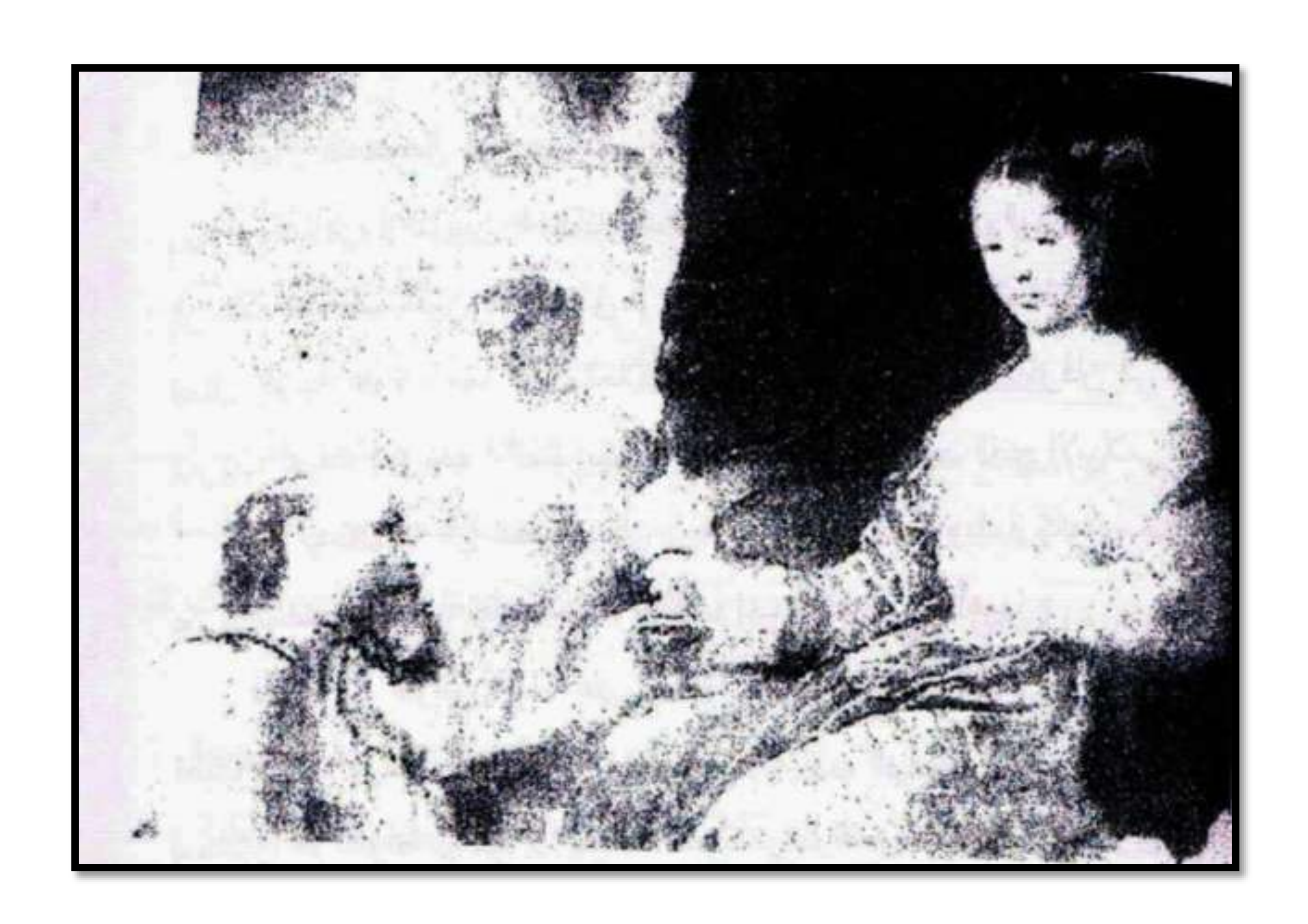
1) المدارس: لا تزال المعلومات الخبرية التي تناولت هذا المجال في قرطاجة ضئيلة لا تشفي غليل الباحثين والدارسين الناشئين لتغطية الإجابة عن الإشكالات المطروحة. إلا أن هناك نصوصاً قديمة تشير إلى متابعة الأسرة المغاربية واهتمامها بتربية أبنائها، فقد استفاد حنبعل وإخوته من تربية متينة جمعت بين الأصالة القرطاجية والتفتح على حضارات البحر الأبيض المتوسط كالإغريقية والرومانية.

وقد أفلح أبوهم عبد ملقرت في اختيار المعلم الكفء لتعليمهم وتدريبهم عن مختلف الثقافات والفنون، حيث استفادت صفينيبة (صفنبعل بنت عزربعل بن جرسكن) من تعليم جيد يتضمن تثقيف الفكر وتحصيل المعارف، وتهذيب النفس وإرهاف المشاعر والوجدان عن طريق دراسة الموسيقى، فكانت أديبة حسناء تجيد العزف والغناء، حتى أنها كانت تجذب الحكام والأمراء لما تمتعت به من موسيقى وفن الرقص.[1] (ينظر الشكل رقم 17 ص).

وهكذا ساهمت المدارس القرطاجية مساهة بارزة في تعليم أبناء الحكام والطبقة الثرية.

---

[1] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص 118.



الشكل رقم (17): لوحة زيتية على القماش من تنفيذ الرسام الإيطالي ماتيابريتي (Matia Pretti) من متحف الفنون الجملية بليون (1613–1699)، وتمثل رسماً تخيلياً للملكة القرطاجية، صفينيبة.

نقلاً عن: مها العيساوي، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، المرجع السابق، ص 208.

2) المعابد: ذكرت بعض المعابد القرطاجية كمؤسسة تعليمية ودينية، في النصوص الأدبية الكلاسيكية والوثائق المنقوشة، غير أن معرفتنا لها مازالت تحتاج إلى مادة خبرية تجيب عن مجالات الدراسة المطلوبة، وقد حاولت الإفادة بما تيسر لي من مرجعية أرى أنها في حاجة إلى بحث أوسع وأعمق مستقبلا. وبالمقابل فإن الآثار التي كشف عنها في التنقيبات، كانت قليلة العدد.[1]

كما أن التغيرات المناخية ووضع طبقات أبنية جديدة فوق القديمة تعود إلى فترة الحكم الروماني، جعلت الباحثين يفتقدون تلك المادة المعرفية عن الفترة السابقة للعهد الروماني، فظهرت دراسات اعتمدت على الفرضيات والتخمينات تفتقر للدقة المعرفية وغلبت عليها نزعة العمومية.[2]

وإذا أخذنا بعين الاعتبار الآثار القليلة التي وصلت إلى الباحثين في هذا المجال، فمن الصعب تصور جميع الأدوار والنشاطات التي كانت تقوم بها المعابد، في مجالات الحياة الثقافية والاجتماعية في العهد القرطاجي، لذلك فإن المسعى سيكون أكثر مجازفة وخطورة أمام الباحثين، وعليهم التدبر والموضوعية واعتماد الفكر العلمي الدقيق والمنهجية الأكاديمية، عندما يحاولوا أن يعالجوا دور المعابد التعليمي.[3]

والواقع أن المشكلة تعود مرة أخرى وبشكل أساس للمصادر نفسها التي هي على الرغم من تنوعها وأهميتها لا تتضمن إلا تلميحات وشذرات يبقى تفسيرها في حدود الفرضيات والشحة المعرفية.

---

[1] مادلين هورس ميادان، تاريخ قرطاج، ط1، تر: إبراهيم بالش، ط1، منشورات عويدات، بيروت، 1981، ص 67.

[2] فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو أمبراطورية البحر، تر: عز الدين أحمد عزو، ط1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996، ص 144.

[3] المرجع نفسه، ص 144.

كما نجد ندرة في المعابد البونية التي لم يمكن إلا لبعضها أن تكون آثاره قابلة للدراسة وهي اثنا عشر معبداً منتشرة في العالم القرطاجي المتوسطي، إضافة إلى ذلك أنها من حيث الزمان والأسلوب متباعدة فيما بينها، بحيث يصعب أن نحددها في نظرة موحدة متماسكة.[1]

لكن يبدو أن المعابد قامت بنشاطات تربوية وتعليمية باستيعاب الأطفال وتعليمهم القراءة والكتابة وتلقينهم أسس التربية التي مازلنا نجهل عنها الكثير، فالنصوص التي تم العثور عليها في قرطاجة والمدن البونية الأخرى تختلف من حيث المضمون وقد صعب فك رموزها وفهمها، لكنها تعتبر دليلاً على انتشار القراءة والكتابة في المجتمع القرطاجي.

وقد خلف القرطاجيون نقائش متنوعة تناولت مختلف أوجه الحياة المادية والدينية والأدبية والوجدانية: من رسائل علمية وتقنية ورسائل فلسفية وحكمية ومصنفات دينية من لاهوت وأساطير نستنتج من ذلك أنهم أدركوا أهمية التدوين للتبليغ والتواصل بين الأجيال.[2]

وهكذا رغم شحة المادة الخبرية فإنني قد حاولت إعطاء صورة حسب ما توفر من معلومات حول دور المعابد في التعليم خاصة وفي المجال الثقافي عموما عند القرطاجيين.

3) دور الكتب في قرطاج: ذكر المؤرخون القدامى دور الكتب القرطاجية والتي أطلق عليها أبلينيوس الأكبر ببليوتيقا وهو لفظ يعني دار الكتب. وقد أضاف قائلاً: لما كان غزو قرطاج قرر مجلس الشيوخ الروماني توزيع ما في دور كتبها على ملوك أفريقية،

---

[1] فرانسو ديكريه، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1994، ص 111.

[2] الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص. ص(118- 119).

كما أثبت الكاتب الأفريقي أبولي مادور وجود دار الكتب في قرطاج الرومانية على ربوة بيؤصة قرب معبد أمنقولبيوس.

ويبدو أن هذه الدور كانت منتشرة في نواحي مختلفة من بلاد قرطاجة، كما كان للمعابد مكتباتها ولها مخازن للوثائق والمحفوظات، ومعلوم أنها كانت تأوي بعض المجالس والهيئات السياسية التي تجتمع فيها، فيستفيد أعضاؤها من وثائق مكتباتها.[1]

فدور الكتب القرطاجية قد تعددت مواقعها وتنوعت محتوياتها، وكانت تستجيب لحاجة الكهنة والأطباء والأدباء والمؤرخين وغيرهم ممن قد يسعون كسب الثقافة والأدب، أو إثراء المعرفة التقنية من صناعة وتجارة وفلاحة.

جاء في كتب القدماء أن نصوصاً كانت تعلق في المعابد ويقبل الناس على قراءتهما والاستمتاع بها،[2] ولكنها اندثرت، ولم يبق من تلك الرسائل والوثائق البونية على اختلافها وتعدادها إلا دمغات تحملها أقراص من فخار زادها الحريق صلابة وصموداً أمام الزمن، وقد أورد إيلوتركوس وثائق بونية نجت من الحريق لأنها كانت مقبورة في مناطق بعيدة عن الخطر.[3] (ينظر الشكل رقم 18 ص).

ثانياً: التعليم الهليني في المغرب القديم: عرف التعليم في بلاد المغرب القديم بالتعليم الهليني، وقد تأثر بنموذج قورينة[4] (cyrénaique) التي أسسها الفيلسوف

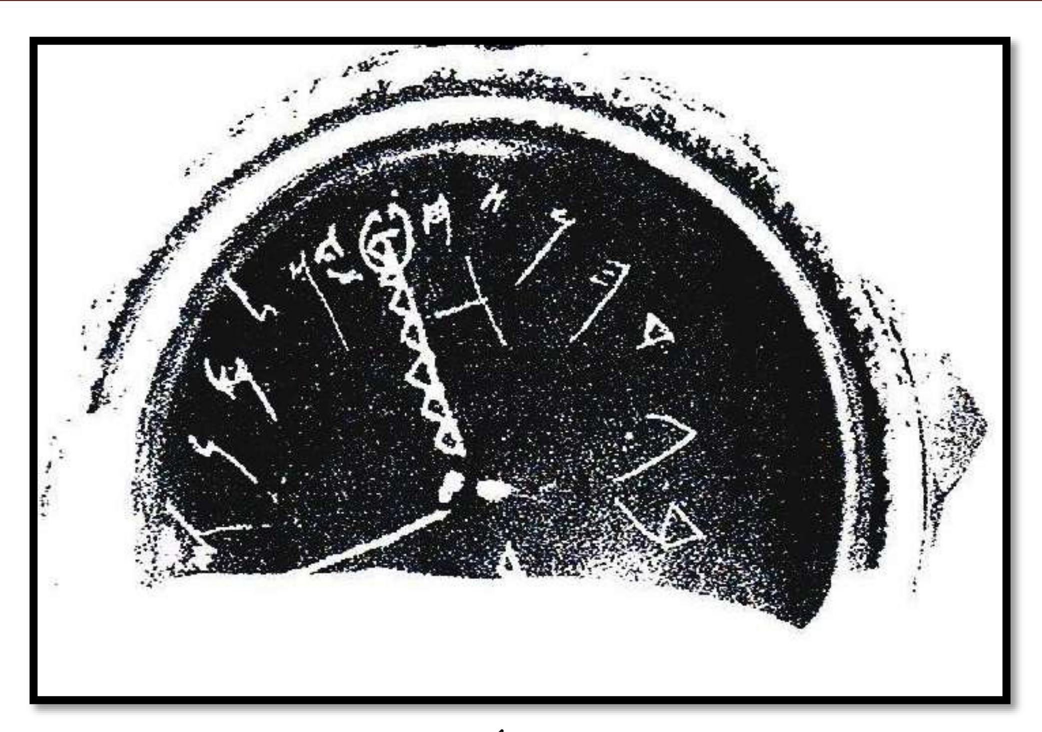
---

[1] الطاهر ذراع ،المرجع السابق، ص 119.

[2] وهي عادة نجدها عند العرب قبل الإسلام وقد كانوا يأتون الكعبة لرؤية المعلقات والابتهاج بها وحفظ ما دون فيها من روائع وأخبار. ينظر: المرجع نفسه، ص 120.

[3] المرجع نفسه، ص 120.

[4] تتمركز قورينة في منطقة خليج السيرت (Syrtes) بالقرب من طرابلس الحالية تحاذيها إلى الجنوب منطقة فزان الحالية في الداخل، حيث واحات النخيل والرمال. ومن هذه الأخيرة تمر أقرب طريق نحو إفريقيا الوسطى من البحر المتوسط. ينظر: سالوستيوس، المصدر السابق، ص 43.



-أ-



-ب-

الشكل رقم (18): (أ): أبجدية فينيقية على كسرة من فخار تستخدم في تعليم القراءة والكتابة مما يثبت أن التعليم كان منتشر في المجتمع القرطاجي حاولي القرن الرابع قبل الميلاد.

(ب): محبرة قرطاجية عثر عليها في قبر محفوظة في متحف قرطاج وتعود للقرن الرابع ق.م.

نقلاً عن: محمد حسين فنطر، الحرف والصورة في عالم قرطاج، ط1، منشورات أليف، تونس، 1999، ص، ص (95،145).

ريستوس[1]، فكان يقصدها الطلاب من مختلف مناطق المغرب القديم،[2] حيث ازدهر التبادل الثقافي بين قورينة وأثينا من جهة وبينها وبين الإسكندرية من جهة أخرى منذ القرن الثالث ق.م. ومن هناك تسربت المؤثرات الهيلينسيتة إلى المغرب القديم خاصة بعد زوال الطوق القرطاجي على المملكة النوميدية في عهد ماسينيسا (238–184 ق،م).[3] (ينظر الخريطة رقم 05 ص).

لذلك ارتكز تجاه التعليم نحو إبراز الثقافة اليونانية العريقة وفقا لما جاء في دستور بطليموس الذي حددت بعض مواده درجات التعليم على النحو الآتي:

1) التعليم الأولي: ظهر التعليم الابتدائي في روما وبلاد المغرب (قورينة) في وقت واحد تقريبا أي خلال القرن السادس ق.م وكان له معلم متخصص (Primus Magister) ويمتد على خمس سنوات يتعلم فيها التلميذ[4] القراءة والكتابة والحساب،[5] ويدرس أشعار هوميروس يتبعها المعلم بأسئلة، ويصاحبها تدريب أولي للتلميذ على استخدام القوس وركوب الخيل.[6] وربما دفعني هذا إلى الاعتقاد بوجود شبه بين هذا النمط من التعليم والتعليم اليوناني، حيث وجدت البلابستير لتدريب الأولاد الصغار على المصارعة تحت إشراف مدرب، وربما كان التدريب على استخدام الأسلحة وركوب

---

[1] هو فيلسوف ليبي من مواليد مدينة قورينة، وهي في أوج شهرتها أي في القرن الرابع ق.م (نحو 435–355م)، تتلمذ على يد الفيلسوف: سقراط، يعتبر المؤسس الأول للمدرسة القورينية الشهيرة ولمذهب اللذة. ينظر: لطفي العربي، معجم أشهر الفلاسفة، ط1، دار شوقي للنشر،2004، ص 10 .

[2] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 260.

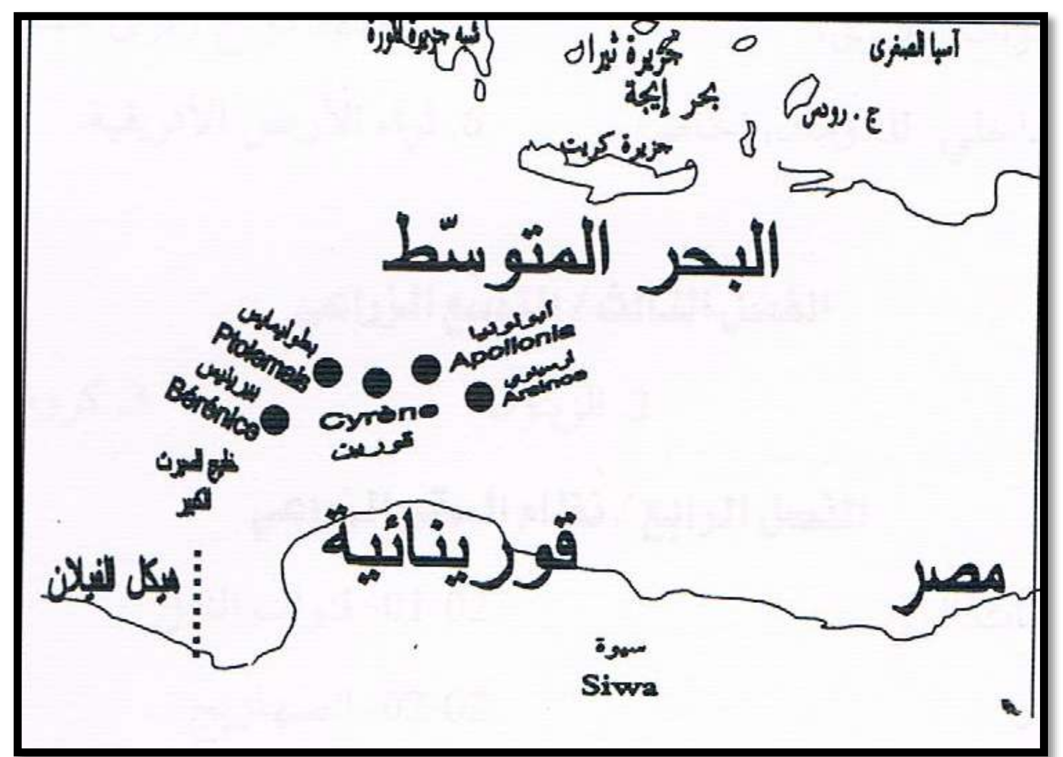
[3] غابريال كامبس، المرجع السابق، ص 232.

[4] الفعل تعلّم يقابله في الأمازيغية: يَلْمَدْ ومنه تشتق باقي صيغ التعليم في الأمازيغية فهل كلمة تلميذ من أصل أمازيغي أم لا ؟.

[5] Yaun le Bohec,op cit, P.212.

[6] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب، المرجع السابق، ص 260.

الخيل شبيها بما كان يحدث في الفترة الرومانية، حيث كان يعد ذلك إعداد أوليا للحياة العسكرية.[1]



الخريطة رقم (05): المستعمرات الإغريقية (المدن الخمس Pentapolis) في الشمال الأفريقي القديم.

نقلاً عن: محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 75.

---

[1] اعتمد اليونان في سياستهم التعليمية على تثقيف الفكر وتحصيل المعارف، وتهذيب النفس وإرهاف المشاعر والوجدان عن طريق دراسة الموسيقى، كما يتضمن أيضا تنمية البدن والحفاظ على تناسق الجسم من خلال التدريب البدني، أما التعليم بالمفهوم الروماني فلا يعني سوى تحصيل العلوم والمعارف، ربما يرجع ذلك التباين عند كل من اليونان والرومان إلى طبيعة كل من الشعبين، فقد كانت نظرة اليونان للحياة نظرة جمالية وعقلية، بينما كانت نظرة الرومان للحياة عملية يقيمون الأشياء بمدى نفعها لحياتهم.

ينظر: مصطفى محمد قنديل زايد، التربية والتعليم في الحضارة اليونانية والرومانية، ط1، مكتبة الأنجلوالمصرية، القاهرة،

د ت، ص 05.

2) التعليم المتخصص: كان يدرس في التعليم المتخصص الشباب الأكبر سنا، ويجمع بين الأخذ بآداب السلوك ومبادئ اللغة والكتابة، حيث يتم تلقين فن الحديث، والفن الأدبي هذا الأخير الذي تميز به المدني عن الريفي، علاوة على تعلمه قواعد الإملاء والاستظهار، وبعض المناهج البسيطة في الحساب والجغرافيا والخطابة وفي المجال البدني كان الشباب يتلقى فنون استخدام السلاح والفنون القتالية.[1]

3) التعليم العالي: عرفت قورينة أو المدن الخمس (pentapoles) التعليم العالي قبل روما أي القرن الأول ق.م وكانت الريطوريقا (Rhétorique) أهم الموارد المدَّرسة لأنها من المواد الضرورية في الوظائف السياسية والقضائية.[2] ويقوم بالتدريس في التعليم العالي الأستاذ الريطوريقي (أو الخطيب) وتشمل مواد خطابية أهمها الريطوريقا، ومواد فلسفية موزعة على ثلاث تخصصات: الأخلاق[3] والطب[4] والمنطق[5]، وعلى مادتي الجغرافيا والتاريخ، لكن التعليم العالي القديم كان يعادل بالنسبة لكثير من الطلبة المغاربيين دراسة الريطوريقا فقط. التي كانت تعتمد في المسائل القضائية والسياسية والبيانية، يقدم فيها الأستاذ الجامعي: أولا دروسا نظرية حسب ماورد في

---

1 Yaun le Bohec,op cit P. 212.

2 Noshy, Arcesilaus III, Libyan in History, By University of Benghazi, 1986, P.77.

3 الأخلاق (Moral): علم الأخلاق هو النظر في أحكام القيم وفي المبادئ الأخلاقية، بينما تتعلق الأخلاق بالأفعال الصادرة عن الإنسان محمودة كانت أو مذمومة. وإذا عدنا إلى الجذر اليوناني لمصطلح أخلاق وجدناه يعني العرف أو الاستعمال الذائع أي العادات الأخلاقية. أما الجذر اللاتيني فهو مبني بدوره على الجذر اليوناني وهو يدل على ضرب من السلوك الأخلاقي المستتير.ينظر: سارة التونسي الزواري، المرجع السابق، 30 ص.

4 لقد كان من أهم الحوادث في تاريخ العلوم اليونانية في عصر بركليز (القرن الخامس ق.م) نهضة الطب القائم على العقل لا على الخرافة. المرجع نفسه، ص 330.

5 المنطق: هو العلم الذي يبحث في قوانين الفكر التي ترمي إلى تمييز الصواب من الخطأ، فينظم الاستدلال ويقود إلى اليقين. ويشير مؤرخو العلوم أن أرسطو أول من كتب عن المنطق بوصفه علم قائم بذاته، ثم ظهر في عصر شيشرون بمعنى الجدل إلى أن استعمله إسكندر الأفروديسي بمعنى المنطق وصار استعماله منتشرا عند الرواقيين وهو عند أرسطو العلم التحليلي أي ذلك الذي يحلل العلم إلى مبادئه وأصوله. ينظر: سارة التونسي، المرجع السابق، ص 428.

مؤلفات أرسطو وكيكرو (Ciceron)، ثم يعرض نماذج خطابية تنسب لكتاب كبار، وأخيراً يتمرن الطالب على التطبيق إما في المرافعات القضائية أو في مواقف سياسية أو بيانية.[1]

أما الفلسفة في التعليم العالي، فقد كانت تعلم داخل المدارس أو على شكل دروس حرة من طرف أساتذة مستقلين، كما أن هناك أساتذة متجولين. يبدأ الطالب بدراسة مسائل عامة حول تاريخ الفلسفة، ثم بعد ذلك يتفرغ لدراسة فلسفة المدرسة التي ينتمي إليها وغالبا ما يحتوي المقرر الدراسي على ثلاثة نماذج نظرية: نموذج في مبادئ المعرفة (المنطق) ونموذج حول العالم (الفيزياء والجغرافيا الفزيائية) ونموذج في علم الأخلاق وهذا التقسيم عرفه اليونان منذ التلامذة الأوائل لأفلاطون وبقي نفس التقليد حتى نهاية العصر القديم(القرن السادس ميلادي)، وكانت كل المواد الفلسفية تُعطى باللغة اليونانية.[2]

والحقيقة لقد برزت قورينة كمركز ثقافي وعلمي متميز يفد إليه الطلبة من مختلف الجهات بما في ذلك بلاد الإغريق ذاتها والإسكندرية، كما يفد إليها الأساتذة المتميزين أمثال:

أفلاطون الذي زار المدينة لمقابلة الرياضي الأفريقي الشهير ثيودوروس (Théodoros) كما ذكر هو ذاته في محاورة (Theaetetus).[3] وقد نشأت في قورينا مدارس علمية وفلسفية يمكن أن نحصرها في اثنتين أساسيتين:

أ) **المدرسة الأولى:** هي التي تسمى المدرسة الفلسفية القورينية وقد تأسست على يد الفيلسوف القوريني أريستيوس "Aristippus" (435 ق.م _356ق.م) وازدهرت لمدة

---

[1] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 35.
[2] عبد السلام بن ميس، المرجع نفسه، ص ص (35- 36).
[3] مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المبطعة الأهلية، بنغازي، 1966، ص. ص (60- 61).

قرن تقريبا (من سنة 400 ق.م إلى سنة 300 ق.م) طورت هذه المدرسة فلسفة أصلية أساسها مبدأ البحث عن اللذة وتجنب الألم: أي مايسمى اليوم بالمذهب اللذاني (Hédonisme) ، وهو مذهب أخلاقي يقوم على القول بأن اللذة الحسية هي الخير الأسمى وأن السعادة تكمن في الشعور المباشر باللذة الحسية، ومن المعتقد أن لهذه المدرسة مصدرين أساسيين: سقراط من جهة وبروتاغوراس من جهة أخرى. فمن تعاليم سقراط أن السعادة هي الخير الأسمى، ومن تعاليم بروتاغوراس أن المعرفة البشرية نسبية، وقد اقتبس هذه التعاليم مؤسس المدرسة نفسه، أي أريستيبوس (Aristippus) وابنته أريتي (Aêté) ثم ابنه الأكبر ارستيبوس الشاب.

وقد أقام هؤلاء الفلاسفة مذهبا فلسفيا فريداً من نوعه أساسه قيمتان متضادتان هما: اللذة والألم، حيث استفاد من هذا التوجه القوريني المتأخرون من الفلاسفة الأبيقوريين، ومن رواد المدرسة القورينية أيضا الفيلسوف هيجيسياس (Hegesias) الذي ظهر في (القرن الرابع ق.م) والفيلسوف أنيسيريس (Annicris) الذي عاش (القرنين الرابع والثالث ق.م) والفيلسوف كاليماخوس[1] (Callimachos) والفيلسوف كارنياديس[2] (Carneades) والفيلسوف أركيسيلاوس[3] (Arkislaos) ويعتبر هذا الأخير مؤسس ما

---

[1] كاليماخوس: (315- 240 ق.م) ولد بقورينة وتلقى تعليمه بها ورحل بعدها إلى أثينا للاستزادة من بحر الثقافة الإغريقية، كتب فهرست مفصل في مائة وعشرون مجلد ويعتبر أول كتاب علمي في تاريخ الأدب، نظم العديد من الأشعار في مختلف الأوزان السائدة في عصره ، وخلف العديد من الأعمال في مجال الأساطير والاجتماع والجغرافيا والتاريخ وتميز بأنه فقيه لغوي. ينظر: لطفي العربي، المرجع السابق، ص 115.

[2] كارنياديس: (214-129 ق.م) فيلسوف قوريني كان يعتقد بعدم وجود معيار مطلق للحقيقة، وتقبل المبدأ القائل بأن أي عمل صحيح إذا كان بالإمكان الدفاع عنه بالمنطق. أسس وتزعم مدرسة تسمى الأكاديمية الجديدة أو الثالثة من عام 155ق.م وحتى وفاته. ينظر: المرجع نفسه ، ص 102.

[3] أركيسيلاوس: (316_241ق.م) ولد في بيتاني في أيوليس، واصل تعليمه بأثينا على يد ثيوفراستون وكرانتور، يعتبر أن قوة الإقناع الفكري لا يجب أن تكون ملزمة، بقدر ما هي من خصائص الإقناع المتناقض، استعمل المنهج السقراطي

يسمى[1] بالأكاديمية الجديدة التي دافعت عن التوجه الاحتمالي والمذهب الشكاني[2] في المعرفة.

ب) **المدرسة الثانية :** هي المدرسة العلمية القورينية الممثّلة لتوجه فكري مغاربي قديم اهتم على الخصوص بالرياضيات، ونقتصر هنا على رائدين أثنين من رواد المدرسة المغاربية القديمة هما: إراطوستنيس (Erathostenes) القوريبني، وثيودوروس (Theodorus) الذي أزداد بقورينا (456–398 ق،م) ثم رحل إلى أثينا وتتلمذ على يد بروتاكوراس، وكان أستاذ لأفلاطون في الرياضيات وأستاذ لتياتيتوس (Theaetetus) الذي اتخذ أفلاطون اسمه كعنوان لإحدى محاوراته، تلك التي يتحدث فيها عن تيودوروس[3].

لقد كان أفلاطون يزور قورينه من حين لآخر قصد التذاكر مع ثيودوروس في مسائل رياضية، وكان هذا الأخير نفسه يزور أثينا في الوقت الذي كان فيه سقراط حيا خلال القرن الخامس ق.م ولكن مع الأسف الشديد، لم يصلنا أي مكتوب لثيودوروس، بل كل ما نعرفه عنه هو ما قدمه أفلاطون في محاورة (Theaetetus) أما أعماله الرياضية، فقد تمثلت على الخصوص في تطويره لنظرية الأعداد الصماء (irrationnels).

في التعليم، وكانت تميز مناقشاته الفكاهة الحادة وخصوبة الأفكار. ينظر: سارة التونسي الزواري، المرجع السابق، ص 77.

[1] عبد السلام بن ميس،المرجع السابق، ص. ص (37– 38).

[2] المذهب الشكاني (Le scepticisme) : هو مذهب يرفض الإثبات أو النفي، وبالتالي الحكم على الأشياء، ولاسيما في الأمور المتعلقة بما بعد الطبيعة. وهي عموما موقف من يرفض التصديق بالأمور التي يسلم بها عادة، فيكتفي بمعاينة هذه الأمور دون إصدار أي حكم، رافضا إثبات أو نفي وجود الأشياء التي يحسها أو يتخيلها أو يتصورها. ينظر: جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ط1، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص 259.

[3] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 38.

أما إراطوستينيس (Erathostenes) (276-194 ق.م) فقد كان هو الآخر رياضيا مغربيا شهيراً. ازداد بقورينة، وتتلمذ على يد ليزانياس (Lysanias) القوريني و الفيلسوف الرواقي أريسطون (Ariston). درس دراسته الأولى بقورينة، ثم انتقل إلى عاصمة العالم القديم: أثينا. وقد كان هذا العالم متضلعاً في علوم عصره خاصة الرياضيات، فهو أول من قاس محيط الكرة الأرضية قياسا دقيقا بالنسبة لعصره، حيث كتب في هذا الموضوع رسالة تحت عنوان: (في قياس الأرض)، لكنها ضاعت، غير أن محتواها العلمي وصل عن طريق مؤرخين وجغرافيين قدامى مثل سترابون[1] (Strabon) (58 ق.م-25م).

قاس إراطوستينيوس أيضا المسافة بين الأرض والشمس وبين الأرض والقمر، ووضع يومية تأخذ بعين الاعتبار السنوات الكبيسة وضبط قائمة بأسماء نجوم تحتوي على 675 نجماً.[2]

المبحث الثاني: مراحل التعليم في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني:

يعتبر التعليم من أهم الأعمال التي كانت تشرف عليها إدارة بلديات المدن في العهد الروماني، حيث كان يتم انتداب المعلمين الذين يقومون بالتدريس وتدفع لهم البلدية أجورهم،[3] إلا أن هذا كان حكراً على الفئات الاجتماعية الحضرية المترومنة الغنية منها والمتوسطة.

---

[1] سترابون (Strabon): هو جغرافي إغريقي ولد في حوالي سنة 58 ق.م في آسيا، وتوفي ما بين سنتي 21 - 25م، وصف جغرافية كل البلدان المعروفة في تلك الفترة، كما قدم دراسة اجتماعية تاريخية للشعوب التي تقطن تلك البلدان. ينظر: Dictionnaire de la langue française. 1993. Nouvelle édit. Hachette. P. 1214.

[2] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص. ص (39-40).

[3] Stéphane Gsell, Op-cit,T: I. P.16.

ولقد أشارت النقوش التي عثر عليها منذ عهد أغسطس- وهي نقوش لاتينية وبونيقية- إلى شخصيات من الأثرياء ساهمت في عملية إقامة منشآت عامة ثقافية ودينية واقتصادية وتذكارية، عرفت مع الاحتلال الروماني، وظهورها في تلك الفترة المبكرة يدل على ازدهار الثقافة البونيقية، إذ لا يمكن كتابة النقوش باللغة والكتابة البونيقية واللاتينية، إن لم توجد فئة متعلمة، ولا توجد فئة متعلمة بدون مدارس، كما أن هذه النقوش تدل على المكانة الاقتصادية والاجتماعية التي كان يتمتع بها المتعلم في العصر البونيقي وفي فترة الاحتلال الروماني، ومن هذه النقوش نقش رأس الحداجة عثر عليه بمنطقة نرهونة، ونقوش وداي العامور.[1]

ورغم ذلك فإن التعليم في العهد الروماني لم يكن مشتملا على درجات واضحة، غير أنه كان هناك تدرج في التمارين حسب سن الطفل، ومقدرته ومعلوماته ومن هنا يمكن تقسيم التعليم حسب المراحل الآتية:

1) التعليم الابتدائي : كان على التلاميذ الأفريقيين أن يترددوا كالرومان واليونان على درس المعلم الأول أو اللّيتيراتوُر (magister ludi- primus magister- litterator) الذي يلقنه القراءة والكتابة ومبادئ علم الحساب مستعملاً قلما من القصب ولوحاً من خشب، أو سنانا للنقش على لوحة من الشمع.

أما نظام المدرسة، فقد كان قاسيا إلى درجة تنفر التلاميذ منها، إذ استعملت العصا والجلد لعقاب المذنبين، وضعاف الاهتمام بدروسهم، ولكن رغم ذلك فإن المعلم في كثير

---

[1] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص. ص (260-261).

من الأحيان لم يكن محترماً لشخصه، ذلك لأن التلاميذ كانوا يشعرون أنه ينتمي لطبقة دون طبقتهم.[1]

2) التعليم الثانوي: كانت أولى البدايات الحقيقة للتعليم الثانوي في المغرب القديم منذ القرن الأول ق.م (الفترة الرومانية) وكانت اللغة الإغريقية تحتل المكانة الأولى في البدايات ثم أخذت مكانة اللغة اللاتينية تزداد لأنها مدعومة من الدولة الرومانية،[2] التي أرادت طمس باقي الثقافات واللغات الأخرى في إطار سياسة الرومنة ورومنة الأجيال الصاعدة في مستعمراتها المغاربية وحتى المشرقية في مصر وبلاد الشام.

يتعلم تلاميذ المرحلة الثانوية على يد القَّرمَّاتيقوس (grammaticus) قواعد اللّغة اللاّتينية وصرفها، ويحفظ أمهات الكتب مثل شعر فيرجيليوس[3] (Virgilius) ونثر قيقيرو (Cicero)، ويتلقّى دروسا في اللغة الإغريقية ومبادئ الموسيقى والعروض والفلسفة والرياضيات والفلك.[4]

ومما امتاز به الأساتذة الأفارقة اهتمامهم بالبلاغة، وبحثهم عن الأساليب والتعابير اللغوية القديمة، وعن القدامى من الشعراء اللاّتين أمثال: أنيوُس (Ennius). حيث يوجد في الشعر المكتوب على النقائش الأفريقية ما يدل على هذا الاعتبار وهذه العناية بالصيغة واللّفظ، والإهمال أحيانا للمعنى والمحتوى.

---

1 Yann le Bohec, Op- cit, P.P.(112-114).

2 Marrou (H), ST. Augustin et l'afin de la culture antique, éditio Boccard Paris 1937 P.P. 112-114.)

3 فيرجيليوس: هو ألمع شعراء الرومان، ولد بشمال ايطاليا سنة 70 ق.م، توفي برنديسبي في إقليم كلابريا على ضفة بحر الأدرياتيك، ودفن جثمانه في ضواحي نابولي.

4 I bid, P.P.(255-256).

لكن الفضل قد يعود إلى هؤلاء الأساتذة لإسهامهم في اختراع بوادر الخط "النّسخي" القديم الذي عوض حروف "التاج" (Lettres capitales) وأدى إلى الاستغناء عن لف ورق الكتاب القديم (Volumen) واستبداله بصفحات الكتاب الحديث (codesc) الذي رسخ رواجه في نهاية العهد القديم.

وقد كشفت الحفريات في مدينتي مقتَارِيس (مكثر) وتموقادي (تمقاد) عن نقائش دلت على التدرج نحو بروز الخط النسخي.[1]

إن هذا التعليم كان مملا للطلبة، ولقد عبٍّر عن ذلك القديس أغسطينوس عند الحديث عن أيام دراسته الأولى –حسب شارل أندري جوليان–، وما ناله من ضربات المعلّم أثناءها فقال القديس: << **من الذي لايروعه أن تُعاد له طفولته ولا يؤْثر الموت إذ هو أتيح له أن يحيا حياته من جديد**>> وكان هذا القديس يتذمر بمرارة لما يشعر به من ملل عند دراسته مغامرات انياس، وديدوني، ويستحضر تقزز زملائه من أبيات هوميروس وفيرجيليوس التي تحفظ من قبل التلاميذ قسرا.[2]

لقد كانت المدن المغاربية تشتمل على مدرسة أو مدارس تؤمن لتلاميذها ما نسميه اليوم بالتعليم الثانوي، ولعبت دورا أساسياً في تكوين أبناء بلاد المغرب القديم. ومن أهم هذه المراكز نذكر ما يأتي:

أ) **تيبيسا** (Tébessa, Theveste): مدينة مغاربية قديمة تقع بالشمال الشرقي - للجزائر الحالية -، على بعد 235 كلم جنوب عنَّابة. استولى عليها القرطاجيون سنة 247

---

[1] عمار المحجوبي، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146 ق.م–235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001، ص 152.

[2] شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، د ط، ج1، الدار التونسية للنشر، 1969، ص 248.

ق.م، خلال الحرب البونيقية الأولى بين قرطاج وروما، ويفسر المؤرخون ارتفاع نسبة سكان المدينة بغناها وثراها معتمدين على ما ذكره المؤرخون القدامى مثل: ديودور الصقلي.[1]

هذا الأخير الذي يخبرنا بأنها كانت أكبر مدينة مغاربية تسمى هيكاتومبيلوس[2]، استولى عليها حانون القرطاجي، واستمرت تحت الوجود القرطاجي أكثر من نصف قرن بعد ذلك.[3]

وصارت قلعة رومانية ابتداء من 146 ق.م بعد سقوط قرطاجة. كانت بها مدراس مشهورة في عهد الرومان.[4]

ب) كيرتا (Cirta, Kirta): نجهل حتى الآن التاريخ الدقيق لتأسيس مدينة كيرتا(سيرتا)، ولعل ذلك راجع لكونها لم تؤسس من العدم، فهي تطورت من مركز استقرار بشري في ما قبل التاريخ إلى مدينة هامة في العصور التاريخية، غير أن أهميتها كمدينة نوميدية ظهرت ابتداء من القرن الثالث ق.م لما كانت عاصمة للملوك النوميد الماسيليين. حيث ظهر بها العديد من العلماء المتميزين منهم فرنتون السيرتي.[5]

---

[1] عبد السلام بوشارب، تبسة معالم ومآثر، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 1996، ص10

[2] يجهل معنى كلمة هيكاتومبيلوس، لكنها في الغالب تسمية بربرية أطلقها عليها السكان المحليون ولما دخلها القائد القرطاجي هركليس (Héracule)، شبهها بمدينة طيبا الفرعونية فسماها تيبس (Thébis)، واختصرت مع الوقت وصارت تيفست (Theveste)، وظلت تعرف باسمها هذا حتى الفتح الاسلامي. ينظر، مها العيساوي، مدينة تبسة في العصور القديمة، مجلة التراث، العدد 9، 1997، ص. ص (30 – 31).

[3] مها العيساوي، مدينة تبسة في العصور القديمة، المرجع السابق، ص 31.

[4] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 45.

[5] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، ص 45.

ج) هيبوريكيوس (Hipoo Regius): مدينة نوميدية قديمة أستوطنها في البداية الفينيقيون، ثم أصبحت مستعمرة رومانية وازدهرت حتى عام 430 م، حيث اجتاحها الوندال. تسمى الآن عنابة تقع بالشرق الجزائري.

وقد زاول بها القديس أوغسطين نشاطه الديني والفكري، وفيها تم عقد ثلاثة مؤتمرات سنوات(393،395،429م) ونشطت بها دراسة الفنون حتى المستوى الثانوي.[1] وهكذا كانت إحدى المراكز الثقافية والعلمية بالمغرب القديم.

د) تاكاست (Thagaste): مدينة نوميدية قديمة لكن معلوماتنا عن تاريخها شحيحة. اشتهرت بكونها مسقط رأس القديس أوغسطينوس. تسمى الآن سوق أهراس تقع بالشرق الجزائري. ومن المعروف أن أوغسطينوس درس ودّرس بها.[2]

ه) سيكافنيريا (Sicca Veneria): مدينة نوميدية قديمة، تقع على الطريق الرابط بين قرطاج وهيبون. اشتهرت بهذا الاسم منذ القرن الرابع ق.م، أخذت اسمها من معبد مشهور لإلهة الحب والجمال فينوس (Venus).[3] درس بها أرنوبيوس الريطوريقي في عقد الإمبراطور ديوقليتيانوس. وهي الآن تنتمي إلى الدولة التونسية.[4]

و) مادور (Madoure): مدينة نوميدية قديمة، أصبحت مستوطنة رومانية حوالي نهاية القرن الأول الميلادي. كانت مشهورة بمدارسها وعلمائها وأساقفتها. فهي مسقط رأس الفيلسوف النوميدي أبوليوس المادوري، ومسقط رأس علماء آخرين أمثال: النحويين ماكسيموس (Maximus) ونونيوس(Nonius) . أضف إلى ذلك أن القديس أوغسطينوس

---

[1] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 46.

[2] Marrou(H), OP- cit, P.269.

[3] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 46.

[4] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 152.

درس بها. يمكن الآن رؤية أطلال مادور قرب مدينة مداوروش بالجزائر الحالية، وسأحاول دراسة جوانب من هذه المدينة في الفصل الثالث.[1]

ز) أويا (Oea): مدينة نوميدية لوبية قديمة تحمل أسم طرابلس الغرب اليوم –عاصمة ليبيا الحالية– حكمها الرومان من سنة 146 حتى 450م. ولا تزال المدينة قائمة حتى الآن رغم توالي أشكال مختلفة من موجات الاستعمار عليها، تعتبر مركزا ثقافياً هاما، حيث كانت ملتقى طلبة تريبوليتانيا (Tripolitania)[2] بشكل عام، وبها درس الفيلسوق أبوليوس المادوري لمدة ثلاث سنوات لما كان في طريقه إلى الإسكندرية.[3]

ح) سبراتا (Sebratha): مدينة نوميدية قديمة من أهم مدن تريبوليتانيا القديمة. ويبدو أن الفينيقيين هم الذين أسسوها كمحطة تجارية وذلك خلال القرن الرابع ق.م، وبعد سقوط قرطاج عام 146 ق.م، تمتعت سبراتا بفترة قليلة من الاستقلال قبل أن تدخل تحت سلطة الرومان. وعندئذ تمتعت المدينة بازدهار ثقافي متنوع لشتى العلوم والفنون.[4]

ط) لبتس ماكنا(leptis Magna): تعد هذه المدنية مركزا تجاريا هاماً بين البحر الأبيض المتوسط وإفريقيا السوداء، أصبحت مستوطنة رومانية عام 96م، اكتسبت أهمية معتبرة بعد أن أصبح أحد أبنائها على رأس الإمبراطورية الرومانية عام 193م. كانت لبتس مركزاً ثقافيا هاما يقصده طلبة العلم من جميع أنحاء تريبوليتانيا القديمة، إلى جانب

---

[1] Gsell (S), M'Daouruch, T2, fouilles exécutées par le service des monuments historiques, Carbonel (Alger) et de Bocard, Paris, 1914-1918 P.6.

[2] تريبوليتانيا تتشكل من المدن الثلاث: (سبراتا ولبتس ماكنا و أويا)، تم دمجها من قبل الرومان مع جزيرة كريت في مقاطعة واحدة ثم في عام (78 ق.م) ثم في عام (20 ق.م)، أصبحت مقاطعة سيناتورية لديها مجلس خاص مثل مقاطعة أفريقيا المجاورة لها من ناحية الغرب. ينظر:عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص47.

[3] عبد اللطيف محمد البرغوثي، التايخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1، ص 181، متاح على الرابط www.Tawalt.com، تاريخ الرفع 2012/10/18.

[4] المرجع نفسه، ص 186.

مدينتي سبراتا وأويا، لقد كانت تقع على الطريق الرسمي بين قرطاج والإسكندرية، وهو طريق كثيرا ما يستعمله الطلبة والعلماء للتنقل بين مراكز العلم ببلاد المغرب القديم، خاصة بين الإسكندرية وقورينة وقرطاج وكايصاريا مما أعطاها مكانة متميزة ذات أهمية بليغة.[1]

وكانت كل مدينة من هذه المدن تشجع أبناءها على التعليم، وتحثهم عليه بجميع الوسائل وتقيم الاحتفالات لتمجيد الناجحين منهم الذين أصبحوا من المفكرين البارزين ومن فطاحل علماء البيان ببلاد المغرب القديم، وكانوا ينتدبونهم لمراتب الشرف ويقيمون لهم التماثيل ويسجلون ما أحرزوا عليه من نجاح مدرسي وفوز أدبي.[2]

التحق بهذه المدارس أبناء الطبقة المتوسطة، أما أبناء الأثرياء فكانوا يتلقون تعليمهم في منازلهم عن طريق معلمين خاصين بهم، في حين يبقى سكان الأرياف محرومون من مستويات المراحل العليا من التعليم وقد يحضون بالمبادئ الدنيا منه.[3]

وهكذا تلاحظ الباحثة من خلال هذه الدراسة أن التعليم في المغرب القديم خلال العهد الروماني كان يعكس طبقات المجتمع المدني.

3) التعليم العالي: عندما يبلغ الطالب الذكي أو الثري السابعة عشرة من عمره، يقصد المدن الكبرى لمواصلة التعليم العالي. وكانت البلديات تحرص على جلب أشهر الأساتذة إلى مدارسها التي يمكن أن نسميها في أيامنا هذه الجامعة.[4] وهذه المرحلة الأخيرة من مراحل التعليم كانت موكلة إلى الرِيتور (rhetor) الذي كان يلقّن الفصاحة وفنّ الخطابة،

---

[1] المرجع نفسه، ص 220.
[2] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 262.
[3] (M) Benabou, Op-cit , P. 484.
[4] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 249.

استشهادا بالنّصوص الأدبية البليغة ومن الخطب الشهيرة. وقد تشمل دروسه على مواد الآداب والتّاريخ والفلسفة والعلوم.

وكان كثيراً ما ينتقل الطلبة الميسوري الحال من سائر المدن الأفريقية إلى قرطاج عاصمة الولاية،[1] التي أصبحت منذ القرن الأول بعد الميلاد مركزا ثقافياً متطورا ومقصود من كل أنحاء المغرب القديم وفي هذا السياق يذكر أبوليوس المادوري: << **إنّك لاترى في قرطاج إلا نخبة المثقفين الضليعين في مختلف العلوم: طلبة يدرسون وشباب يتباهون بعلومهم وشيوخ يدَّرسون...إن قرطاج مدرسة معتبرة في منطقتنا، إنّها هدية السماء للأفريقيين>>**.[2]

وهذا يوفينال[3] (Juvénal) عالم من القرن الأول الميلادي ينصح خطيبا وُلد في روُما بالذهاب إلى الضفة الأخرى للمتوسط (أفريقيا) بحثاً عن حظ أوفر قائلاً له: << **إن أفريقيا هي الأرض التي أنبتت المحامين والفصحاء...>>**[4]

كان التعليم العالي في قرطاج له شهرة عالمية في العصر القديم، وكان يتم تلقين مختلف العلوم: الفلسفة، الحقوق، الطبّ، الرياضيات، علوم الطبيعة، الفنون الجميلة وخاصة البلاغة، حيث يتتلمذ الطالب على يد أشهر المدرسين، ويستمتع في المسرح بمحاضرات الأدباء والمسرحيات والمناظرات الأدبية، وفي المسرح المغطى (Odeum) بعروض الموسيقى والغناء والرقص، أما لغات التدريس بمركز قرطاج القديمة هي:

---

[1] عمار المجحوبي، المرجع السابق، ص 152.

[2] النص كما ورد في المصدر: ....Carthage, provincae nostrae magistra venerabilis, Crthago, africae mrusa musa Caelistis

ينظر: .Apulee, Apologia, Sive de magia, Feloridorum, éd. Van. Der Viet, 1900, P.18

[3] شاعر لاتيني (حوالي 60–140) له ديوان شعر في الهجاء، هاجم فيه سلبيات عصره.

[4] Juvénal, Satires, texte établi et traduit par H. clouard, Paris : Garnier, S.D, VII, P.P.(148-149).

اللاتينية واليونانية، حيث كانت الكثير من المواد العلمية المدروسة بالتعليم العالي تعطى بلغة يونانية، فالطب مثلا: كان يدرس باليونانية حتى القرن الخامس ميلادي، وما كان يدرس باللاتينية أحيانا ليس إلا ترجمات لنصوص يونانية الأصل.

والواقع أن المثقف المغاربي القديم كان يتقن اللغتين اللاتينية والإغريقية إلى درجة أن تداولهما معا في نفس المحاضرة كان أمراً عادياً لا يكون أية بلبلة لدى المستمع الذي يفهم ما يسمعه، ويذكر أن أبوليوس الماوردي، لما كان أستاذا بجامعة قرطاج، كان يبدأ محاضرته بإحدى اللغتين المذكورتين وينهيها بالأخرى.[1]

كما كان أغلب طلبة قرطاج يزورون روما وأثينا أو هما معا قصد إتمام دراستهم، وقد دشن الإمبراطور سيفيروس[2] في القرن الثاني ميلادي، وهو من أصل مغاربي، مبادرة حميدة تتمثل في منح الطلبة المغاربيين القدامى منحة دراسية لإتمام دراستهم بالمراكز العلمية ذات المكانة المرموقة في العالم القديم.[3]

وكانت الحياة الطلابية في قرطاج، كما كان يتذكرها الأسقف المسنّ أوغسطينوس، مزيجا متفاوتا من الإقبال بجّد وكدّ على الدراسة ومن الانهماك في التّرف الذي كانت

---

[1] Cf, Monceausc, Les Africains, Etudes sur la littérature latine d'Afrique (les paiens) , Lecénce, Oudin et Cie, Editeurs, Paris, P.P.(37,62,63).

[2] لوقيوس سبتيموس سفيروس (Lucuis Septimius Severus) ولد بلبدة (Lepcis Magna) في الحادي عشر أبريل 146م. من عائلة ليبية أخذت الجنسية الرومانية (Romaniser) وتنتمي إلى طبقة الفرسان. ثم درس الفلسفة في أثينا والحقوق في روما، ولكنه لم يكن ضليعا في اللغة اللاتينية. مارس وظائف عليا في كل من أفريقيا وسردينيا وسوريا حيث تزوج فيها من امرأة سورية تدعى دومنا (Domna) ابنة كاهن مدينة حمص (Emissa) ثم عين قائدا للفيلق الإليري، وكان أقوى الفرق في الجيش الروماني، وهناك استمال جيشه فأعلنه امبراطورا عام 193م، فسار إلى روما بعد أن قضى على منافسيه في التاج، وهم: ديديوس جوليانوس (Didius Julianus) وبسكينوس نيجر (Pescennius Niger) وألبينوس (Albinus). ينظر: Dictionnaire Encyclopédique d Histoire Bordas 1978 P. 4136.

[3] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 44.

توفرّه المسارح والملاعب وغيره من الملاهي.[1] وهي قريبة من المدن الجامعية في عصرنا الحالي.

وفي هذا السياق ينبغي التنويه بالملك يوبا الثاني (52 ق.م– 23م)، الذي جعل من عاصمته يول – كيساريا[2] (Iol. Césarée) مركزاً حضارياً وعلمياً مرموقاً ورغم نشأته الرومانية، إلا أنه كان كباقي معاصريه يميل إلى الثقافة الإغريقية، وأعتبر بعض الباحثين أن كيساريا هي أول مدينة مغاربية كمركز ثقافي متميز إن لم تكن الوحيدة التي اهتمت بتدريس الفنون والآداب على الطريقة الإغريقية[3] منذ القرن الأول ق.م.

وكان التبادل العلمي والثقافي بين كيساريا وأثينا مزدهراً تبادلت خلاله الوفود العلمية والطلابية، كما كان الملك يوبا الثاني محل حفاوة من قبل الأثينيين، الذين أقاموا له تمثالا وضعوه أمام الخزانة الرسمية لمدينتهم، كما منحوه المواطنة تقديراً لمكانته الأدبية والفكرية.

وهذا ما جعل شرشال عاصمته تضاهي الإسكندرية في المكانة الثقافية، حيث وفد إليها الطلبة للاستفادة من المحاضرات التي يلقيها الأساتذة المستقدمون من بلاد الإغريق، وظل الإشعاع الثقافي الهيلينستي في كيساريا ساطعا مشرقا إلى آخر أيام بطليموس[4] الذي غدر

---

1 Marrou (H), Op-cit, P.258.

2 شرشال الحالية، عاصمة موريتانيا القيصرية، اسمها القديم هو يول أضيف لها لقب الانتماء إلى يوليوس قيصر كيساريا أو قيصرية وهو لقب أضيف إلى مدن عديدة من قبل الرومان لتمجيده. ينظر: Gsell (S), Cherchel antique col Caesara, Alger, sans date, P.P. (115-119).

3 بن مايس عبد السلام، المرجع السابق، ص 33.

4 بطليموس بن الملك يوبا الثاني ولد في القرن الخامس ق.م بمدينة قيصرية (شرشال) وكان يشارك أباه في الحكم أثناء حياته، لا سيما بعد وفاة كليوباترا سيليني، غير أنه يختلف عليه في حب حياة الرفاهية والميل إلى اللهو والكسل ، تم تدبير قتله لأن مجلس الشيوخ الروماني عزم على وضع حد للكيان المغاربي بالقضاء عليه.

ينظر: E. flatter, L'Afrique septentrionale ancienne, R. Afr, 1877, P.P .(153,233).

به الإمبراطور الروماني كاليغولة[1] (Caligula) وأمر باغتياله سنة أربعون ميلادي وهو في ضيافة الإمبراطورية الرومانية. وبذلك تراجع الدور العلمي الريادي لجامعة كيساريا للحد من التأثير الهيلينستي على بلدان المغرب القديم لتحلّ اللغة اللاتينية محل اللغة الإغريقية تدريجياً.[2] وتظهر نتائج الاحتلال الروماني الذي عمل على تهديم الصرح الثقافي المغربي وأقام على أنقاضه الثقافة الرومانية محاولا القضاء على الهوية المغربية وبصماتها الحضارية.

وقد اهتم الرومان كثيراً بالخطابة خدمة لأهداف سياسية ولما لها من تأثير على الشعوب والجماهير، وقد كانت تتم في مجلس الشيوخ بإيطاليا وفي الولايات لتهدئة النفوس أو بعث الحماس فيها حسب ما تقتضيه أهدافها الاستعمارية.

وهكذا استفاد أصحابها من تشريفات و شهرة عظيمة ومن أبرز الخطباء اللاتين يمكن ذكر: أنيسيوس هورت (Ensius Hort).

والملاحظ أن الرومان حرموا القادة من الارتقاء إلى مراتب عليا مهما كانت كفاءتهم العسكرية إذا لم يتمتعوا بقوة التأثير في صفوف الجيش والمحيط.[3]

اعتنى المغاربة في هذه الفترة بدروس الفصاحة والخطابة.[4] ومما يفسر إقبالهم عليها ميلهم إلى مهنة المحاماة، وضرورة الإلمام بالعلوم القانونية في العهد الروماني، لما كانت

---

[1] كاليغولة: هو ثالث إمبراطور روماني حكم في الفترة مابين 37 حتى اغتياله سنة 41م اسمه الحقيقي جايوس قيصر، اشتهر بطغيانه وأعماله الجنونية، له صلة قرابة من ناحية الأم بالإمبراطور نيرون الذي أحرق روما. ينظر: E.flatter, Op-Cit P.P. (154,232)

[2] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 33.

[3] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 261.

[4] كان الخطيب في المقام الأول في أفريقية "مغذّية المحامين" على حد تعبير جوفينال، حيث كانت تغلب على الأدب والتاريخ والفلسفة النزعة الخطابية، وإذا لم تجد الخطابة متنفسا لها في الحياة العامة فإنها تتجلى في التمارين المدرسية وفي النوادي الخاصة. ينظر: شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 249.

عليه مادة الحقوق من أهمية بالغة. وكثيرا ما اختار الطلبة في بلاد المغرب، عند بلوغهم مرحلة الاختصاص، مادّة الحقوق سواء لممارسة المحاماة أو القضاء، فكان على الحاكم المنتخب، في كل مدينة الإدلاء بالقانون (duovir jure dicundo) وطلب العون دوماً والمؤازرة من عالم القانون.[1]

المبحث الثالث: التأليف الأدبي من خلال شخصيات مغاربية

أعالج في هذا المبحث الإنتاج الأدبي للمغاربة القدامى بالتطرق للمؤلفين الوثنيين والمسيحيين.

أولاً: المؤلفون الوثنيون: يمكن أن نتبين الاهتمامات الأساسية للمؤلفين المغاربة القدماء انطلاقا من الفكر الديني عندهم لأنه يعتبر أحد أهم أشكال التعبير، على أساس أنه يمكن التأريخ لذهنيات الشعوب بالغوص في موروثها العقائدي، الذي مهما كان بعيدا في الزمان سيضل عنصر تأثير في حياتها الدينية والاجتماعية والأدبية. ومن هؤلاء المؤلفين:

1) يوبا الثاني الملك المثقف: يمكن الحديث عن أنواع عدة من المقاومة المغاربية في بلاد المغرب إبان الغزو الروماني، فهناك المقاومة العسكرية التي اندلعت على أيدي كبار المقاومين المغاربة المحنكين في ساحة المعارك والبطولات القتالية وهم: ماسينيسا وصيفاقس[2] ويوغرطة[1] تاكفاريناس[2].

---

[1] Balout (L), Vingt année d'histoire algérienne, Paris, 1931, P. 10.

[2] سيفاكس (Syphax) أول ملك عرفه تاريخ شمال أفريقيا المدون، وقد ذكرته النصوص لأول مرة كملك على المازاسيليين في توميديا الغربية ابتداء من عام 220ق.م، وقد كانت عاصمته سيجن (سيقا Siga) الواقعة على إحدى منعطفات وادي التافنة بالغرب الجزائري، وذلك عندما كانت الحرب الرومانية – القرطاجية الثانية (219–201 ق.م) اختار الملك سيفاقس الانضمام إلى صفوف القرطاجيين، سقط أسيرا في معركة دارت رحاها في السهول الكبرى بالقرب من جندوبة الحالية بتونس وسلم إلى سيبيون مغلولا، ثم ابعد إلى روما وبقي في الأسر إلى أن قتل بتيفولي إحدى ضواحي مدينة روما سنة 201 ق.م . ينظر: فتيحة فرحاتي، المرجع السابق، ص115

والمقاومة الاجتماعية التي قام بها مجموعة من الفلاحين والبؤساء المعروفين بالدّوارين. والمقاومة الدينية التي تتمثل في ثورة أغسطينوس الإنجيلية، وثورة دوناتوس التي استهدفت طرد الأرستقراطية الرومانية، والمقاومة الثقافية التي ارتبطت بالملك المثقف يوبا الثاني الذي حارب الرومان بسلاح العلم والثقافة والفنون والآداب وتمدين البوادي والحواضر حيث قال فيه بلينوس صاحب كتاب التاريخ الطبيعي: << **إن شهرة يوبا الثاني كعالم هي أكثر من شهرته كملك**>>، ومن هنا فقد اتخذ يوبا الثاني المقاربة الثقافية سبيلاً لوضع نوع من الاستقرار الحضاري في الكثير من المناطق المغاربية. (ينظر الشكل رقم 19 ص).

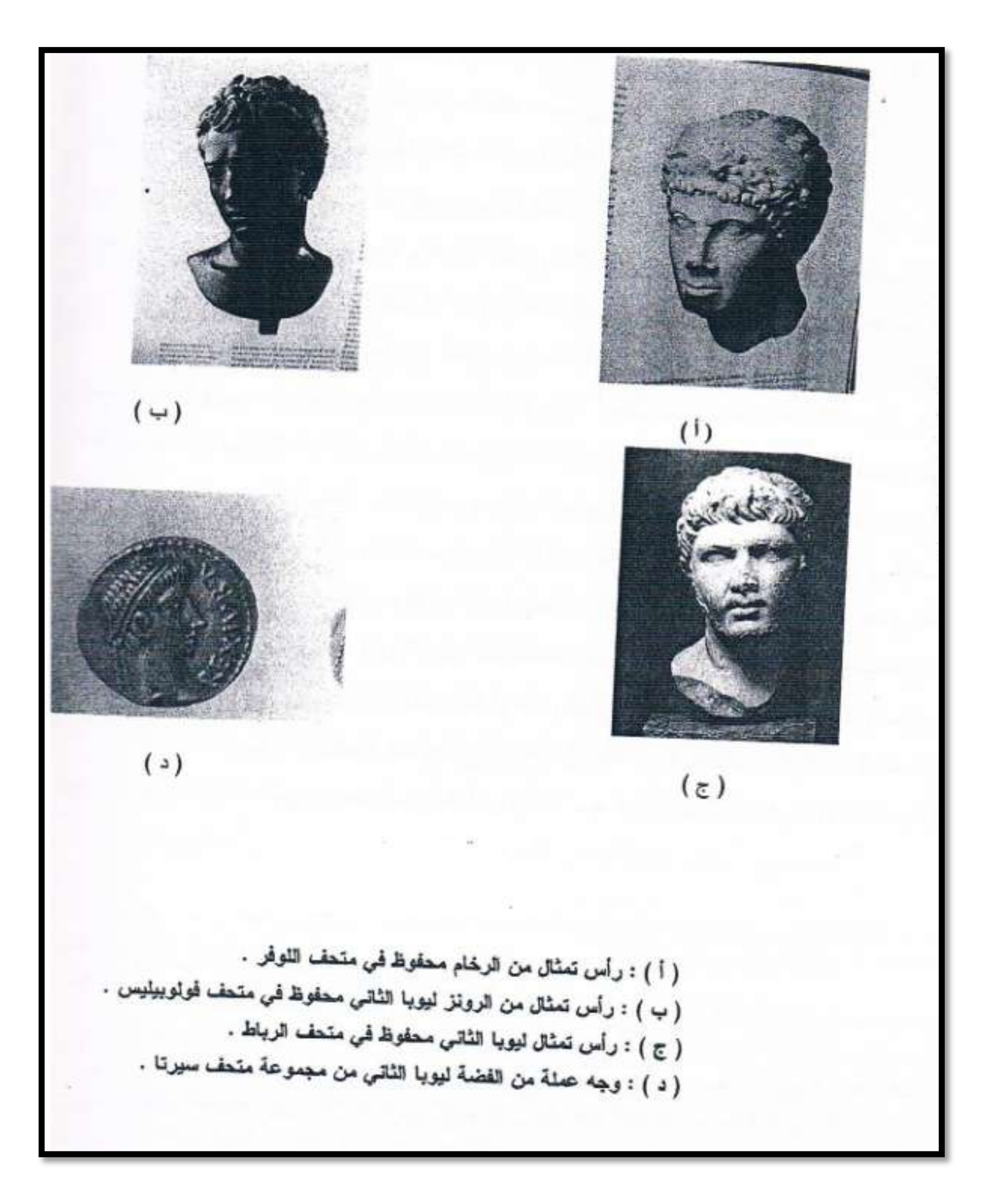
ولد يوبا الثاني بزامة الملكية من يوبا الأول[3] الملك الموريتاني، عاش ما بين 52 ق.م وتوفي في 24م، وكان الملك أنموذجاً لنوميدي عاش غريبا عن وطنه ردحاً من الزمن في روما التي تربي فيها على يد أخت أوكتافيوس في ظل حياة أسرة اشتهرت بالرخاء، وشاء القدر أن يتزوج كليوباترا سيليني ابنة كليوباترا الكبرى ملكة مصر زوجة

---

[1] ولد يوغرطة المازيلي بسيرتا عاصمة نوميديا تسمى حاليا قسنطينة سنة 160 ق.م، وهو حفيد ماسينيسا وابن مستنبعل أخ الملك النوميدي مكيبسا. اتسع نفوذ يوغرطة فتسلم الحكم في العاصمة سيرتا سنة 112ق.م، وقاد مقاومة عنيفة ضد الرومان حقق خلالها الكثير من الانتصارات. اعتقل يوغرطة سنة 104ق.م وسلم للقائد الروماني سولا وقد توفي في أحد سجون روما. ينظر: محمد السيد محمد عبد الغني، نماذج من الكفاح الجزائري القديم ضد الهيمنة الرومانية، د ط، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص. ص (15- 16).

[2] تاكفاريناس: من أهم قادة نوميديا ينتمي لقبيلة موسولامس، جند مساعدا في الجيش الروماني في سن السادسة عشرة برتبة مساعد لكنه فر من الجندية، وعين من قبل أتباعه ومحبيه قائدا لقبائل لمزالمة سنة 17م فشكل جيشا نظاميا، وخاض العديد من الحروب ضد الجيش الروماني دامت ثورته سبع سنوات ثم انهزم قتيلا في منطقة سور الغزلان. ينظر: محمد السيد محمد عبد الغني، المرجع السابق، ص. ص(15- 16).

[3] يوبا الأول (YUBA) ملك مغربي ولد سنة 85 ق،م قتل سنة 46 ق،م، هو ابن الملك هيمبسال الثاني، وحفيد يوغرطة، ولد يوبا الأول بمدينة بونة بنوميديا (مدينة عنابة حالياً) يعتبر آخر ملك نوميدي مستقل، وبعده أصبحت نوميديا مقاطعة مستعمرة تابعة مباشرة للحكومة الرومانية.ينظر: محمد الصغير غانم، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم،المرجع السابق، ص. ص(102- 103).



الشكل رقم (19): نماذج مختلفة لآثار تعود ليوبا الثاني.

نقلاً عن: عبد الحميد بن شنهو، المرجع السابق، ص 63.

أنطونيو الشهر[1]، ويذكر محمد بكبوط في هذا السياق: << **لعله من المفيد الإشارة إلى شخصية هذا الملك المتميز فعلاوة على أصله النوميدي الأمازيغي وتربيته الرومانية، فهو بونيقي بما ورثه من قومه من حضارة قرطاج، وإغريقي بثقافته وذوقه الفني، ومصري بزواجه من ابنة كليوبترة ملكة مصر، كل هذه الجوانب روعيت بدون شك من طرف الإمبراطورية عند اختيار يوبا لاعتلاء عرش موريتانيا.**>>[2] لذلك سمح أغسطس[3] لنفسه بإرجاع المملكة النوميدية إلى يوبا الثاني، لأنه كان يعتقد أن التربية التي حصل عليها في صغره وريعان شبابه بروما وتأثيرها الثقافي عليه يعدان ضمانا لإخلاصه للرابطة التي تربط الملك النوميدي بروما.

وقال فيه جوليان: <<... **ولم ينشط العاهل الجديد بنشاط آبائه، ولمَّا لم تترك له الحماية الرومانية إلا المظاهر تسلَّى بالاعتناء بالمجموعات الفنية والأدب الرخيص**>>[4]

ومن خلال تربيته نعرف الأثر الثقافي المتجلي في أعماله الأدبية العملية، التي أتاحت له تنشئته، فرصة الاحتكاك أكثر من غيره من أبناء جلدته بالأوساط الثقافية والعلمية، فتعلم اللاتينية واليونانية وتضلع فيهما، وأتقن فنون الخطابة والشعر، كما أتقن اللغة البونيقية مع أنه كان مغتربا بالنسبة لتلك اللغة فاستفاد من الكتب البونيقية ومنها كتب

---

[1] Serge lancel, Les moments antiques de L'Algérie, édition mangés, Paris, 2003, P. 65.

[2] محمد بكبوط، الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات، ط1، منشورات مركز طارق بين زياد، الرباط، 2002، ص 45.

[3] جايوس يوليوس قيصر أغسطس: (63 ق.م – 14م) هو أول إمبراطور روماني حكم الإمبراطورية الرومانية من (27 ق.م حتى وفاته 14م) عاصر أغسطس أواخر الجمهورية الرومانية وحروبها الأهلية، امتد عهد أغسطس أكثر من ثلاثين سنة تعتبر من عصور روما الذهبية، ازدهر فيها العمران وقلة الحروب وقد أطلق على هذه الحقبة اسم (Pax Romana) أو السلم الروماني. ينظر: محمد إبراهيم السعدني، حضارة الرومان منذ نشأتها حتى نهاية القرن الأول الميلادي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1998، ص. ص (135،137).

[4] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 172.

جده يمبسال التي آلت إليه، بالإضافة إلى إتقان لغة قومه اللوبية، إضافة إلى ما تقدم كان على دراية واسعة باللغات الأخرى: كالعربية والعبرية والأرمينية والحبشية.[1]

حيث كان صاحب ثقافة وإحاطة عميقة بعلوم كثيرة من ضمنها: التاريخ والجغرافيا والتاريخ الطبيعي وتاريخ الفنون والشعر بمختلف أصنافه والنحو، تميز بكثرة القراءة وحب الاطلاع على علوم عصره ويعرف بميله المتميز لجميع الألفاظ والمصطلحات الأجنبية التي توجد معانيها في لغات عالمية.[2]

نال يوبا الثاني تقدير واحترام معاصريه بمساهماته الفكرية، ومن كثرة إعجاب أهل أثينا في اليونان بفكره وانتاجه في عالم المعرفة الإنسانية، أقاموا ليوبا الثاني تمثالا ضخما محاذيا لمكتبة جامعية توجد بمركب رياضي بأثينا اعترافا له بالجميل، وكان يوبا يكتب باللغة اليونانية، ربما بسبب تأثير كليوبترا سيليني زوجته التي كانت لها قرابة بإغريق الإسكندرية أي البطالمة.[3]

ويذكر محمد السليماني أن بلوتارك[4] الإغريقي صاحب كتاب "حياة المشاهير" يعتبر يوبا الثاني أحسن مؤرخ من ملوك العالم القديم، ويورد أن يوبا يعد واحد من كبار المؤرخين الذين كانت لهم معرفة في عالم الثقافة الإغريقية.[5]

---

[1] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ المغرب القديم، ص. ص (163- 164).

[2] رشيد الناضوري، المغرب الكبير، ج 1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص. ص (321-322).

[3] عبد الحميد بن شنهو، الملك العالم يوبا الثاني، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 61.

[4] بلوتارخوس: (46-120م) مؤرخ وناقد يوناني مشهور، يعتبر من أبرز مؤرخي السير والتراجم في العالم القديم، كتب سير متوازية ووضع فيها مقارنات بين شخصيات يونانية، كما كتب مقارنات ومقالات أخلاقية.ينظر: أحمد عتمان، كليوباترا وأنطونيوس دراسة في فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقي، المركز العربي للبحث والنشر، 1985، ص 08.

[5] أحمد السليماني، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر،2007، ص 181.

كان يوبا الثاني يملك مكتبة عامرة رائدة، اعتمد عليها في إخراج أعمال فكرية وكتابات علمية إلى حيز الوجود، وجند مجموعة كثيرة من النساخين والمساعدين الثقاة من أجل هذا الغرض، وسخر أمواله الملكية في سبيل ما كان يصبو إليه من تأليف وإنتاج فكري سامي وواسع.

وعرف يوبا الثاني بحبه العميق وميله الشديد لاقتناء المخطوطات النادرة، حيث اشترى مخطوط فيثاغورس اليوناني الشهير بثمن باهض، وكانت مكتبته تحتوي على مجموعة كثيرة من المخطوطات والمؤلفات اليونانية التي كان قسمها الأكبر مكتوبا بتلك اللغة العالمية، كما كانت في نفس الوقت تحتوي على مخطوطات مكتوبة باللغة اللاتينية والقرطاجية،[1] وبذلك أصبحت المكتبة إحدى درر عاصمة ملكه قيصرية (شرشال).

ويذكر أن يوبا الثاني قرأ نصاً أصلياً عن رحلة حانون القرطاجي إلى سواحل القارة الإفريقية الغربية، والدليل على ذلك ما وجد من آثار كتابية في قبر قرطاجي، واعتمد على الترجمة الإغريقية لهذه الوثيقة واطلع على معلومات تخص منبع النيل التي وجدها في كتب قرطاجية، كانت في حوزة جده هيمبصال، مع العلم أن الكتب القرطاجية كان لها مكانة و اعتبار في مكتبة يوبا الأول العامرة، ولا يستبعد أنه حصل عليها عن طريق مجلس الشيوخ الروماني، الذي ترك الكتب القرطاجية، إلى أمراء من عائلة يوبا مباشرة بعد سقوط قرطاجة.

ولقد عاصر يوبا الثاني فطاحل مرموقين من الإغريق واللاتين، أمثال ديودور الصقلي[2] وليفيوس الروماني والإسكندر الميلتي وديديم الإسكندري الذي كان أحد رفقاء

---

[1] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص. ص (181- 183).

[2] ديودور الصقلي: هو مؤرخ يوناني صقلي المولد والنشأة عاش في القرن الأول قبل الميلاد، من مصنفاته: المكتبة التاريخية، التي تشتمل على أربعين سفرا تناول فيها الأساطير والأحاديث التاريخية معا، دون توخي منهج علمي نقدي،

يوبا الثاني ومجادليه من العلماء، كما عاصر فارون الروماني وغيره ممن تميز بهم العصر المخضرم (نهاية العهد الجمهوري وبداية العصر الإمبراطوري الروماني)، وهو العصر الذي بلغت فيه روما عظمة مجدها وسؤددها.[1]

كل العوامل التي ذكرت سابقا ساعدت يوبا الثاني على وضع مؤلفات كثيرة من أشهرها كتابه المعروف باسم "ليبيكا" الذي يحتوي على ثلاث مواد هي: الجغرافيا والتاريخ الطبيعي وعلم الأساطير (ميثولوجيا).[2] تكلم فيه عن أصل البربر وعوائدهم وخصالهم ولغاتهم ومعمل نسيج الثياب الفاخرة والصباغة الذي أسسه بالسويرة[3]، كما جاء ذكر رحلة حنون في كتابه هذا الذي يشرح فيه شواطئ القارة الإفريقية، وذكر فيه جبال الأطلس الموجودة في الجزائر والمغرب، وفي هذا السفر المتميز، يجد الباحث نتائج أبحاثه عن وادي النيل وجزر الكناري ومعلومات تخص الفيلة، التي كانت موجودة بكثرة في موريتانيا.

ويشرح يوبا الثاني في كتابه هذا كيف أن وسائل الدفاع عند الفيل تكمن في قرونه وليس في أنيابه، كما أشار إلى أن الفيل يمتاز بذكاء حاد عجيب، ويستطيع أن يعالج نفسه عندما يصاب بجروح، وأنه يعمر طويلا.[4] ومن الأشياء الجميلة التي ضمنها المؤلف قصة

فلقد اكتفى بالجمع ولكنه يبقى مرجعا ثمينا فيما يخص المصادر التي عاد إليها واستقى منها معلوماته العديدة المتنوعة ذات القيمة التاريخية. ينظر: محمد الصغير غانم، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق،
ص 95.

[1] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، ص 164.

[2] (S) Gsell , Juba II, Savant et écrivain, revue africaine N° :68, année 1927 nouvelle édition O.P.U Alger, 1986 ,P.170.

[3] السويرة: مدينة مغربية عتيقة، واقعة على بحر المحيط ذات الاسم الفينيقي القديم وهو مجدر، (Mogador) من الجدار أي السور العالي.

[4] Gsell, Juba II Op-cit. P. 182.

"الأسد الحقود" التي مازالت تروى من قبل الجدات في عدة مناطق مغاربية باللغة البربرية في ليالي السمر،[1] ويعني هذا أن المبدعين المغاربة كانوا سباقين في مجال السرديات بصفة عامة بما فيها القصة أو الحكاية. وفي ذلك دلالة على أن الأدب الشفوي قد يحفظ خيرا مما يحفظ المدون.

وقد أخص يوبا الثاني بلاد العرب بكتاب مماثل "عربيكا" (Arabica) وهو كتاب ضخم يحتوي على معلومات مختلفة، خاصة فيما يخص التاريخ الطبيعي للبلاد العربية ويذكر محمد شفيق أن بلينوس اقتبس جوانب عديدة منها أغنى بها كتابه "التاريخ الطبيعي".[2]

يتحدث يوبا الثاني في كتابه عربيكا عن الموقع الجغرافي لبلاد العرب والشواطئ والسواحل التي تحيط شبه الجزيرة العربية كالخليج الفارسي والمحيط الهندي، ويتحدث فيه عن بلاد الحبشة (إثيوبيا)، وجنوب مصر وبداية نهر النيل في الجنوب، ورغم أن الكتاب يعتبر دراسة جغرافية محضة، فإنه يحتوي على أمور أخرى خارج نطاق الجغرافيا، فهناك دراسات تخص الإثنوغرافيا[3]، ويعرج على عالم الحيوانات.[4]

حيث قام يوبا الثاني في كتابه عربيكا بوصف البلاد العربية ووصف البلاد التي تقع أقصى الشرق منها، وهي بلاد الهند التي ذكر عادات شعوبها المختلفة من بينها اللباس،

---

[1] محمد شفيق، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، ط1، دار الكلام، الرباط، 1989م ، ص 77.

[2] المرجع نفسه، ص. ص (77- 78).

[3] الإثنوغرافيا (Ethnographie) أو علم الإنسان الوصفي: يسعى هذا العلم إلى اعتماد منهج البحث الوصفي أو منهج المسح معتمدا على الملاحظة المباشرة، من أجل تحليل وتفسير مختلف الظواهر الإنسانية أو التنبؤ بما سوف تؤول إليه المجتمعات البشرية. ويعرفه ليفي ستروس:" هو علم وصفي يتمثل في ملاحظة وتحليل المجموعات الإنسانية التي تتناولها في خصوصيتها والتي تطمح إلى تحليل أكثر ما يمكن أمانة معيشة هذه المجموعات" ينظر: سارة التونسي الزواري، المرجع السابق، ص 16.

[4] أحمد السليماني، المرجع السابق، ص 186.

حيث يذكر لنا يوبا أن البعض يرتدون لباسا من الكتان، وآخرون يرتدون لباسا من الصوف، أما البعض الآخر لا يرتدون شيئا، كما يذكر أن هذه الشعوب تختلف في أكلها، بحيث هناك من يمتنع عن أكل لحوم الحيوانات والبعض الآخر يأكلون الأسماك التي تمثل طعامهم الوحيد، كما يذكر يوبا الثاني أن البعض من الهنود يقومون بقتل أقاربهم وآبائهم عندما يتقدمون في السن، أو عندما يصابون بأمراض، ثم بعد ذلك يأكلون لحومهم.[1]

إضافة إلى ذلك فقد ألف يوبا الثاني عن الرومان كتابين الأول يسمى "التاريخ الروماني" والثاني تحت عنوان "الآثار الرومانية" تحدث في أحدهما عن السكان الأوائل لإيطاليا، وفي الآخر تحدث عن حرب النومانس (Numance) باسبانيا.[2]

ولقد استشهد بلوتارخوس بيوبا الثاني في كتابه "حياة المشاهير" في الكثير من المواقع خاصة في الجزء الخاص بحياة رومولوس (Romulus) البطل الأسطوري الذي أسس مدينة روما، كما اقتبس بلوتارخوس عن يوبا الثاني معلومات خاصة بنوما (Numa) الذي حكم روما بعد رومولوس، وأيضا عن حملة سيلا (Sylla) على بلاد الإغريق سنة ستة وثمانون ق.م.

وهناك كتاب آخر بابلونيكا سجل فيه معلومات عن بابل وعن الملكة الشهيرة ساميراميس صاحبه الجنة المعلقة وعن الملك بختفصر وحروبه ضد المصريين واليهود.[3]

كما اهتم يوبا الثاني بالنباتات والأعشاب الطبية، حيث جمع منها عدة أنواع وقدم وصفاً دقيقا لها ذكره بليونس في عدة مناسبات، كما اهتم بتاريخ الفن وألف فيه وفي

---

[1] المرجع نفسه، ص 186.

[2] نصيرة ساحير،نشاط يوبا الثاني العلمي، أشغال الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر،2011، ص. ص (263- 264).

[3] المرجع نفسه، ص. ص (264-265).

مشاهيره، واعتنى بالموسيقى حيث وصف في كتبه أنواعا منها تبعاً لبلدانها، وكتب في المسرح، وكان مولعا بالمسرحيات المأساوية.[1]

أما الكتاب الخاص بعلم المفردات فهو يتكون من خمسة عشرة جزءا، فقد كانت ليوبا ميولا كبيرة لمثل هذه المواضيع، ففي نظره تعتبر اللغة اللاتينية أولا لغة إغريقية وبالتالي كان يجتهد من أجل البحث عن مشتقات إغريقية للكثير من الكلمات اللاتينية.[2]

هكذا نلاحظ أن يوبا الثاني قد كتب في شتى الميادين، إلا أنه يصعب معرفة القيمة العلمية لمختلف تلك الأعمال، نظرا لفقدان مؤلفات يوبا الثاني، وبالتالي لا يمكن الحكم عليها إلا من خلال الشذرات التي ساقها مؤرخوا الإغريق واللاتين (المصادر القديمة).

ويذكر بن نابو أنه من المؤسف أن المعلومات التي وصلتنا عن طريق المصادر القديمة حول ما كتبه يوبا الثاني، هي عبارة عن أساطير وروايات في معظمها غير واضحة، مما جعل الانتقادات المعاصرة تكون قاسية على إنتاجه العلمي.[3]

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين استصغر قيمة الإسهام العلمي والثقافي الذي قدمه يوبا الثاني، حيث وصف جوليان أدبه بالرخيص ونعت غوتي وغزيل أعماله بالرداءة، فإنه يكفي أن نذكر أن بلينوس قد استشهد به صراحة ثمانية وثلاثون مرة في كتابه << التاريخ الطبيعي>> وألمح إليه عشرات المرات، كما ذكره بلوتارخوس أكثر من ثماني مرات في مؤلفه <<حياة المشاهير>> وألمح إليه مرات عديدة، كما اعتمد على كتابه << آثار روما>> اعتماداً أساسياً لدى وصفه تطور روما وأخبار مشاهير ملوكها، وقد تواصل الاستشهاد بكتب يوبا الثاني إلى القرن الخامس ميلادي، حيث ذكره كثير من

---

[1] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، ص 165.

[2] نصيرة ساحير، المرجع السابق، ص265.

[3] المرجع نفسه ، ص 265.

الكتاب ومنهم إيليوس صاحب كتاب <<طبيعة الحيوان>> الذي أورد كلام يوبا الثاني في كتابه عدة مرات وخاصة لدى تعرضه لوصف الفيلة، كما استند عليه عالم الحيوان الإغريقي الاسكندر ميندوس في هذا الشأن.[1]

هذا وإن لم ينصف بعض المؤرخين المحدثين قيمة يوبا الثاني العلمية والثقافية، فإن معاصريه اليونان قد أعطوه حقه ومكانته حيث منحه الأثينيون المواطنة الشرفية تكريما له على ما بذله من جهد علمي وثقافي، وأقاموا له تمثالا جميلا أمام مبنى الجيمنازيوم اعترافا بفضله وتخليداً لمكانته المرموقة بين العلماء والمثقفين المعاصرين.[2]

ومهما يكن من أمر، يمكن القول أن كتب يوبا الثاني، كانت – حسب ما يؤلف في ذلك العصر– خليط من الجد والهزل والحقائق والخرافات والأخبار الغريبة والأساطير والمعلومات الثمينة، التي يمكن أن تجيب عن عدة إشكالات وتحل مشاكل بقيت غامضة بالنسبة لتاريخ أفريقيا القديم.

وخلاصة القول أن يوبا الثاني ملك مغاربي مثقف استطاع أن ينهج أسلوب المقاومة الثقافية التي أظهرت المقاربة بطريقة تضاهي اليونان والرومان في مجال الآداب والفنون والعلوم والمعارف الفكرية، بل كان المغاربة أصحاب قيم عرفوا بالشهامة والأنفة، وقد خاضوا الحروب حباً في الحرية والتضحية من أجل الاستقلال والتخلص من المستعمر الدخيل وتجنب الاعتداء على الآخرين حفاظا على احترامهم وحريتهم.

وعلى الرغم من بعض السلبيات التي كانت تشوه صورة يوبا الثاني وبالخصوص تحالفه الأعمى مع الرومان، إلا أنه ملك مغربي مثقف كانت له شخصية متميزة تتسم بالموسوعية والانفتاح والتسامح وكثرة الإنتاج والتراكم الثقافي، ومن ثمة فقد خدم يوبا

[1] محمد البشير شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، ص 165.

[2] المرجع نفسه، ص 165.

الثاني الثقافة المغاربية حتى أصبح نموذجاً يحتذى به في البحث الجغرافي ومجال الاستكشاف الطبيعي والتنقيب الميداني، وصار عالماً مغاربياً بارزا يضرب به المثل في المدن الرومانية واليونانية وخاصة في أثينا عاصمة الفلسفة والفنون والآداب والعلوم.

2) **فرنتون السيرتي (fronton): كرونليوس فرنطو (Crneluis Fronto)** هو أحد أساتذة البلاغة المشاهير، تقلّد الوظائف السامية في الدولة الرومانية ونال أعلى الرتب، ويكفيه أنه الأستاذ الذي كان من بين تلاميذه إمبراطوران.[1]

ولد فرنطون في مطلع القرن الثاني الميلادي (في بداية حكم ترايانوس) بسيرتا من عائلة سيرتيه موسرة، بدأ دراسته في المدن الكبرى النوميدية سيرتا، تيفست، مداورش،[2] ثم انتقل إلى الإسكندرية، حيث تابع تعليمه على يد أشهر أساتذة البلاغة مثل: كَاتِنُودُورُدس (Alhenodoros) وديُونُوزِيوس الأصغر (Dionysios).

اختار فرنتون روما لتكون مسرحاً لإبداعاته الخطابية، ولكن لم ينس وطنه الذي عبر عدة المّرات عن تعلقه به وأشاد بمناخه الصحي، وقد تحدث عن إفريقيته في إحدى رسائله الإغريقية بأنه ليبي أصيل، قائلا: "**إنه ليبي من بين الليبيين النوميد**"[3] وكتب أيضا: " **أنني بربار....وإنني ليبي ومن دين الليبيين البدو**". قال عنه مونصو: " **مرة أخرى، كان يبتهل بأبهة إلى الآلهة الأهلية، لآمون والآلهة الليبية، ونعلم من مينوسيوس فيليكس بأن حديثه ضد المسيحيين كان له دوي قوي في قدم الأطلس. في طبعه سمات افريقية:**

---

[1] محمد العربي عقون، الاتحاد السيرتي من استلاء سيتيوس على سيرتا (46 ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية، 2004، 2005، ص 348.

[2] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 153.

[3] في الترجمة الفرنسية للرسائل الإغريقية هكذا بالحرف (Libyen d’entre les libyens Numides)
ينظر: محمد العربي عقون، الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 348.

مغالاته المفرطة، كثرة تعلقه المسرحي بمارك أوريل، عادته في تفخيم حمايته، والمباهاة جهراً بعقائده الدينية، طلاقة لسانه حين يتكلم عن نفسه، وصراحته الفضة التي لاتعفي حتى الأباطرة: هذا الطبع الإفريقي يكتشف في اللغة أيضا: مزيج من الكلمات الهلنستية القديمة، ومن الكلمات الشعبية، وتلك هي اللاتينية التي كان ينطق بها منذ مدة قديمة في نوميديا كما هو الشأن في قرطاجة".[1]

يعتز فرنطون بأصوله المغربية ويعبر عن ذلك بكل صراحة من خلال عاداته وسلوكه وطلاقة لسانه والصراحة القاسية التي تعرض لها حتى الأباطرة.

اشتهر فرنتون في روما بسعة ثقافته وفصاحة لسانه وتفوقه في مهنة المحاماة، لكن لا تعرف عن تفاصيل أدائه شيئاً يذكر لضياع خطاباته التي أكسبته شهرة وحاز بها على لقب شيشرون[2] الثاني أو شيشرون الآخر (Altercioro). إعتلى مرتبة القنصلية سنة 143م، ثم أسندت إليه مهمة تربية الشاب مَركُوس أورلِيُوس (Marcus Aurelius)[3] وتعليمه قبل جلوسه على العرش الإمبراطوري، فأصبح من أصدقائه المقربين، ومن أهم أعماله:

---

[1] محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، تر: صالح عباد، ب ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1993، ص 208.

[2] شيشرون هوماركوس توليوس كيكرو (Marcus- Tullius–Cicero) (أربينوم 106– فورمي 43ق.م) سياسي وأشهر خطيب روماني في عصره، تقلد الوظائف السياسية السامية، ترك أعمالاً عديدة وهو الذي طور فن الخطابة في اللغة اللاتينية. ينظر: أحمد عتمان، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ت، ص. ص (101– 102).

[3] هو ماركوس أوروليوس (روما 121– فيندوبونا 180م) واسمه الحقيقي: ويروس (Verus) ومعناه الحقيقي (le varis) وكان الإمبراطور هدريان لا يناديه إلا باسم: ويريسموس (verissmus) أي الأكثر حقيقية، أما اسمه الكامل فهو: أيوليوس أوريليوس ويروس تبنّاه أنطونين، تولى الحكم من سنة 161 إلى وفاته 180م، كانت فترة حكمه كلها فترة حروب وكان يقود الحرب بنفسه.

ينظر: (J) Carcopino, Passion et Politique chez les Césars, Paris, 1958, P. 212.

أ)- المراسلات (Epistolae): أشهر آثاره التي كتبها في فترتين مهمتين من حياته، الأولى ما بين 139-145م وهي الفترة التي كان يقوم فيها بوظيفة معلّم ومربّي ماركوس أوريليوس، والفترة الثانية ما بين 161-165م بعد تقدمه في السنّ.

ب)- مقتطفات من خطب: هي عبارة عن مرافعات تناولها من أجل القرطاجيين والبيثونيين (Bithyniens).

ج)- مقتطفات من دراسة فنّ البلاغة والخطابة وكلاهما مُهْدَى إلى ماركوس أوريليوس.

د)- دراستان في التاريخ: تناولت الأولى حرب الفرثيين (Parthes)، وكانت الثانية حول مبادئ التاريخ تناولت حملة ويروس على الشرق.[1]

ه)- مجموعة من الأعمال هي: الدخان والغبار[2]، مغامرات أريون (Arion) وبعض الأشعار وعطل ألسيوم (Alsium)، ونص بعنوان: فقدان حفيدي، ردّا على رسالة تعزية من الإمبراطور.

وقد عرف نشاطه وأعماله في البلاغة لتوفر الوثائق ومن أهمها رسائله المشار إليها آنفا. ومع أنه كان لا يميل إلى الفلسفة، إلا أن بعض الفقرات من رسائله تدل على رواقي رفيع يتمتع بقلب عطوف ونفس بسيطة: "**...عندما يحل الأجل، الذي لا يمكن أن يؤجّل- سأحّيي السماء وأنا أغادر هذه الدنيا وسأشهد بنفسي على جلائل الأعمال التي صنعت، لقد عشت راحة البال مع أهلي ولم أتحصل على أيّ من الأمجاد التي في حوزتي بطرق**

[1] محمد العربي عقون، الاتحاد السيرتي، ص 350.

[2] عندما قرأ ماركوس أوريليوس الدخان والغبار لم يتمالك عن الإدلاء بأنه: لم يقرأ نصّاً أكثر أناقة وأصالة ولا أكثر روحانية ولاتينية من هذا النصّ، فما أروع حججه ونسقه وتأنقه وجماله وسحره وتعبيره وظرفه وبريقة ورقته ولطفه وفنه وعبقريته، ينظر: Marache (R) , Critique littéraire de langue latine et le développement du goû t archaisant au II^{eme} siècle, Paris 1952, P.P.(115 - 116).

مشينة، لقد كنت منشغلاً بالجانب الروحي أكثر من الجانب المادّي، لقد فضّلت دراسة العلوم على المنافع المادية وبقيت بسيطا، بل لم أتوسّل الحماية من أحد، وكنت أقول الحقيقة بأمانة، أسمع دون أن أشكو، وكنت أفضّل مواساة صديق على الانغماس في الملذات، وأطلب دائماً أقلّ مما أستحقّ، لقد كنت أقرض المال ما استطعت وأساعد من يستحقّ ومن لا يستحق، لم أكن أشترط الامتنان، ولم يثنني ما أجده من جحود على فعل الخير ما استطعت تجاه الآخرين ! "[1]

تبين لنا مراسلاته الأسلوب الأدبي الرفيع لديه، وفي هذه الرسائل لا يظهر فرنطون الخطيب فحسب، بل يظهر فرنطون بأكمله، إنه فرنطون وسط تلاميذه، فرنطون وسط عائلته، ويُستنتج من استرساله في الكلام عن نفسه جوانب طيبة من حياته اليومية، ومشاهد لا تخلوا منها الآداب القديمة.

ومن بين رسائله العديدة، نأخذ رسالة عنوانها: في البيان (De Eloquentia) وهي مليئة بالقواعد المتعلقة بالمفردات وفيها يؤكد بأنه ينبغي الاهتمام بدرجة (Gradus) ووزن (Pondus) وعمر (Aetus) الكلمة ووضع كل كلمة في مكانها في نسق وانتظام، ويقول أن لإثراء الموضوع بالمفردات ينبغي استدعاء شعب الكلمات كلّه.[2]

عندما تختفي الكلمات، لجأ فرنتون إلى عبارات عامية فقد أدخل عدداً من الاصطلاحات المستعملة في المقاطعات خاصة مقاطعة أفريقيا، كما ذهب إلى الكتاب القدامى (القرن الثاني ق.م) وكان فرنتون يحب دراسة كاتون (Caton) والشعراء إينوس

---

[1] Fronton de Cirta, Epistolae (de nepote amisso) Edition Naber, Paris, 1867, P. 235.

[2] محمد العربي عقون الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 352.

وبلوتوس والمؤرخ سالوستيوس الذي منح أفريقيا نصها التاريخي الأول (حرب يوغرطة).[1]

بالرغم من أن هذا هو مصدر البلاغة عند فرنتون، إلا أنه كان حريص على الأسلوب الرفيع وهو أستاذ البيان كما نعلم، وإذا وجدت في نصه كلمات من المصدرين المذكورين أعلاه، فإنه حريص على وصفها ضمن سياق ملئ بالصور البلاغية.

إن تعليم أميرين ونبوغه في فنّ الخطابة وضع فرنتون في مقام رفيع بين المجتمع الروماني، فقد عينه الإمبراطور أنطونين سنة 143م قنصلا، ولكن لم يستغرق في هذا المنصب أكثر من شهرين حتى عين بروقنصلا، وهذا التاريخ هو العلامة البارزة في حياته مثله مثل شيشرون، وكانت القوانين تقتضي إجراء القرعة لتحديد المقاطعة التي سيحكمها، وكان هو يتوق إلى أن تكون أفريقيا من نصيبه فيعود إلى بلده في أبّهة كبيرة بعد حياته الفكرية الطويلة لكن خابت آماله فكان نصيبه مقاطعة آسيا، بعد عزم الالتحاق بمنصبه إلا أن المرض عاجله فاعتذر.[2]

لقد تربع فرنتون على عرش البلاغة في روما وكان محاطاً بالمعترفين بفنّه وكلهم أصدقاؤه وأغلبهم من تلاميذه، علاوة عن أعضاء مجلس الشيوخ والمحامين والموظّفين، الساميين، فيمكن أن نسّمي حاشية فرنتون "النادي الفرنتوني" وهذا النادي قد ضم نخبة روما إضافة إلى أبناء بلده المغاربة من قرطاج ومن نوميديا مكانة خاصّة، فقد كان معتزاً بأفريقيته، وكان يذكر نوميديا مرفوقة بعبارة بلدي (Mea Patria).

كان منزله في روما لا يخلو على الدوام من الأفريقيين الذين يستضيفهم ويساعدهم في قضاء أعمالهم طيلة إقامتهم في روما وكان يولي عناية خاصة بالأدباء والتلاميذ الأفريقيين

---

1 Marache (R), OP_ cit, P. 116.

2 محمد العربي عقون، الإتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 354.

المتواجدين بروما، ومنهم : كالسينوس النوميدي (calsinus le Numide) وفستوس بوستوميوس (Festus Postumius) وسرويليوس الهيبوني (Servilius d'Hippone)، وعلى الخصوص أوفيديوس فكتورينوس (Aufidius Victorinus) الذي زوجه ابنته وصادقه مع ماركوس أوريليوس، ودفع به في طريق ارتقاء سلّم الوظائف السامية حتى تقلد منصب برايفيكتوس مدينة روما ثم منصب القنصلية.[1]

تميز فرنتون خلال حياته كلها أفريقيا بوجدانه وعاداته وسلوكه. ويستنتج من أعماله أنه كان أنيقا صاحب كبرياء، طيب القلب وكان جديرا بالمكانة التي احتلها في تاريخ الآداب القديمة.

3) أبولي مادور (Apulee Madaure): هو كاتب أفريقي نوميدي عاش في القرن الثاني للميلاد، ولد بمدينة مادور المعروفة اليوم باسم (مداوروش) جنوب سوق أهراس سنة 125م، تقلد والده مناصب الأعيان البلديين، مثل الكثير من المؤلفين، فبعد أن درس في مادور وقرطاجة أكمل دراسته برحلة إلى أثينا[2] مقر الفلسفة الأفلاطونية، رغم ما أصبحت عليه دراسة هذه الفلسفة من رتابة واقترنت به من ميول صوفية منبئة بنشأة المدرسة الأفلاطونية الجديدة[3] في القرن الثالث الميلادي مدرسة بلوتينوس (Plotinus) وبورفيريوس (Porphyrios) وهو ما نلاحظه عند أبوليوس نفسه الذي تعلق بدافع شخصي بالتيار المتصوف المتدين،[4] واهتم أيضا بما كان يُكتب ويُروى عن عالم الغيب

---

[1] محمد العربي عقون، المرجع نفسه، ص. ص (355- 356).

[2] (S) Gsell M'Daouruch-Announa, T2, Op-cit, P.34.

[3] مدرسة فلسفية تشكلت بناء على تعليمات أفلاطون والأفلاطونيين، لكنها تحتوي الكثير من التفسيرات التي تجعل الكثير من الباحثين يراها مختلفة عن فلسفة أفلاطون الأصلية. ومع أن الأفلاطونيين المحدثين يعتبرون أنفسهم أفلاطونيين وأنهم يدافعون عن أفكار أفلاطون، فإن الكثير يعتبر هذه الفلسفة محاولة لجمع المدرستين الأساسيتين اليونانيتين الأفلاطونية والأرسطية. ينظر: جلال الدين سعيد، المرجع السابق، ص 62.

[4] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 155.

حتى أتّهم بتعاطي السحر لإغراء أرملة غنية تزوجها في بلاد طرابلس، كانت تتمنى إلى أنبل عائلات أَويَا (OEA).[1]

وقد وقف أمام المحكمة لإلقاء مرافعته الشهيرة التي صاغها فيما بعد صياغة أدبّية واختار لها عنوان "التبرير" (Apologia). وبعد قضاء سنوات في الترحال، استقر بقرطاج حيث بلغ الشهرة والمجد، فقد مارس مهنة محامي وطبيب وفيلسوف وعالم وخطيب وشاعر رومانسي.[2] من جهة أخرى كان يتباهى بكفاءته: " **أني أنظم أشعاراً من كل نوع وأبياتا مصحوبة بالقيتارة مع القوس، وبالرباب مع الأصابع، وأبياتاً تطابق السحاقة أو الكوثرن، هذا قليل: هيجاء، وألغاز، وقصص مختلفة، وخطب مفخمة من طرف الرجال الفصحاء، ومحاورات ممدوحة من طرف الفلاسفة، أنني أكتب عن كل شيء وذلك باليونانية وباللاتينية، ودائما بنفس الرضى عن الذات، وبنفس الحماسة وبنفس النجاح.**"[3]

يتضح من النص تعدد مواهب أبولي وهذا دليل على عبقريته وتمكنه من الإبداع، لذلك تهافتت الجماهير لسماع المحاضرات والخطب التي كان يلقيها في مسرح قرطاجة، واهتزت إعجابا بفصاحته سواء تكلم اللاتينية أو الإغريقية، وأعجبت بسعة ثقافته، الأدبية والفلسفية والعملية،[4] وقد شملت الطب وعلم الفلك ومجموعة من علوم عصره، التجريبية منها والصحيحة، ويذكر عمار المحجوبي أنه كان لا يتقيد بمسألة أو بموضوع، بل يستغل

---

[1] محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 209.

[2] (S), Gsell, Khemissa, M'Daourouch-Announa, OP-cit, P.P.(26-27).

[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 252.

[4] (S), Gsell Khemissa, M'Daurouch-Announa, OP-cit, P.P.(27-28).

فرص الاستطراد جميعها، للإشادة مثلا بثراء الحياة الثقافية في عاصمة الولاية، أو بجمال قرطاج وبهجة معالمها ولا حرج عنده في التخلص من النظريات الفلسفية، والتأملات الفكرية، والمسائل العلمية إلى النوادر الطريفة، أو إلى الحديث عن مشاهد الحياة اليومية، وعن طريق الوقائع والأحداث.[1]

وقد ألف أبوليوس كتبا عديدة منها التي لخص فيها فلسفة أفلاطون وبسط نظريات مختلف المدراس الفلسفية، ومنها أيضا كتاب عقيدة أفلاطون (Doctrine de Platon) ودراسة العالم (Taraite de Monde) ولم يقتصر على التبسيط والتلخيص بل قدم في كتاب حول إله سقراط (Le Dieu de Socrate) عرضاً إضافياً ومعقماً لنظرية الجان، مبرهناً عن مقدرة فائقة في الإلمام بنظريات مختلف المدارس الفلسفية، وتوظيفها للبحث في مسائل جوهرية كمسألة العلاقة بين البشر والآلهة وفي بحثه هذا انعكاس لتطلعات الفكر الديني في تلك الفترة، وصدى الاهتمام بأعوص القضايا كقضية الوحدانية الإلهية، أو بالأحرى صدى الاهتمام بأقطاب الوثنية ومفكريها بالمسائل اللاهوتية.[2] ويعتبر كتاب المسوخ (Metamorphoses) الذي ورد بعنوان "الحمار الذهبي" (Asinus aureus)، ألفه حوالي سنة 170م، أول رواية نثرية باللغة اللاتينية، ومن أجود ما تبقى من آثار الأدب اللاتيني.[3]

ومما يعطي قصته نكهة فريدة مزاوجته بين أساليب شتى من تشويق وفكاهة وإثارة جنسية ورعب وفظاعة وفخامة وجلال. ولها كذلك قيمة تاريخية ثابتة فهي مصدر مهم لمعرفة الديانات المنتشرة في الإمبراطورية الرومانية في ذلك العصر والتي أثرت في

---

[1] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 156

[2] لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الانسانية، تر: أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف الجزائر، 2001، ص. ص (10 – 26).

[3] المرجع نفسه، ص 5.

المسيحية، وعلى الأخص ديانة إيزيس. ومن الطريف أن بطلها حمار أو بالأحرى إنسان مُسخ حماراً لكنه احتفظ بقدراته العقلية، ونقلته الصدفة بين أيد شتى فشارك من خلال تنقله في عدة مغامرات وشاهد أخرى أو سمع بها- فهو بنحو ما كبطلي الأوديسة والإلياذة- وتصف لنا الرواية، في أسلوب غلب عليه الطابع الهزلي، معاناة الحمار على أيدي الناس، صغارهم وكبارهم، ومن كلا الجنسين، لكن جاءت فيه قرائن عديدة تحمل على الاعتقاد بأن أبوليوس أراد من خلال مغامرات حماره الممتعة تبلغينا رؤيته الأفلاطونية، والأقرب بالأحرى إلى الأفلاطونية المحدثة وللمذاهب الغنوصية، لمعنى الحياة الإنسانية.[1]

ترك أبوليوس مؤلفات علمية كثيرة ضاع أغلبها، ومن أهمها:

أ. كتاب في علم الحساب تحت عنوان (Arithmética)، وآخر في علم الفلك تحت عنوان (Astronomica) ذكرهما إزدورس وكاسيدورس[2] وغيرهما، ولكن الكتابين ضاعا.

ب. كتب كثير في علم الفلاحة، ولكنها ضاعت أيضاً، ذكر هذه الكتب مؤلفون قدماء كثيرون.

ج. مارس أبوليوس أيضا الكتابة في الفيزيولوجيا، ودرس كثيرا من الأمراض العصبية، وكان الناس يقصدونه للتطبيب في الحالات الخطيرة، كان يعرف كل أعراض الصرع ويمارس التنويم المغنطيسي بإتقان إلى درجة أنه أتهم بالسحر. ودون نتائجه التجريبية في كتاب له تحت عنوان (Medicinalia).

---

[1] لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، تر عمّار الجلاصي، منشورات تامنغست، طرابلس، 2000 ، ص. ص (4-5). متاح على الرابط: www.Twalt.com تاريخ الرفع 2013/04/18.

[2] كاسيدورس ولد حوالي عام 479م، عضو في مجلس الشيوخ ورئيس وزراء الأمراء في إيطاليا. له العديد من المؤلفات أهمها كتاب عن "المتنوعات" ينظر: الموقع الإلكتروني St.takla.org تاريخ الرفع 2013/06/15 .

د. مارس أبوليوس كذلك الفيزياء واشتغل بدراسة الظواهر البصرية، وكان يملك بمختبره مرايا من كل الأصناف، لكن مؤلفاته في هذا الميدان ضاعت وحرم منها العلماء والباحثين في تاريخ المغرب القديم.

ه. اهتم أبوليوس أيضا بعلم النبات وعلم الحيوان والمعادن، ونشر مجموعة من الكتب في هذه الميادين، بعضها باليونانية والبعض الآخر باللاتينية. ونشر كتابا ضخما تحت عنوان "مسائل طبيعة"، عرض فيه نتائج تجاربه على الأسماك الغريبة والأشجار والموسيقى.

لقد كان أبوليوس يشتري أصنافا غريبة من الحيوانات بأثمان باهظة ليمارس عليها التشريح بمختبره في أويا (Oea) أو في قرطاج. " **كان مختبره مشهوراً في كل إفريقيا وكان الأجانب يزورونه**".[1] لكن هذه الكتب العلمية التي ألفها أبوليوس ضاعت، ونحن نتأسف على غياب مؤلفاته المصدرية، إلا ما ذكره بعض المؤرخين والباحثين، ومن المحتمل، كما يفترض مونصو(Monceaux)، أن تكون هذه الكتب قد أدرجت في الطبعة المجددة لموسوعة وارون (warron) القديمة دون ذكر المصدر الأصلي.[2]

و. كتاب (De Mundo) وهو الكتاب العلمي الوحيد الذي عثر عليه، ويصنفه أغلب المؤرخين ضمن الكتب الفلسفية، يصف فيه أبوليوس السماء والنجوم والمحيطات ومجموعة من الظواهر الطبيعية.[3]

---

[1] P.Monceaux, OP, cit, P.P.(281-282).

[2] I bid, P. 282.

[3] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص. ص (113- 114)

وهكذا تعتبر شخصية أبوليوس نموذجاً لشخصية المثقف المغربي،[1] لكن النقاد لم يهتموا بمؤلفاته، الأدبية أو الفلسفية أو العلمية، إلا في العصر الحاضر (ابتداء من نهاية القرن التاسع عشر ميلادي) في حين تجاهله المثقفون المغربيون المعاصرون.[2]

ثانياً: الأدب اللاتيني المسيحي في بلاد المغرب القديم: إن الكيفية التي وصلت بها المسيحية إلى بلاد المغرب القديم، لا تزال غامضة بسبب تعدد الروايات وافتقاد دليل أثري، يثبت صحة أي من الفرضيات المطروحة من طرف المؤرخين الدينيين ومنهم بول مونصو وفرانسوا ديكريه.[3]

ومن المصادر الإسلامية ذكر عبد الرحمن بن خلدون [4] أن المسيحية قد بشر بها في المغرب القديم الحواري "شمعون القناني"، وذكر ذلك في ديوان العبر على النحو الآتي:

"**... وعند علماء النصارى...بعث إلى أرض أفريقيا فليبوس... وإلى أرض برقة والبربر بشمعون القناني**[5] "

---

[1] P.Monceaux, OP- cit , P.265

[2] عبد السلام بن ميس، المرجع السابق، ص 111.

[3] P.Monceaux , Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne, éd. Leroux, Paris. 1901.

F.Decret, Christianisme en Afrique, éd. Hachette , Paris, 1996.

[4] عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، تح: سهيل زكار وخليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت،2000، ص 173.

[5] شمعون القناني: ورد في إنجيل متي باسم سمعان القانوي، وفي إنجيل لوقا بسمعان الغيور، ولم يذكر في إنجيل يوحنا سمعان بن يونا المعروف ببطرس وهو حواري آخر، ولم يذكر في إنجيل مرقس، ولسنا نعرف أصل تسميته كما وردت عند ابن خلدون، ولعل ذلك مرده خطأ النساخين. لمزيد من المعلومات ينظر:العهد الجديد لربنا ومخلصنا يسوع المسيح، إنجيل متي، الإصحاح:10- إرسال الإثني عشر- ، ص13، إنجيل لوقا، الإصحاح:10، ص 83. ، إنجيل يوحنا، الإصحاح: 01 –التلاميذ الأولون- ، ص121. ، إنجيل مرقس، ص. ص(45-72)، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ط6، القاهرة، 2004.

و تعد سنة مائة وثمانون للميلاد بداية التحول في التاريخ المسيحي لبلاد المغرب القديم، حيث شهدت هذه السنة أولى الاضطهادات التي مارستها السلطة الرومانية ضد المسيحيين في مدينة "سكيلي" (Scilli)[1]. ويعد هذا الحدث نقطة مفصلية في التاريخ المسيحي، ليس في بلاد المغرب القديم وحسب، ولكن في العالم الروماني ككل، إذ ظهر العداء جليا للمسيحية، وصار المسيحيون يتعرضون لكل أنواع الاضطهاد الذي يعد بداية معرفة الانتشار المسيحي ببلاد المغرب، إذ أن الغموض حول انتشار هذه الديانة بقي سائدا خلال القرنين الأول والثاني للميلاد نظرا لغياب الشواهد والأدلة التي تبين العبور المسيحي للمنطقة.[2]

فعندما كثر عدد المسيحيين اجتذبوا بعض المثقفين والمفكرين والأثرياء إلى حضيرة كنيستهم، فظهرت الكثير من الكتابات التي تدافع عن العقيدة الجديدة، والبرهنة على مسايرتها للعقل والمنطق. وكانت اللغة الإغريقية في الشرق لغة الكنيسة بعد أن نقلت إليها الكتب المقدّسة، ولغة رسائل وكتب المدافعين الأوائل عن الدين المسيحي (Apologetes)، وبقيت الإغريقية وحيدة الاستعمال والروح سواء في الكنيسة الشرقية أو في روما مركز المسيحية في الغرب، حيث تواصل توظيفها في الطقوس والعبادات، رغم اضطرار رجال الكنيسة إلى استعمال اللاتينية لمخاطبة عامة الناس.

---

[1] مدينة سكيلي، عرفت اضطهاد للمسيحيين في 17 جويلية 180م، حيث بلغ عدد شهداء المسيحية سبعة رجال وخمسة نساء، تمت محاكمتهم بمدينة قرطاج وإعدامهم، وإن كان لا يعلم بالضبط موقع المدينة، لكن يرجح بأنه كان بالقرب من مدينة قرطاج حتى تتخذها السلطة آنذاك كمركز لردع كل من يفكر في اعتناق المسيحية، وتم تقديس هؤلاء الشهداء، وحفظت جثثهم بإحدى الكنائس بمدينة قرطاج وتسمت باسمهم ينظر:

(A) Hamman , La gest du sang, Paris, 1953, P.P.(60-62).

[2] (B) Aude , Les Chrétiens dans L´ Empire Romain des Antonins au milieu du 3ème siècle, 180-249 , Paris,1881, P.199.

وأما في قرطاج مركز المسيحية في ولايات المغرب ومناطقها فقد تزامن استعمال اللغتين الإغريقية واللاتينية ردحا من الزمن، ثم تفوقت اللاتينية شيئا فشيئاً وحلت محل الإغريقية في القرن الثاني، وحسب بعض المؤرخين، أن الكتب المقدسة نُقلت إلى اللاتينية لأول مرة في ولاية إفريقيا، وفيها برزت أولى الكتب اللاتينية في الذود عن المسيحية.[1]

فجاد مجموعة من الأدباء بباكورة طيبة من هذا الأدب، الذي عبر منذ انطلاقه عن قوة العقيدة المسيحية وثباتها ومن بين هؤلاء الأدباء نذكر على سبيل المثال:

1) ترتليانوس (Tertullianus) : يعتبر العلامة كوينتس سبتيموس فلورنس ترتليانوس (Quintus Septimius Florens Tertullianus) كاهن قرطاجة وأب الأدباء اللاتين، ولد ترتليانوس (بين عام 155 و 160م) في قرطاجة، كان والده يشغل منصب قائد فرقة رومانية في أفريقيا، وكان يلقب (Centurion Proconsula).[2] (ينظر الشكل رقم 20 ص).

عاش في حياة ترف تحدث عنها حين صار مسيحياً، إذ قال: "**حقاً إنني أعرف أن ذات الجسد الذي مارست به الزنا أبذل كل الجهد ليحفظ الآن العفة**"[3] نال ثقافة لاتينية ويونانية على مستوى عالٍ، وتظهر كتاباته معرفة واسعة بالتاريخ والفلسفة والشعر والأدب القديم والمصطلحات القضائية وكل فنون المحاماة، لقد مارس المحاماة بعد تكريس حياته لدراسة القانون، ثم صار فيما بعد أستاذ للبلاغة في بلده.[4]

---

[1] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 157.

[2] عادل فرج عبد المسيح، موسوعة آباء الكنيسة، ج2، (كنيسة شمال أفريقيا)، دار الثقافة، القاهرة، 1999، ص 155.

[3] إبرهارد أرنولد، المسيحيون الأوائل، ط1، تر: هناء عزيز حبيب، مكتبة المنار، القاهرة، 2000، ص 218.

[4] Pierre Petitmengin, Tertullianus Historical and literary Study, Oxford, Clarendon Press, 1971, XII:320. P. 178.



الشكل رقم (20): صورة تخيلية للعلامة ترتليان

نقلا عن:http://fr.wikipedia.org تاريخ الرفع 2014/03/01.

دخل النصرانية أواخر القرن الثاني، وفي بداية القرن الثالث، تحولت كل طاقات معرفته وقدراته وفصاحته لخدمة الكنيسة، وصار مجادلا كل مقاومتها من وثنيين ويهود وهراطقة بغيرة شديدة سواء من أصحاب السلطة أو عامة الناس.[1]

كتب معظم كتاباته باللغة اللاتينية، قبل أن تصبح اللاتينية اللغة الرسمية لكنيسة روما بقرن ونصف، وقدم مخزنا غنيا من الكتابات الفلسفية والتاريخية والجدلية الدفاعية والعلمية، ومن بين مؤلفاته:

أ) **الأعمال الدفاعية (Apologetic Works):** وجهها إلى الوثنيين واليهود وحكام الأقاليم الرومانية، فمن بين كتبه الدفاعية الوثنيين (Ad Nationes) يوضح ترتليان في كتابه هذا أن الإجراءات الرسمية المتبعة ضد المسيحيين، غير عادلة بل أنها تناقض كل مبادئ العدالة، وقد اتخذ منهجاً هجومياً، إذ كتب ناقداً الديانة الوثنية بصفة عامة، والمعتقدات الرومانية في الآلهة بصفة خاصة، وتحدث عن مفهوم الإله وبرهن على أن الآلهة الوثنية ليست إلا اختراعات بشرية حسب هواها بعيدة عن الإله الخالق والمسير للحياة.[2]

ومن أهم أعمال ترتليان كتاب الدفاع (Apologeticum) حيث وضع فيه أفكار مترابطة، وأخذت المحاجة فيه شكلا قانونياً، لأنه كان موجهاً لحكام الأقاليم الرومانية، الذين كان ترتليان يهاجمهم ولكنه في نفس الوقت كان يحاول أن يقنعهم بإعادة النظر في قضية النصارى نافيا وجود أساس قانوني لاضطهادهم ثم يرد على التهم الموجهة إليهم.[3]

ودعى ترتليان إلى حرية المعتقد في كتابه إلى سكابيولا (To Scapula) حيث قال:

---

[1] عادل فرج عبد المسيح، المرجع السابق، ص. ص (163،171).

[2] أثناسيوس فهمي جورج، العلامة ترتليان، من آباء أفريقيا، مكتبة الكتب المسيحية، ص 3. متاح على الرابط: St.Takla.org تاريخ الرفع:2013/04/16

[3] ترتليانوس، المنافحة أو الدفاع عن التوحيد، تر: عمار الجلاصي، ط1، الثقافية، طرابلس، 2001، ص 05. متاح على الرابط: www.Tawalt.com تاريخ الرفع:2013/04/18.

"إنه حق إنساني أساسي وامتياز من الطبيعة، أن كل إنسان يعبد بحسب معتقده، فديانة المرء لا تؤذي ولا تنفع أي إنسان آخر".

هذه المناداة بحرية العقيدة والعبادة نقرأها في افتتاحية الرسالة التي أرسلها ترتليان إلى سكابيولا (Sacapula) حاكم أفريقيا (211–213م) الذي بدأ يضطهد المسيحيين وأخذ يلقيهم إلى الوحوش الضارية ويحرقهم حتى الموت، ويبدو أن ترتليان كتب هذا الدفاع حوالي عام 212م.[1]

كما كتب كتاب تحت عنوان ضد اليهود (Adversus Judaeos) تزامن مع حدوث مجادلة ومحاورة بين أحد المسيحين وأحد اليهود، استغرقت يوما كاملا حتى المساء، فرأى ترتليان ضرورة صياغة هذا الموضوع في كتاب حيث وجه ضربات قاسية إلى اليهود الذين كانوا يثيرون السلطة والشعب على النصارى.[2]

ب) الأعمال الجدلية (The Controversial Treatises): ألف ترتليان مجموعة من الأعمال الجدلية من بينها: علاج الهراطقة (De Praexriptione haereticoum)

أراد ترتليان من خلال هذا الكتاب أن ينهي الجدل بين الكنسية المستقيمة الإيمان وبين الهراطقة دفعة واحدة وذلك بأن يقدم في هذا العمل الحجج والبراهين المنطقية المنظمة التي تدحض سائر البدع دفعة واحدة.

ومن أطول أعمال ترتليان كتابه: ضد مرقيون (Adverus Marcioneun) وهو أحد الكتب التي وعد بكتابتها ضد الهراطقة في نهاية كتابه "علاج الهراطقة" وبه تعليقات لاذعة على أفكار هذه الجماعات.

---

[1] أثناسيوس فهمي جورج، المرجع السابق، ص 03.

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 259.

كتاب عن المعمودية (De baptismo): لهذا العمل أهمية فائقة فهو الكتاب الوحيد الذي يتناول المعمودية والميرون، ويمكن أن يصنف ضمن أدب ضد الهرطقات إذ كتب ضد سيدة من قرطاج تدعى كوينتلا (Quintilla) هاجمت المعمودية المقدسة فرد عليها ترتليان في العمل المكون من عشرين فصلا .

أثناء اضطهاد سكابيولا كتب ترتليان كتاب: ترياق العقرب (Scorpiace) وضح فيه الكاتب أن الموت أفضل من ترك الإيمان، فالاستشهاد هو ميلاد جديد يهب النفس حياة أبدية.[1]

كما يربط كتاب " عن جسد المسيح"(De carne christ) بكتاب " عن قيامة الجسد" (The Resurrection of the Flesh) ارتباطا شديداً إذ يمثلان معاً بحثاً قوي الحجة عن قيامة الجسد ضد الذين ينكرون قيامة الأجساد من الوثنيين والصدوقيين والهراطقة.[2]

ج) **الأعمال الأخلاقية والنسكية (Moral and Ascetical Works):** من أوائل أعمال ترتليان كتاب إلى الشهداء (De martyras) وهو قصير مكون من ستة فصول، وبسيط الأسلوب، نال إعجاب الأجيال المتتالية، وقد كتبه تأكيدا على أهمية الجهاد والاستشهاد في سبيل الدين.[3]

وكان عمل العروض والمسرحيات (De spectaculis) إدانة ورفض شامل لكل الألعاب العامة في المسرح والمصارعات الرياضية ويتكون من قسمين: قسم تاريخي

---

[1] أثناسيوس فهمي جورج، المرجع السابق، ص 04.

[2] أثناسيوس فهمي جورج، المرجع السابق، ص 05.

[3] Fabien Davier, Les Ecrits Catholiques de Tertullen Fomes et Normes, Thèse de doctorat en Histoire, direction de M.Le Professeur Antonio Gonzalès Université de Franche comté, Sousla, 2009, P.215.

وقسم أخلاقي،[1] فقد وضع ترتليان هذه الألعاب ضمن خانة المحرمات التي لا ينبغي على المسيحيين الاحتكاك بها، فهي حسب رأيه تدعو إلى الإشراك بالرب. وبينما ينعت مواكب الألعاب على أنها مواكب الشيطان، فإنه جعل من المدرجات الأفريقية معابد للشيطان جميعها نظرا لما كانت تحتوي عليه من تماثيل الآلهة وصور الإمبراطور المؤله.[2]

أما كتابي عن ثياب النساء (De cultu feminarum) وعن خمار العذاري (De virgiuibus velandis) تناول فيها ترتليان فكرة جحد الوثنية وإتباع أسلوب الحياة المسيحية، وانتقد بسخرية لاذعة تبرج النساء في زينتهن أو في كيفية وضع الفتيات لحجابهن،[3] ولهذا قام بدعوتهن إلى مثالية المرأة المسيحية وهذا من خلال عدم مشاركتها في أي دور في الكنيسة وبقائها في المنزل والتزامها بالحشمة حتى لا تغوي الرجال، كما دعى الرجال أيضا إلى الانفصال قدر الإمكان عن النساء مرضاة لربهم، وهذا كله من أجل العفة التي تعتبر فضيلة أساسية للمسيحيين.[4]

وتضم أعمال ترتليان بعض المفاهيم الفلسفية وتوجهات علمية في الكتابة مثل كتاب عن الصلاة (De oratione) الذي كان مهتماً بالتدريب الداخلي والخارجي في الصلاة.[5]

ويعتبر كتاب عن الصبر (De patientia) مصدرا هاماً لمعرفة شخصية المؤلف، وقد استعان به القديس كبريانوس في عمله "عن الصبر الحسن".[6]

---

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 259.

[2] Tertullien, Contre les spectacles, traduit par M.de Genoude seconde, édition, Paris , Louis Viés, 1852, XII P.7.

[3] المرجع نفسه، ص 259.

[4] P.Monceaux, Op-Cit, P.P. (380 – 384)

[5] Fabien Davier, OP- Cit, P.P.(217-218).

[6] Ibid, P. 220.

كتب ترتليانوس ما لايقل عن ثلاثة كتب عن الزواج وتكرار الزيجة بعنوان: إلى زوجته (Ad uxorem)، حدث عن العفة (De eschortatione)، الزيجة الواحدة (De monogamia) دعى فيها إلى العزوبية ورفض الزواج إلا للضرورة، أي الذين لا يقدرون على اندفاع غريزتهم الجنسية أو التهرب من العلاقة الغرامية خارج الزواج، حتى بالنسبة للأرامل من النساء والرجال فإنه أدان أيضا زواجهم الثاني ولم يسمح به إلا كرها، ويبدو أن المونتانية[1] التي تبنى العلامة ترتليانوس فكرها كانت ترى أن نهاية العالم وشيكة لذلك لم ير أهمية للزواج طالما أن العالم سينتهي قريبا، مؤكداً على البتولية والعفة والسخاء مع الاستعداد للاستشهاد من أجل الدفاع عن الدين.[2]

كما لم يسمح أيضا بالزواج المختلط، الذي يجمع مابين مسيحيين ووثنيين والذي وصفه ب: (Stuprum)، أي شبهه بالزنا أو ارتكاب المحارم، ولم يرض إلا بالزواج الذي تتوحد فيه العقيدة. ورغم أن العديد من الزيجات في ذلك الوقت كانت بين أشخاص مختلفي الديانة، إلا أن المجتمع مال بصفة عامة إلى تبني وجهة نظر ترتليان.[3]

وقام ترتليانوس بإدانة صانعي وعابدي الصور الوثنية بل يدين أيضا كل مهنة أو فن لها علاقة بالوثنية في كتابه: عن عباد الأوثان (De idolalatria).[4]

---

[1] حركة مسيحية مبكرة (منتصف القرن الثاني الميلادي) سميت نسبة لمؤسسها مونتانوس، ازدهرت أساسا في فريجا وحولها، ثم انتشرت بسرعة في مناطق الإمبراطورية الرومانية عندما أصبحت المسيحية مسموحة، واجهت الكنيسة خطورة فكر المونتانية بالرغم من مساندة ترتليانوس لها، وهو واحد من رجال الكنيسة الكبار، واقتناعه ببعض أفكار المونتانية حتى أصبح رئيس لجماعة فيها، ينظر:حنا جرجس الخضري، تاريخ الفكر المسيحي المجلد الأول، ج3، دار الثقافة، القاهرة، ص 517.

[2] P.Monceaux, Op-Cit, P.P.(384 -389)

[3] أثناسيوس فهمي جورج، المرجع السابق، ص6.

[4] Fabien Davier, Op-Cit , P.221

وصف شارل أندري جوليان ترتليانوس بقوله: << **ناقد لاذع ممتاز ليس له مثيل في الجدل يندفع فيه بكلّيته. فهو بربري متنصر، ولكنه لم يزل محتفظاً- إلى جانب ما انطبع فيه من روح المسيحية-بأهواء البربري وصلابته ونفوره من النظام** >>[1] ويقول أيضاً<< **أما طرافته الحقيقة فيجب البحث عنها في لغته فقد كان منطقياً ميَّالا إلى السخرية مجادلا لاذع العبارات فقيها دقيق النظر جمع الصفات على اختلافها وتوخى أسلوبا صريحاً عنيفاً، كثير الاستعارات حيا بحياة صاحبه مشخصا لعارم تفكيره وفياض حيويته>>**

نستنتج من خلال كتابات ترتليانوس بعض الملامح عن فكره، حيث أبدى من التزمت، و الصرامة في الجدل، والتعلق الشديد بالمنطق في احترام المبادئ، ما جعله يُآخذ المسيحيين على تخاذلهم زمن الحملات الاضطهادية، ويطالب معتنقي المسيحية التشبث بالعفة والصوم مدى الحياة، ويطالب المسيحيات بنبذ الغنج والأناقة والتجميل، ويؤكد فرض الحجاب على الفتيات.[2]

ولم يثبت أن عاب على الكنيسة الكاثوليكية تسامحها، فهاجمها ونبذها وتبنى فكر المونتانية (Montanisme) المتطرفة، ثم بعث مذهباً خاصاً شبيهاً بها، بالرغم من ذلك فإن الكنيسة المتصلبة إزاء أهل البدعة أظهرت نحوه تسامحاً لايصدق ذلك أنه استدل في هجومه على الوثنية بجميع الحجج، ولقد أمكن للكنيسة المتنصرة أن تغض الطرف عن هفوات أصبحت لاتخشى حدتها وبقيت متحفظة خاصة بما أظهره ترتليانوس من صدق إيمان وطلاقة لسان.[3]

---

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 258.

[2] حنا جرجس الخضري، المرجع السابق، ص 401.

[3] إبرهاد أرنولد، المرجع السابق، ص 219.

سمي ترتليانوس مؤسس اللاهوت الغربي، إلا أن هذه مبالغات لأنه لم يضع أي نظام منهجي إذ كان يفتقر إلى الترتيب المنطقي المنظم لحقائق الإيمان، ورغم أن أي قارئ لكتاباته الدفاعية، لا يستطيع أن ينكر قدراته التأملية والجدلية لكنه لم يكن مهتماً بأن يصل إلى اتفاق بين العقل والإيمان.[1]

كبريانوس الإفريقي: ولد ثاسيكوس كايكليانوس ساسيليوس كبريانوس Caecilianu) Caeciliu Thascius Cyprianus) على الأرجح ما بين سنة مائتي و مائتين وعشرة ميلادي بقرطاج من أسرة شريفة وثنية ذات ثقافة عالية، وكان والده من أشرف قضاة المدنية.[2] (ينظر الشكل رقم 21 ص).

تثقف ثقافة عالية حسب مقتضيات عصره ووضعه الاجتماعي. نال قسطاً وافرا من العلوم ولما بلغ سن الشباب صار خطيباً ومعلماً للخطابة والفصاحة، اعتنق الديانة المسيحية على يد كاهن يدعي كايكليانوس ساسيليوس بقرطاجة، وكان ذلك حوالي سنة مائتي وستة وأربعون ميلادية.[3]

ركز على دراسة الكتاب المقدس يوميا، واهتم بكتابات ترتليان، قال القديس عن نفسه أنه بعد عماده ازدري بالفصاحة البشرية واحتقر تنمق الكلام والعناية بزخرفة الألفاظ، ورغم ذلك فكتاباته تشهد عن فصاحته، تمكن من استعمال منهجه في علم الاختزال، حيث استطاع به أن يسجل بكل دقة آراء سبعة وثمانين أسقفاً حضروا المجمع الذي دعا إليه عام 326م، من أجل إعادة معمودية الهراطقة.[4]

---

[1] Pierre Petitmengin,Op-Cit , P. 176.

[2] عادل فرج عبد المسيح، المرجع السابق، ج2، ص 197.

[3] المرجع نفسه، ص. ص (199- 207).

[4] حنا جرجس الخضري، المرجع السابق، المجلد الأول، ج3، ص 425.



الشكل ر قم (21): صورة تخيلية للقديس كبريانوس.

نقلاً عن: http://fr.wikipedia.org تاريخ الرفع: 2014/03/01

ذاعت شهرة كبربانوس، فلما توفي أسقف قرطاج انتخبه الإكليريكيون والشعب خليفة له حوالي سنة 248م. وبعد مضي سنة واحدة على أسقفيته هبت عاصفة شديدة أثارها

الإمبراطور ديسيوس[1] الذي أصدر مرسوما إمبراطوريا سنة 250م بالقضاء على المسيحية. وهو أول اضطهاد شامل عم أنحاء الإمبراطورية الرومانية كلها.[2]

كان القديس في صراع بين التقدم إلى ميادين الجهاد، وبين الاختفاء قليلاً لأجل منفعة الشعب. أخيراً رأى كبريانوس أن يتوارى عن الأبصار اعتماداً على نظرية تأمر المؤمنين بألا يلقوا بأنفسهم إلى التهلكة، ولكنها توصيهم بألا يفروا من الاستشهاد إذا وجب، لذلك تعرض للانتقاد اللاذع من الكنيسة في قرطاج وروما، غير أنه لم يبق مكتوف الأيدي فقد سير أسقفيته من مخبئه، فاعتنى بالأسرى والفقراء والمرشدين ضحايا الاضطهاد واعتنى بمسألة المرتدين الذين كانوا يريدون الدخول في حظيرة المؤمنين.[3]

استمر الاضطهاد لمدة خمسة عشرة شهراً، فترة حكم ديسيوس وبعد موته استراحت الكنيسة وعاد القديس إلى كرسيه. أثناء تلك الفترة ارتد الكثير من الناس عن الإيمان لكنهم عادوا إلى الكنيسة، حيث ظهر اتجاهان الأول: هو التساهل معهم، والثاني اتخذ موقف متشدد مما دعا إلى عقد مجمع بخصوص القضية سنة 251م والذي عرف بمجمع قرطاجة، وذلك لدراسة الموقفين وإنهاء الاختلاف، حيث سمح القديس كبريانوس أن يغفر للمرتدين، فواجه معارضة قوية إلا أن المجمع قبل جميع المرتدين التائبين.[4]

---

[1] ترايانوس ديسيوس الإمبراطور الرووماني (249-251م) استغل العداء الشعبي للمسيحيين كوسيلة لتوحيد الإمبراطورية، أصدر مرسوم لقمع المسيحية وأصبح الاضطهاد على المستويين معا السياسي والشعبي. ينظر: الموقع الالكتروني: www.Coptichistory.org تاريخ الرفع:2013/05/29.

[2] Audollent, Cartage romaine 146 JC-698JC, éd. A . Fontiémoing, Paris, 1901, P.443

[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص 280.

[4] المرجع نفسه، ص 283.

وفي السنوات الخمس التي تبعت اضطهاد دسيوس للمسيحيين، اعتنى كبريانوس بطقوس الكنيسة وأجاب عن استفتاءات نحل افريقية، ورفع معنويات المسيحيين عند تفشي الطاعون الذي أهلك خلقاً كثيراً.

وفي أثناء حكم فالريان[1] في سنة 257م أثير الاضطهاد مرة ثانية واستدعي كبريانوس، ووقف أمام الوالي الروماني على أفريقيا تنفيذاً لقرار الإمبراطور، لما سأله عما إذا كان يصر على مخالفة ديانة روما، أجاب أنه مسيحي وأسقف ولا يعبد إلا الله الواحد خالق السماء والأرض. حيث عجز أسباسيانوس حاكم قرطاجة الروماني عن قتل كبريانوس نظراً لشعبيته، فأصدر أمرا بنفيه واخراجه من المدينة.[2]

قضى القديس مدة سنة في المنفى على بعد نحو 50 ميلا من قرطاجة بقرية (Curubis) الواقعة على الساحل الشرقي من الوطن القبلي التونسي، حيث كتب الكثير عن الاستشهاد من أجل الديانة المسيحية، ولما عزل أسباسيانوس عن منصبه وخلفه غاليريوس ماكسميانوس، رجع القديس إلى قرطاجة،[3] عندئذ ألقي القبض عليه وأعدم سنة 258م في عهد الإمبراطور فاليريانوس الذي كان حافلا بالاضطهاد.[4]

---

[1] فاليريانوس (Valerianus) المعروف أيضا باسم فاليريان الأكبر إمبراطور روماني حكم ما بين (253-260م) قبل أن يتم أسره في معركة أديسا من طرف جيش الإمبراطورية الفارسية ويموت في هذا الأسر. اشتهر عهده بالاضطهاد الثامن للمسيحيين سنة 257م، حيث قام بنفي الأساقفة والقساوسة بعد أن أعدم الكثير منهم، وجرد المسيحيين من مناصبهم وكل من أصر وتمسك بديانته بتر رأسه. ينظر: تشارلز ورث، الإمبراطورية الرومانية، تر: رمزي عبده جرجس، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2003، ص 185

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص 283.

[3] كيرلس سليم بسترس وآخرون، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، منشورات المكتبة البوليسية، بيروت، 1999، ص 295.

[4] رؤوف شلبي، أضواء على المسيحية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا- بيروت،1975 ، ص 26.

قدم تلميذه بونتيوس.[1] (Pontius) الذي عاش معه في منفاه حتى لحظة استشهاده صورة دقيقة عن شخصيته فقال: " **كانت القداسة والنعمة تشعان من وجهه بقوة، فكان يربك أذهان من يتطلعون إليه، ملامحه جادة ومفرحة، ليست عنيفة بعبوسة ولا عذابة برخاوة...يدهش الشخص هل كان يستحق أن يهاب أم يحب؟ فإنه كان مستحقاً أن يهاب ويحب.**"[2]

يبدو أنه كانت لكبريانوس شخصية محبوبة في الأوساط الاجتماعية، فحث على الرحمة والشجاعة، بل قوى المؤمنين للعيش، وواصل مهمة الإصلاح حيث دعت مواعظه وكتاباته إلى التعاليم العليا للأخلاق الإنجيلية والحفاظ على النظام.

لقد كان كبريانوس رجلا عمليا، فلم يكتب لأجل البحث في اللاهوت وإنما كتب من أجل الوعظ والإقرار والاستنكار، لضمان السير الحسن لكنيسته، وسأحاول أن أعرض ما تركه هذا القديس من كتابات وهي كالآتي:

1) مقال لصديقه دوناتوس (Ad Dontus): كتب بمناسبة عيد عماده وذلك في فصح 246م، سجل فيه سر قبوله الإيمان المسيحي وحث الآخرين ليتبعوا مسلكه في ذلك.

2) مقال في لباس العذاري (De habitu Virginum) أوصى في هذا المؤلف العذارى ببساطة الملبس وتجنب التبرج ولبس الحلي، مع عدم اشتراكهن في حفلات العرائس الصاخبة وتجنب الدخول في الحمامات المختلطة ومساعدة الفقراء بما تيسر لهن من أموال.

---

[1] بونتيوس من رجال القرن الثالث، لا نعرف شيئاً عن حياته سوى أنه كان شماسا للقديس كبريانوس، تتلمذ على يده، وكان ملاصقاً له، قدم علمه المشهور "حياة وألام كبريانوس" حيث عرض لنا حياة هذا الأسقف منذ عماده حتى استشهاده ينظر: الموقع الالكتوروني ST.Takla.og تاريخ الرفع : 2013/04/19.

[2] Pontuis the Deacon, The life and Passion of Cyprian Bishop and Martyr Published by the library of Alescaualria, P.19. D' Après Sits web: books. Google.dz, le 14/05/2013

3) مقال في الموت (De martalital) أوضح فيه التمييز بين موقف المؤمنين وغيرهم في نظرتهم وتقبلهم للموت.[1]

4) مقال في الصلاة الربانية (De dominica Oratione) اعتبرها أفضل الصلوات.

5) في الوحدة الكنسية (De ccelesiae unitate) عالج فيه قضية انشقاق نوفاتيان وفليسيسيموس (Felicissimus)، وأوضح أن الانقسام من عمل إبليس، وأن الانشقاق أخطر من الاضطهاد، وأكد على وجود كنيسة جامعة واحدة.

6) مجموعة رسائل متنوعة: من بينها رسالة بعنوان" الرد على ديمتريانوس" أكد فيها أن المسيحيين أبرياء من مسؤولية مما حل بالعالم من ويلات الحروب والأوبئة، بل ذلك ذنب الوثنيين الذين أخطأوا وارتكبوا الموبقات واضطهدوا المسيحيين.

7) مقال موسوم: "حث على الاستشهاد" موجهة إلى فورتوناتوس (Fortunatus) من ثلاثة عشر فصلا.[2]

وهكذا يعتبر القديس كبريانس اللاهوتي الغربي الثاني بعد العالم ترتليان، يقول عنه القديس جيروم في كتابه مشاهير الآباء" **كان معتاداً ألا يدع يوما يعبر دون القراءة في كتابات ترتليان، وقد اعتاد أن يقول لتلميذه أعطني العلم، قاصداً بذلك معلمه ترتليان**".

تعتبر كتابات أسقف قرطاجة من أحسن المراجع لتاريخ الكنيسة في القرن الثالث الميلادي لما تضمنته من وثائق بلغ عددها حوالي واحد وثمانين وثيقة، تشير إلى أحداث

---

[1] عادل فرج عبد المسيح، المرجع السابق، ج2، ص . ص (202-214)

[2] تادرس يعقوب ملطي، قاموس آباء الكنيسة وقديسيها، متاح على الموقع ST.Takla.org تاريخ الرفع : 2013/05/15.

كثيرة، وتصور للباحثين دقة الأعمال المتنوعة التي قام بها القديس كبريانوس، مما جعلت منه كاتبا كلاسيكياً.[1]

4.القديس أوغسطين (Saint Augustin) : أسمه أورليوس أوغستينوس (Aureluis Augustinus). ولد بتاغست (Thagaste) سوق أهراس الحالية يوم 13 نوفمبر 354م من أب وثني يدعى باتريسيوس (Patricius) ، وأم مسيحية تدعي مونيكة التي منحت لقب قديسة.[2] (ينظر الشكل رقم 22 ص).

بدأ أوغسطين دراسته الأولى في مادور، تعلم بها اللغة اليونانية والبلاغة والنحو، ثم انتقل إلى قرطاج[3] حيث دخل في عالم آخر: عالم الدراسة والتفكير الذي ينهل منه، وهناك أحتك بالفلسفة من خلال قراءته لأحد مؤلفات شيشرون (Ciceron) وعنوانه "الهرتنسيوس" "Hortensius" وكان هذا سنة 373م، وهي الفترة التي اعتنق فيها آراء المانوية.[4]

---

[1] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص 286.

[2] Henri Marrou. Saint Augustin et l'augustinisme. éd . SEUIL. Paris. 1973. P.P.(11-12)

[3] عز الدين المناصرة، المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب، ط1، دار الشروق، الأردن، 1999، ص 80.

[4] المانوية أو المنانية كما ذكر ابن النديم في الفهرست: ديانة تنسب إلى ماني الذي ظهر في زمان شابور بن أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن شابور بعد عيسى المولد في عام 216م في بابل. وقيل أن الوحي أتاه وهو في الثانية عشر من عمره وكان في الأصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم، حاول ماني إقامة صلة بين ديانته والديانة المسيحية والبوذية والزرادشية، فهو يعتبر كل من بوذا وزرادشت ويسوع أسلافا له. أتباع المانوية هم من تعارف عليهم أولا باطلاق لقب الزنادقة. ينظر: أبو الفرج محمد بن اسحاق النديم المعروف بالوراق، كتاب الفهرست، تح: رضا تجدّد، د ت، ص 391.



الشكل رقم (22): صورة تخليلية للقديس أوغسطين.

نقلاً عن:

وفي سنة 374م، وبعد سبع سنوات من الدراسة والاستمتاع بالملاذ بقرطاج عاد أوغسطين إلى تاغست وأصبح أستاذاً. وابتداء من ذلك العهد إنطلق في سلك التدريس، فعلم بقرطاج ثم بروما سنة 383م وبميلانو سنة 384م.[1] غير أن مطالعاته وخاصة مطالعة كتب الفيلسوف "بلوتان" (Plotin) ومواضبته على سماع خطب الوعظ والإرشاد التي يلقيها "امبرواز" (Ambroise)، أسقف ميلانو، وتأثير أمه التي التحقت به في ايطاليا فصلته عن المانويين، لكنه تردد طويلا قبل أن يعمد في شهر أفريل سنة 387 م[2] بعد ذلك صارت حياة أوغسطين كلها تقوى وصلاح وعبادة وتبشير وإرشاد.

عاد إلى أفريقيا ومكث بسوق أهراس ثلاث سنوات متخذاً من بيته ديراً يعتكف فيه للتعبد والدرس والفلسفة، ويعد أول من أدخل فكرة الدير لإفريقيا وصار الناس يعتكفون لدراسة مبادئ الدين المسيحي[3]، تخرج من ديره عدة علماء في اللاهوت كأسقف مدينة ميلة سنة 396م وأسقف مدينة قالمة سنة 397م الذي أرخ حياة أوغسطين وهو المسمى سيديوس، كما تخرج على يديه أسقف مدينة سيرتا سنة 402م.[4]

انتشر خبر أوغسطين وسطع نجمه وصار من أشهر رجال الكنيسة بترقيته سنة 391م إلى رتبة مساعد أسقف هبون، ثم عين على رأس أسقفيها سنة 395م ومكث بها مدة خمسة وثلاثون سنة، وجعل منها محط إنزال وإمداد لحياة فكرية خصبة، ومركزا للكاثوليك.[5]

---

1 Henri Marrou, Op-Cit, P.P.(12-14).

2 شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 305.

3 فرانسوا دولبو، كفاح أوغسطين وخطبه ضد الدجالين، أعمال الملتقى الدولي الأول الفيلسوف الجزائري القديس أوغسطين، ج1، تر: محمد هناد، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر:2003، ص. ص (20- 21).

4 سعيد دحماني، عنابة في سياق التاريخ، ط1، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، د ت، ص 108.

5 Monceaux (P), Op-Cit, P.P.(6 -7)



الشكل رقم (23): كنيسة القديس أوغسطين.

نقلاً عن: سعيد دحماني، عنابة في سياق التاريخ، مرجع سابق، ص

وقد ألف أغلب كتبه بهيبون، وعند حصارها من طرف الوندال بقي أوغسطين بين ذويه، شاحذا هممهم، الشيء الذي لم يفعله الوالي الروماني الكونت بونيفاس (Comte Boniface) حيث وبخه أوغسطين–عن كتاب سعيد دحماني– قائلاً: " **من كان يحتمل أنه**

في حين بونيفاس المقيم بهذه المقاطعة يقود جيشاً في مثل هذه الضخامة يخرب العنجهيون فضاءً في مثل هذا الاتساع" وظل في منصبه إلى وفاته يوم 28 أوت 430م والمدينة لا تزال محاصرة.[1]

وثمة عدة عوامل تحكمت في شخصية أوغسطين، ويمكن إجمالها في: خطابة شيشرون، وقراءة الإنجيل والاطلاع على تأويلاته ودراسة لغة كتابته وخاصة الإنجيل الأفريقي، والانسياق وراء العقيدة الثنائية التي تسمى بالمانكية، كما تأثر كثيراً بفلسفة أفلاطون والفلسفة الأفلاطونية المحدثة.[2]

ومن مرتكزات نظرية أوغسطين: الإيمان الروحي، والحب، والعقل، والحكم العادل، والقدر الإلهي، والخير، والذكر بدل الجهل والنسيان، والحرب العادلة، والخطيئة الأصلية، والطبيعة، والتعويض والتجسيد الحلولي، والملكية الخاصة.[3]

ألف أوغسطين أكثر من مائتي كتاب باللاتينية، وتصنف كتبه وردوده ضمن إطار الثورات الدينية والأدبية، التي كانت تشتعل في نوميديا بالخصوص بين الدوناتية[4] والكنيسة الأفريقية المسيحية.[1]

---

[1] سعيد دحماني، من هيبون- بونة إلى عنابة تاريخ تأسيس قطب حضاري، ط1، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، 2007، ص 55.

[2] يوسف كرم، تاريخ الفلسفة في العصر الوسيط، ط2، دار المعرفة، 1992، ص 107.

[3] المرجع نفسه، ص. ص(107- 108).

[4] نسبة لمؤسسها دوناتوس ومجمل فكرها الصراع بين الارستقراطية الحاكمة والسواد الأعظم من الناس، حيث دافع الدوناتيون عن مذهبهم النصراني القائم على مبادئ المسيحية الأولى التي انتشر بها منذ قرنين سابقين في المغرب القديم.اعتنق سكان بلاد المغرب الدوناتية كتعبير عن رفضهم لظروف الحياة القاسية التي تضرروا منها بفعل الإدارة الرومانية.

ينظر: M.Meslin et P.Hadot, A propos du Donatisme, Journal de Sociologie des Religions, IV.N . ,1957,P.143.sur lien..www.persée.fr.le..18/08/2012.

معظم مؤلفاته باللغة اللاتينية، لكن قداسه الديني كان يقدمه باللغة المحلية التي كان يفهمها الشعب المغربي القديم، لأن اللاتينية كانت مقتصرة على كبار المثقفين والموظفين الإداريين التابعيين لحكومة روما.

ومن مؤلفاته "الاعترافات" و"مدينة الله" و"الثالوث الأقدس"، وتعد سيرته "اعترافاتي" (Mes confessions) من أهم مؤلفات القديس أوغسطين التي تعتبر بمثابة بداية للكتابة الأوطيبوغرافية[2] في الفكر الإنساني. بمعنى أنه أول كتاب وصل إلى الباحثين في باب السيرة الذاتية الروحية ذات الطابع الديني الذي يمتزج بالطابع التاريخي، حيث يقدم فيه الكاتب اعترافاته بكل صدق وصراحة، ويوضح انسياقه وراء الأهواء والشهوات، ولا سيما في قرطاج، حيث ولع بالمسرح والحب والجنس، وأوضح فيه كيف تعرف إلى الله، وكيف انتقل بعد ذلك إلى الفكر المسيحي، كما يكشف فيه عن تصوره وموقفه من الصراع العقائدي والاجتماعي والتاريخي الذي كان يعيش فيه أوغسطين إبان مرحلة الصراع المغاربي الروماني.[3]

ويدعو الكاتب في آخر هذا الكتاب الديني، إلى سلام الروح ومحبة الإله وقد كتب هذا الكتاب بين 391 و 400م في حياة الكاتب أوغسطين، بينما "مدينة الله" و "الثالوث المقدس" لم يكتبا ويستكملا إلا بعد وفاته.[4]

وإذا أراد الدارسون التأريخ للسيرة الذاتية في الغرب، يبدأون بالقديس أوغسطين ليتبع بجون جاك روسو بكتابه "اعترافات روسو" على الرغم من أن أوغسطين مفكر مغربي

---

[1] أندري ماندوز، القديس أوغسطين والدوناتية، تر: محمد هناد، أعمال الملتقى الدولي الأول للفيلسوف الجزائري القديس أوغسطين، ج1، 2001، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2003، ص 153.

[2] (Autobiographie) ويقصد بها السيرة الذاتية.

[3] سعيد دحماني، عنابة في سياق التاريخ ، المرجع السابق، ص 111.

[4] عز الدين المناصرة، المرجع السابق، ص 81.

لايمت بصلة إلى الهوية الأوروبية من حيث اللغة والشعور والوجدان، ومهما حاول الرومان رومنة المثقفين المغاربة وتجنيسهم، فقد ظل هؤلاء متشبثين بهويتهم الأصلية والدفاع عن وطنهم كما فعل أوغسطين لما مات شهيداً من أجل حرية مدينة عنابة.

والدليل على ريادة سيرة أوغسطين ومكانتها في الأدب الإنساني والعالمي ما قاله الدكتور إحسان عباس في كتابه "فن السيرة": " **وفي السيرة الذاتية بالمغرب معالم كبيرة كان لكل معلم منها أثره في كتابة السيرة الذاتية وطريقتها وفي طليعة تلك السير "اعترافات القديس أوغسطين" فإنها فتحت أمام الكتاب مجالا جديداً من الصراحة الاعترافية، وشجعت الميل إلى تعرية النفس، في حالات كثيرة تلتبس بالآثام، أو يثقل فيها عناء الضمير**"[1]

ومن أهم مميزات كتاب " اعترافاتي" أنه كتب بطريقة شاعرية روحانية ووجدانية، يستقطر فيها الكاتب دموع المعاصي والذنوب ليعوضها براحة التوبة والغفران مقابلا بين الحياة والموت والدنيا والآخرة.

أ) مدينة الله : يشتمل كتاب مدينة الله (La cité Dieu) على اثنين وعشرين فصلا أراد فيها صاحبها أن يبين فضل الآخرة على الحياة الدنيا ضمن منظور عقدي مسيحي. كما يؤول فيه كتاب الإنجيل من خلال اجتهاداته وتجاربه الدينية والروحانية. هذا ويحوي المؤلف آراء عميقة وحصيفة في مجال فلسفة التاريخ وتأريخ اللاهوت وتفسير الإنجيل وتأويله، وقد انتشرت آراؤه الدينية والفلسفية بين المفكرين واللاهوتيين المسيحيين فيما بعد، وعرفت تصوراته الدينية وتفسيراته المذهبية بالنظرية (الأوغسطينية)، واهتم المسيحيون فيما بعد بأفكار أوغسطين التي طرحها في كتابه "مدينة الله" وخاصة فكرة

---

[1] إحسان عباس، فن السيرة، ب ط، دار الثقافة، بيروت، د ت، ص 114.

الخطيئة، وفكرة الحكم الحر، ولاهوتية التاريخ، وحاول في كتاباته جاهداً التوفيق بين العقل والإيمان.[1]

ب) الثالوث الأقدس (Trinité): جمع هذا الكتاب واستكمل بعد وفاة القديس أوغسطين، حيث عالج فيه المعتقد المسيحي الذي يتمثل في الثالوث أو التثليث أو الثالوث الأقدس ضمن التصور المسيحي الكاثوليكي، أي أن الكتاب يدرس التصور المسيحي الذي يشخص الرب في ثلاثة أشخاص (الأب، والابن، والروح القدس) متميزة ومختلفة ومتساوية ومنصهرة في بوتقة طبيعية واحدة غير منقسمة (وحدة الوجود).[2]

وهكذا كان القديس أوغسطين عميق التفكير، ورجل دبلوماسي في تعامله مع الرومان، كثير الجدال والمناظرة، ويصفه إميل فوكيه: "**فيلسوف قبل كل شيء، رجل يحلل الآراء ويرى كل ما تحويه ومبدأها الأول ومداها ونتائجها النهائية وهو فوق ذلك خطيب عظيم مؤرخ، أو بالأحرى فيلسوف للتاريخ في كتابه (مدينة الله)، وهو أخيراً شاعر للقلب والوجدان الممتع في (اعترافاته) الخالدة، وربما كان هذا الرجل أغرب رجل في العالم القديم كله**"[3]

---

[1] Philip Schaff, ST-Augustin's City of God and christian Doctrine, Grand Rapids, MI: Christian Classics Ethereal library, New York, P.12.

[2] إميل فوكيه، مدخل إلى الأدب، تر: مصطفى ماهر، ط1، مطبع ملتزمة الطبع والشر لجنة البيان العربي، مصر، د ت، ص 49.

[3] المرجع نفسه، ص 53

وبالرغم من أنه يكره الدولة، فانه يعتبرها الذرع الواقي من الفوضى ويوصي بطاعة حكامها مهما كانت مساوئهم.[1] وكان يقصد بذلك الدولة المسيحية التي تسخر قوتها في سبيل نصرة الكنيسة ومقاومتها للبدع والهرطقة (الزندقة).

كان أوغسطين وفيا لمبادئه وقومه ووطنه ويتجلى ذلك من خلال نهايته المؤلمة، إذ وقف يقاوم الوندال[2]، فرغم مرضه سافر إلى طبنه (بسكرة) ليرضي بونيفاس الغاضب على روما ويقنعه حتى يرجع إلى حضيرة الصواب، ويتخلى عن معارضته لروما التي أولته ولاية أفريقيا، وفعلا استجاب لقسطنطين، لكن على ما يظهر بعد أن تخلى عنه الوندال.

وقد تحمل أوغسطين أكثر من ذلك، حيث قاد المقاومة رغم مرضه ووحشية الوندال، مدة أربعة عشرة شهرا، صابراً صامداً إلى أن أدركه الموت بهيبون يوم ثمانية وعشرون أوت سنة أربعمائة وثلاثون ميلادي وبموته سقطت الجزائر بيد الوندال بعد أن جعل من هيبون زعيمة المسيحية في أفريقيا.[3] حيث أصبحت هيبون قلعة لأكبر مذاهب الديانة المسيحية وجامعة لطلاب العلم.

---

[1] Bom Basse, Les Moines de L'Afrique Romaine (I Vème et Vème Siècles), T :II, librairie B. Bloud, Paris, 1903, P.P.(12,22).

[2] الوندال: هم مجموعة قبائل جرمانية أتت من الشمال الشرقي الغربي للقارة الأوروبية، دخلت إلى اسبانيا عبر أوروبا الوسطى. وقد تسربت تلك القبائل إلى بلاد المغرب القديم، حيث قضت على الحكم الروماني في القرن الخامس ميلادي، وأسست مملكة امتدت على جزء من بلاد المغرب القديم، ثم اتخذت من قرطاجة عاصمة لها، وقد دام حكم الوندال لشمال أفريقيا حوالى تسعين سنة قضت عليهم جيوش الروم البيزنطيين. لمزيد من المعلومات ينظر: محمد الصالح العود، التحولات الحضارية في شمال إفريقيافي الفترة الوندالية 429-534م، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، 2010، ص. ص
(63 – 60)

[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص 314.

لقد تميز أوغسطين بصفات نادرة، حيث كانت له روح متحمسة لطيفة وإرادة قوية ومزاج الزعيم ومرونة دبلوماسية ومنهج منظم، وقد وظف هذه الخصال لخدمة الكنيسة، أما مواهبه الفكرية المتنوعة تنوعاً متميزا، فلقد جعلت منه خطيباً وكاتباً من طراز عال.[1] تمكن من التصدي للمخالفين والمناوئين لمذهبه، فأكثر من الخطب والمقالات في شن حملته ضد المذهب الدوناتي (donatisme) الذي كان يرمي الكاثوليكيين بتسرب الضعف إلى عقيدتهم الدينية، كما كان يحارب المذهب المانكي (Manichéisme) والمذهب الآري الذي انتحله فيما بعد، القائد سنجريق، ملك الوندال.[2]

ترك أوغسطين نظرية فلسفية دينية متكاملة مازالت تدرس وتناقش في المتلقيات اللاهوتية و الفكرية إلى يومنا هذا وتنسب إليه تحت اسم الأوغسطينية (Augustinienne).[3]

لم يكن القديس أوغسطين أحد آباء الكنيسة ونقطة تحول في تاريخها فحسب، بل وعلامة فارقة في فلسفة العصور الوسطى أيضا، حيث يمثل نقطة الالتقاء بين الثقافة الإغريقية - اللاتينية والثقافة المسيحية. إنها شخصية فذة أثرت بطباعها على مدينة هيبون ووجهتها أكثر من ثلاثين سنة، وقيمته الشخصية عالمية أيضاً، إذ كان من دعائم الكنيسة المسيحية، كما كان لتعليمه وآرائه الدينية اعتبار شائع، فهو الذي بنى الفكر اللاهوتي الكاثوليكي.

---

[1] المرجع نفسه، ص 305.

[2] محمد محي الدين المشرفي، أفريقيا الشمالية في العصر القديم، ط4، دار الكتب العربية، 1969، ص. ص (102- 103)

[3] جونو إدوار، الفلسفة الوسيطة، تر: علي زيعور، ط3، دار الأندلس، بيروت، 1982م، ص 37.

فالقديس أوغسطين جدير بأن يعد أحد زعماء الفكر بالجزائر القديمة، إذ شخص المجتمع المغربي وأعطاه كيانا خاصا به، كتب الكثير عن المدن والأرياف، وقد عالج المشاكل الاجتماعية الخطيرة التي كان يعاني منها مجتمعه منذ تقلده منصب أسقف[1]، وذلك عن طريق الدفاع عن الفقراء وتقديم المساعدة المادية لهم طوال أربعين عاما من تواجده بالكنيسة.[2]

لقد ظهر ببلاد المغرب الكثير من الأدباء الذين ساهموا في الفكر الإنساني، وبعد دراسة بعض جوانب الأدب المغاربي، إبان الاحتلال الروماني ورغم اختلاف الأوضاع السياسية والظروف السوسيواقتصادية والمدارس والتوجهات الفكرية والدينية نلاحظ أنه تميز في جميع أبعاده بأدب المقاومة والوطنية والذود عن الهوية والحرية والأرض والشرف والكرامة والقيم الأخلاقية الراقية، ولم يكن أدب المتعة واللذة والاسترزاق.

فالأدباء المغاربة لم يكتبوا لإرضاء زعيم أو سلطة، ولكن كان الأدب عندهم مثل القيم، التي لا تساوم فهو الذي يبرهن عن مدى مستويات فكرهم وتاريخهم وقوتهم وشيمهم وهو أدب مقدس ومجال للتحرر وحصن للذاكرة.

ورغم اختلاف المسارات والتوجيهات والظرفيات للأدب المغربي، لكنه ظل نابعاً من صلب الذاكرة والوجدان المغربي ولو في شكل حرفه المستعار، لأن الحرف اعتبره المفكرين المغاربة في هذه الظرفية المتوترة وسيلة لتمرير الخطاب كما قال كاتب ياسين

---

[1] كلود لبولي، الكفاح من أجل الفقراء: ملاحظات حول العمل الاجتماعي للقديس أوغسطين بمنطقة هيبون، تر: محمد مناد، أعمال المتلقى الدولي الأول الفيلسوف الجزائر القديس أوغسطين، ج1، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2003، ص. ص (118، 120).

[2] Serge Lancel, Saint Augustin (La Numide et la société son temps) , éd. Ausonius, Actes du colloque SEMPAM, Bordeaux, 2005, P.765.

هو أيضا غنيمة حرب واعتبروا اللغة وسيلة للتواصل مع الآخر القادم إلى بلادهم والمحتل لهم.

وقد حاولت دراسة التعليم في بلاد المغرب القديم، حسب ما توفر لي من مادة معرفية استقيتها من المصادر والمراجع حاولت تقديمها في هذا البحث لكي أغطي جانبا من جوانب موضوع هذه المذكرة وإن شحت المادة الخبرية في دراسة بعض القضايا فإن السبب يعود لسكوت المرجعية عنها.

الفصل الثالث:
الحياة الحضرية والفنية في المغرب القديم
خلال الاحتلال الروماني

المبحث الأول: المنشات الرومانية في حواضر المغرب القديم.

المبحث الثاني:دراسة تاريخية وأثرية للمدينة المغاربية (مادور أنموذجاً).

المبحث الثالث: الإبداع الفني في بلاد المغرب القديم

مرت بلاد المغرب القديم بمراحل إعمار متوالية من مرحلة ما قبل التاريخ إلى عهد الدولة القرطاجية وإشعاعها على الممالك النوميدية، ثم المرحلة الرومانية، وكانت كل واحدة من هذه المراحل قد طبعت بلاد المغرب بطابع خاص، ولكن الفترة الرومانية كانت أكثر تأثيرا لامتدادها الزمني الطويل(146ق.م-431م) ولما حملته من عناصر حضارية ومعمارية جديدة،[1] حيث حرصت السّلط الرومانية على تكثيف شبكة المدن في مختلف أنحاء المغرب القديم، مع العلم أن الرومان في بداية التعمير اختاروا نفس المواقع التي اختارها الفينيقيون والقرطاجيون لإنشاء مدنهم[2].

ولقد أثبتت الدراسات الأثرية الحديثة التي أجريت في تلك المواقع المستوطنة قديما، تواجد طبقة البناء الرومانية فوق الطبقة الجيولوجية الموريطانية التي تقع بدورها فوق الطبقة القرطاجية، وذلك أن عملية اختيار المواقع، كانت تتفق مع القادمين الفينيقيين

---

[1] على هذا الأساس فإن نموذج المدينة الرومانية التي هي خلاصة نماذج المدن الفينيقية والإغريقية قد أصبحت تشكل أفضل أنواع التنظيمات العمرانية، وهو ما أدى إلى تدهور بقية النماذج وذوبانها التدريجي، وذلك حسب درجة تأثرها بالحضارة الرومانية في الأقاليم الخاضعة للسلطة الرومانية ولكن يمكن القول أن المدينة في بلاد المغرب القديم ليست اختراعا أجنبيا كما تريد بعض الأطروحات المغرضة، وإذا كانت المدينة في بلاد المغرب متفتحة على حضارات أخرى أثرتها في مراحل لاحقة، فإن نواتها وقاعدتها المجتمعية ظلت دائما ليبية نوميدية أهلية. ينظر: محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 41. وشافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 202

[2] لقد جاء في العديد من الدراسات العلمية أن الرومان لم يدخلوا المنطقة وهي خالية من المدن، بل بالعكس عندما جاءوا وجدوا عددا كبيرا من المدن، وكان السكان يعرفون الحياة المدنية سواء على الساحل أو في الداخل. ينظر: عبد القادر بوعزم، الحياة في ساحة الفوروم بمدن أفريقيا الشمالية خلال العهد الروماني، مجلة عصور، عدد 16، مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، وهران، 2010، ص 245.

الأوائل من حيث صلاحية المكان، وتوافقه مع الأهداف الاقتصادية والمستلزمات الدفاعية.[1]

وقد ذكر في كتاب الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة أن بلين الكبير حاول تمجيد روما عن دورها تجاه شعوب العالم حين قال:"**إن إيطاليا هي أم بقية أراضي العالم، لقد اختارها الإله لجعلها السماء الأكثر لمعانا، وجمعها الإمبراطوريات المنتشرة، ولتلطيف العادات ولاقتراب اللغات المختلفة والمتوحشة لمختلف الشعوب، ولإعطائها للبشر القدرة على التفاهم وبعبارة واحدة لتصبح الموطن الأوحد لجميع أمم العالم**".[2]

حيث عمل الرومان على إنشاء مدن[3] كان الغرض منها نشر الحضارة الرومانية أو كما أراد لها أغسطس أن تكون منارات إشعاع للثقافة والفكر الرومانيين، وطبع بلاد المغرب بطابع الحضارة الإيطالية.

وأمام كثرة المدن الرومانية القديمة، أو الشبه رومانية، فإن عدداً من الدراسات الحديثة ذهبت إلى التأكيد على أن الثروة الإفريقية في العهد الروماني، كانت ترتكز أساساً على مهنة الفلاحة، وهذا العنصر الاقتصادي هو الذي أدى إلى استقرار المعمرين، حيث بنوا المنازل، واقتدى بهم الأهالي، وقلدوهم في حياتهم وفي بناء مساكنهم في المدن، أو في المزارع والحقول، وحسب هذه الدراسات، فإن ذلك يعد السبب الأساس في وجود مدن كثيرة بالمغرب القديم ذات الطابع المعماري من النوع الروماني، يضاف إلى ذلك المزارع

[1] شافية شارن، بلقاسم رحماني،محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 195.

[2] المرجع نفسه، ص 169.

[3] المدن: هي العناصر المهمة لجميع الحضارات، وإن الثقافات تحقق أرفع مستوياتها ويعبر عنها من خلال المدن. ينظر: سعيدة مفتاح، تأثير الحضارات القديمة في التخطيط العمراني للمدن، آراء ودارسات في التاريخ والآثار القديمة، أشغال الندوة العلمية المنعقدة بالمدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، 2011، ص 294.

والمداشر والقرى، ووجود منازل كثيرة بجميع ما يتبعها من المرافق مثلما كان يوجد في روما في العهد الإمبراطوري.[1]

وقد كان وصول أفريقيين(السيفريين[2] والقورديين) إلى العرش الإمبراطوري الروماني، انعكاس على بلاد المغرب القديم في إنشاء الكثير من المنجزات العمرانية الهامة، حيث لعبت الهيئات البلدية دوراً هاماً في ترقية المدن وتزويدها بالمرافق الضرورية في حياة المجتمع الروماني.[3]

وتساعد الآثار التي اكتشفت حتى الآن في تحديد المميزات الأساسية للمدينة الرومانية، فهناك أولا الطريقان الكبيرتان (Cardo mascimus) المحور شمال جنوب و(mascimus Decumanus) المحور شرق- غرب مع ميدان أو عدة ميادين بالقرب من تقاطعهما والعديد من المباني ،المخصصة للإدارة، مقر المجلس البلدي (curia)، محكمة المدنية(basilica) التي كانت تفصل في المنازعات وتناقش المسائل التجارية، والمعابد حيث كانت توجد المعبودات التي ترمز إلى الآلهة جوبيتير، جونون، ومينيرف

---

[1] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص. ص (169 ، 196)

[2] عائلة (Sévèrus) عائلة مغربية ليبية، آل إليها عرش الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثالث حيث استطاعت أن تحتفظ بتاج الإمبراطورية ردحا من الزمن (197–235م) وأن تحدث تغييرات جوهرية في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، أهمها: دستور "كراكلا"، الذي أنزل ولو نظريا جميع أحرار الإمبراطورية منزلة مساوية للعنصر الروماني السيد بمنحهم حق المواطنة الرومانية، وبذلك أصاب كراكلا عتو الارستقراطية الرومانية في الصميم، وأحبط من شأنها، فكان عهد السفيريين الأفارقة آخر حلقة في سلسلة التطور الذي بذل الأنطونيون في سبيله جهوداً مضنية، وقد أسهم سبتيموس سيفيروس بنصيب وافر في هذا السبيل، وكان عهد خلفائه بداية السير بالإمبراطورية نحو المصاعب والتدهور وهذا ما ميز نهاية القرن الثالث. ينظر: محمد البشير شنيتي، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب، المرجع السابق، ص 16.

[3] محمد العربي عقون، الاقتصادي والمجتمع، المرجع السابق، ص 261.

على الخصوص.[1] وتوجد بالقرب من الساحة (الفوروم) الحمامات المركزية (thermae)، وسوق المدينة(macellum) وفي كل مدينة متوسطة الحجم تبرز للعيان نصف دائرة مدرج المسرح (theatrum) والشكل البيضاوي لمدراج المسرح الدائري (amphitheatrum)، كما توجد في المدن الكبرى حلبة مستطيلة الشكل لسباق العربات (circus) والأحواض التي تتدفق فيها المياه، وأقواس تحاكي أقواس النصر، وغيرها من المرافق، التي أقيمت لزخرفة المدن وتزينها.

وقد سجلت الحياة المادية لدى الرومان تطوراً واضحا في الولايات الإفريقية التي كانت تحت الحكم الروماني، وقد تم إحصاء خمسمائة مدينة على الأقل في بلدان المغرب قاطبة، وجد منها مائتان في ولاية البروقنصلية وحدها إضافة إلى ولايات نوميديا وموريتانيا القيصرية وموريتانيا الطنجية.[2]

المبحث الأول: المنشآت الرومانية في مدن المغرب القديم:

عملت السياسة الرومانية للنهوض بأعباء الوظائف العامة في المدن على توفير وسائل تساعد على تطور المدينة، حيث كانت تعمل على إبراز مظاهر الحضارة الرومانية بمختلف السبل، وقد تجلى ذلك في إقامة المرافق الاجتماعية المختلفة: كالحمامات والأسواق والنافورات والمعابد والمسارح في المدن المغاربية يرجع عدد من الباحثين ذلك إلى روح المنافسة بين الأعيان.[3]

[1] محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 192.

[2] شافية شارن، بلقلسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 197.

[3] إن ظهور المدن القديمة كان منطلقها الأساس مجتمعات محدودة الانتشار اقتصاديا وجغرافياً، وبالتالي قليلة التضامن فيما بينها ومتفاوتة الإمكانيات الاقتصادية التي كانت قائمة على أساس الملكية الفردية المختلفة أيضا، مما دفع إلى إتباع

وكان أعلى المناصب المدنية -في أي مدينة- هو منصب الحاكمين اللذين كانا يتوليان منصبهما لمدة خمس سنوات وقد عرفا باسم(Douvi quinquennalis)، وكانا مسؤولين عن الإحصاء العام للسكان الرومان، وحق الإشراف على كل المنشآت المختلفة المقامة في المدينة، زيادة على مسؤولياتهم المدنية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ومن أهم هذه المنشآت التي أقامها الرومان في بلاد المغرب:

أولا: المرافق العمومية: كما سبق وذكرت، أن هذه المدن الرومانية، احتوت على كافة المباني والمنشآت العامة والضرورية التي كانت موجودة في روما نفسها، وتتمثل فيما يأتي:

1) الساحة العامة (الفوروم): الفوروم بالمعنى البسيط، كان في القدم عبارة عن ساحة واسعة خالية من المباني، وهي مكشوفة في الهواء الطلق بجوار مقبرة، كما كان يطلق هذا الاسم ساحات الأسواق التي كانت تقام في الأرياف، والتي كانت مكانا ينجمع فيه سكان عدد من القرى قبل تنظيمها في شكل مدينة، وحتى يكون الوصول إلى هذه الأسواق سهلا كانت تقام بالقرب من طرق المواصلات، وبما أن السكان كانوا يتجمعون هناك في أوقات أسبوعية منتظمة، وكان من السهل الاتصال بهم أصبحت هذه الأسواق في نفس الوقت مكانا للاجتماعات، أي مركز الحياة السياسية للسكان المجاورين قبل دخولهم في نظام المدينة.[1]

أسلوب التخفيف من حدة هذه الفروقات الاقتصادية بين أفراد مجتمع المدينة الواحدة، حيث تحمل الأغنياء عبء بناء المرافق العمومية، وبمرور الوقت أصبح ذلك العطاء والبذل يمنح صاحبه سلطة معنوية وقانونية تصل به إلى مرتبة الحكام، ولكي يستمر في المحافظة على منزلته هذه عليه الاستمرار في البذل والعطاء ومع مرور الزمن أصبحت هذه الخدمات واجبات على الأغنياء. ينظر: شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع نفسه، ص 201.

[1] عبد القادر بوعزم، المرجع السابق، ص 246.

هكذا أصبحت هذه الساحات مكان تجمع سكان الإقليم المجاور، محاطة بالمباني العمومية والدكاكين، وتزينها عادة أقواس، وتؤدي إليها سلالم، وكانت تحمل عدداً من النصب الشرفية كتماثيل الأباطرة وسادة المدينة، ويمكن أن يكون للمدينة أكثر من فورم وأحد، وهو شأن خمسية وجميلة، والفوروم الحقيقي في هذه الحالة هو الذي يوجد فيه مقرا اجتماع المجلس البلدي.[1] (ينظر: الشكل رقم 24 ص).

تعتبر الساحة العامة عند الرومان، المنتدى الجماعي الذي يلتقي فيه الناس يوميا لممارسة مختلف النشاطات اليومية: كالتجارة، تبادل الأفكار والأخبار، كما تعتبر المكان المناسب للترويح عن النفس ومعلما أساسيا للمدينة الرومانية، باعتبارها رمز ومحور الحياة العامة للسكان.(ينظر الشكل رقم 25 ص).

وفي هذا السياق عرفها "روني كانيا" في كتابه " قرطاج، تيمغاد، تبسية، والمدن القديمة في شمال إفريقيا:" **أنها مكان للمبادلات التجارية، عقـــــد الصفقات ومكـــــان التقـــــاء النـــاس في أوقات فراغهم، وكان القضاة أو الحكام يعقدون فيها أيضا اجتماعات المجلس البلدي فوق المنصة، وفي هذا المكان كان القضاة يقومون بأداء اليمين القانونية**".[2]

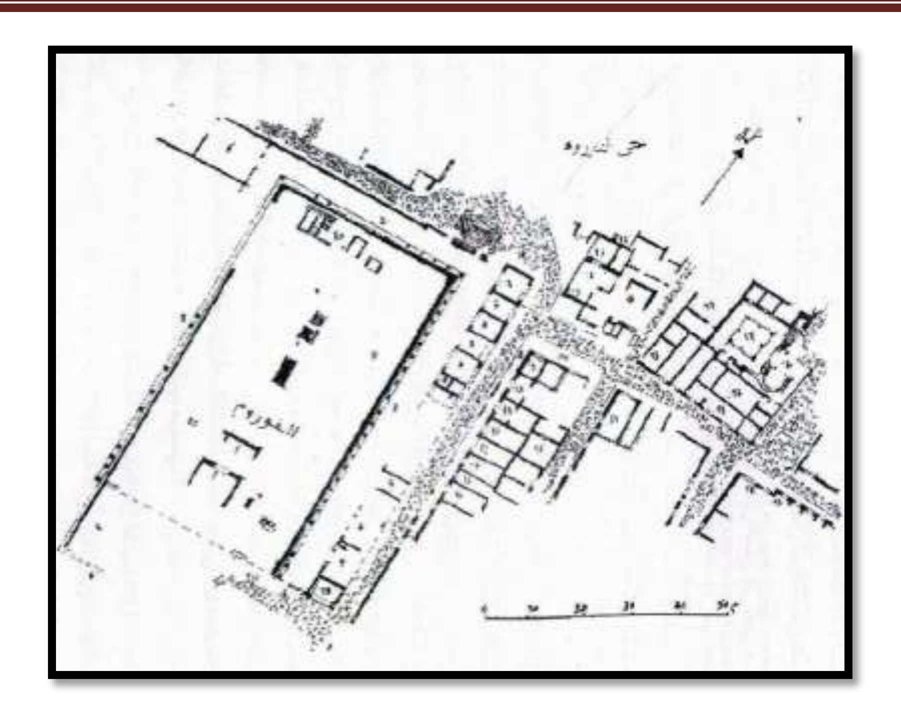
أما شروط بناء الساحة العامة عند الرومان، فتتمثل فيما يأتي:

أ) اختيار موقع استراتيجي ومحوري في آن واحد.

---

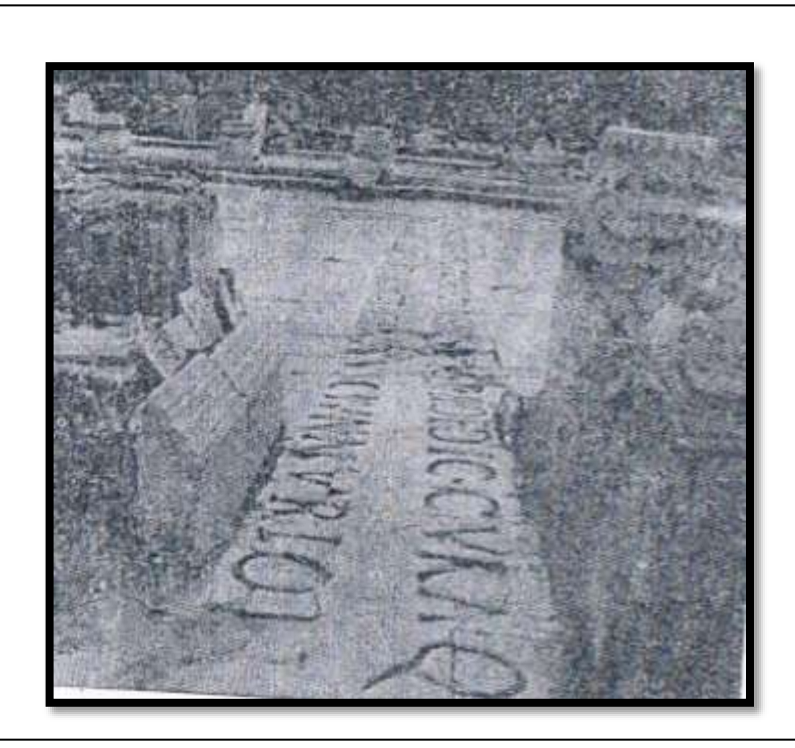
[1] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 214.

[2] (R) Cagnât, Carthage, Timgad et Tébessa, et les villes antiques de l'Afrique du nord, Paris loveron H,P.62.



الشكل رقم (24): الفوروم.

نقلاً عن: شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 215.



الشكل رقم (25): آثار الساحة العامة (الفوروم) في مدينة عنابة.

نقلاً عن سعيد دحماني، من هيبون–بونة إلى عنابة، المرجع السابق، ص 48.

ب) تبنى الساحة العامة وسط المدينة حتى تكون المحور الرئيس لمختلف النشاطات الاقتصادية، السياسية، الدينية، والفكرية.[1]

وهكذا ولأجل هذه المهام الاجتماعية، فقد حظيت المدينة الرومانية باهتمام الكتاب القدماء، حيث وردت في مراسلات مكسيم المادوري (Maxim de Madaure) التي تبادلها مع القديس أوغسطين (Saint Augustin)، منها الرسالة السادسة عشر التي أرسلها مكسيم سنة 390م جاء فيها:

« …AT VERO NOTRAE URBIS FORUM SALUTARUIM NOMINUM FREQUENTA POSSESSUM NOS CERNIMUS ETPROBAMUS. »[2]

ترجمة النص:

"**...نحن جد سعداء بالساحة العامة لمدينتنا، التي تحتوي على تماثيل كثيرة للآلهة الحامية للمدينة...**" ورداً على مراسلات مكسيم، كتب القديس أوغسطين رسالة في نفس السنة 390م جاء فيها :

« ….ET IN ISTO FORO RECORDA DER ESSE IN DUOBUS SIMULAGRIS UNUM MARTEM NUDUM ALTERUM ARMATUM QUORUM DAEMONIUM INFESTISSI MUS CIVIBUS PORRECTIS TRIBYS DIGITIS CONTRA COLLDCATA STATUM HUMANA COMPRIMERT »[3]

---

1 (L) Homo, Rome impériale et l'urbanisme dans l'antiquité, édition Albin ( ) Michel, Paris, 1951, P.7.

2 Péronne, Vincent, Ecall, Charpentier, Barreau (H), Oeuvres Complètes de Saint Augustin, (traduites et annotées en Français, textes de l'édition de benédictions), Tome IV, lettre XVI, Paris, 1873, P.275.

3 Ibid, Lettre XVII, P.276.

ترجمة النص:

<<أتذكر تمثالين للإله مارس (Mars) جيداً، الذين وجدا في الساحة العامة، أحدهما كان عاريا والآخر بالزي العسكري ومسلحاً، ويقابل التمثالين تمثال آخر يأخذ الشكل الآدمي ويشير بأصابعه الثلاثة البارزة إلى الإله الحامي للمستعمرة من الأرواح الشريرة>>.

وهكذا كانت الساحة العمومية تعتبر المركز الحيوي والعنصر الأساس، وترمز وحدها لهذا الوجود المدني، فمن خلال النص يلاحظ الاهتمام بتزيين الساحة العامة وإنشاء تماثيل الآلهة لحمايتها.

2) محكمة المدينة (البازيليك): اسمها مشتق من الكلمة اليونانية (Stoobasilic) أي القاعة الملكية، وأول بازيليكا كانت في القرن الثاني ق.م، وفي العهد الروماني كانت عبارة عن مباني عامة للتبادل التجاري والعدالة، توجد بالقرب من الفوروم[1]، **وتعد** المحكمة إحدى المرافق العمومية المتعددة الوظائف في المدينة، فهي مكان شيد حتى يكون مقر للحكمة، حيث يستقبل المتقاضين من قبل القضاة ويتم إصدار الأحكام، كما كانت في نفس الوقت مكان تجمع مدني (Forum populair) أين تنعقد الجمعيات الشعبية والجمعيات الناخبة (Comices) وتقام عمليات الإحصاء(Cens) وكما قال دوبرا (M.Duprat) عن كتاب بيار كاستال: "**كانت محكمة وبورصة ومكان مسامرات وتجول، كانت مبنى فتوحا للجميع للتاجر والصيرفي والمحامي والقاضي والمتقاضي ومكان**

---

[1] عزت زكي حامد قادوس، تاريخ عام الفنون، د ط، دار المعرفة الجامعية ومنشأة المعارف الإسكندرية، 2001، ص 238.

للمقاضاة أو عقد صفقات".[1] وكانت تبنى بشكل مستطيل وتتكون من ثلاثة أجنحة، وينتهي كل جناح بمحراب سقفه على شكل نصف دائرة.

وفي الفترة المسيحية تحولت كثير من البازيليكات إلى كنائس وأصبحت لها وظيفة دينية بعد أن كانت مركزاً اجتماعياً وتجاريا في عهد الوثنية.[2]

وأهم نموذج على هذه الكنائس، كنيسة تبسة التي تتواجد على بعد خمسمائة متر من قوس النصر كركلا باتجاه الشمال خارج المدينة، وهي من النماذج الأكثر اكتمالا، فهي خارجيا تتكون من ثلاثة أقسام بارتفاع غير متساو، والقسم المركزي فيها أكثر ارتفاعا من الأروقة الممتدة بواسطة جدار مفتوح بنوافذ.

أما داخليا: الكنيسة مقسمة طوليا بأعمدة، تحتوي على صحن وجوانب منخفضة، معزولة كل واحدة عن الأخرى بواسطة حواجز.

وبنيت الكنيسة الأولى على شرف القديسة المسيحية كرستينا سنة 305م بقرار من القديس أوغسطين، وهناك الكنيسة الكبيرة التي تحتوي على قاعدة الأعمدة والساحة الداخلية وبيت الكاهن.[3] (ينظر الشكل رقم 26 ص).

3) أقواس النصر: أدى السلام الذي حمله أغسطس بعد الحرب الأهلية إلى تحويل أبواب المدن إلى مداخل ضخمة، لم تستخدم كمجرد ممرات إلى داخل المدينة، وإنما كأقواس نصر أو أقواس تذكارية، وهكذا كانت أقواس النصر تقام في مدينة روما حتى تكون تذكارا لانتصارات الأباطرة العظيمة، وهي أحيانا تصور حادثا تاريخيا هاما، تكون

[1] بيار كاستال، حوز تبسة، تع و تح، محمد العربي عقون، مطبعة بغيجة حسام، 2010، ص 145.

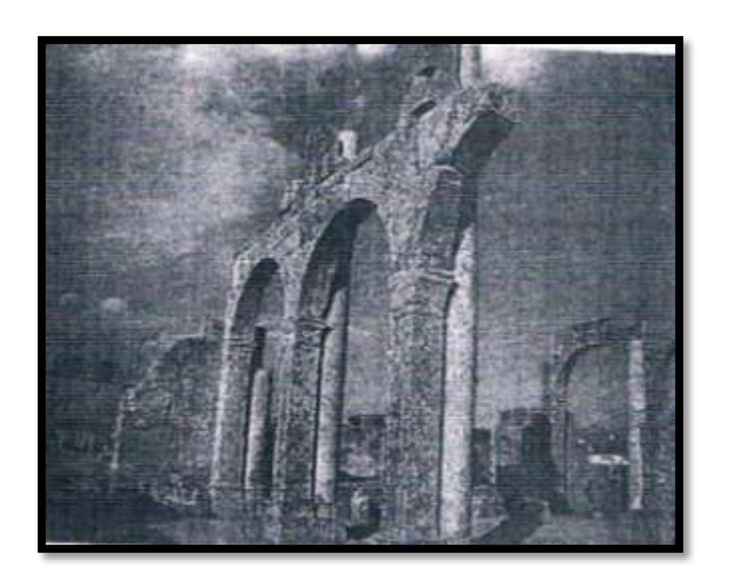
[2] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص. ص (214- 215).

[3] مها العيساوي، مدينة تبسة في العصور القديمة، المرجع السابق، ص 41.

عادة من فتحة واحدة أو ثلاث فتحات وهي مزينة بالتماثيل والنحت البارز الذي يظهر الانتصارات التي أقيمت لهذه المباني، ومن أقدم الأقواس في ايطاليا قوس ريميني.[1]

(أ) (ب)





الشكل رقم (26): بازليكا تيفست.

(أ): الساحة الداخلية لبازليكا تيفست.

(ب): أعمدة الساحة الداخلية حيث تم إعدام القديسة كريسبينا سنة 305 م

.تصوير الباحثة.

وفي بلاد المغرب وجدت أقواس النصر لتزيين المدن، وأصبحت تقليدا يرمز إلى الاحتفاء بالقادة العسكريين العائدين من ميادين الحرب وهم منتصرون، وكانت أقواس النصر تقام بمناسبة انتصار الإمبراطور الروماني على أعدائه، وكذا تقام بمناسبات أخرى كإحياء ذكرى منح حق المواطنة الرومانية لمدينة من المدن، كما حدث في مدينة

---

[1] عزت زكي حامد قادوس، المرجع السابق، ص 63.

لبدة عند تدشين قوس ترجان (109–110م). أو بمناسبة تدشين مدينة جديدة كما هو الحال في قوس الإمبراطور ترجان بمدينة تمقاد، وأحياناً كانت تشيد أقواس بمناسبة افتتاح طريق عام. (ينظرالشكل رقم 27 ص).

تعد بلاد المغرب الجزء الأكثر عدداً من هذه النصب في كل الإمبراطورية الرومانية، ويمكن تقسيم أقواس النصر إلى صنفين: الصنف الأول وهو الذي يعد جزءا من السور (سور المدينة، سياج المعبد أو الساحة) ويشكل مدخلها

والصنف الثاني الذي يقام معزولا في الساحات أو في الطرقات[1]، لكن لا يوجد أي اختلاف جوهري بينهما من الناحية المعمارية، وهو ما دفع غزال إلى الخلط بينهما في الدراسة التي خصصها لأقواس النصر الرومانية.[2]

4) **قنوات نقل المياه (Aqueducs):** يسميها بعضهم حنايا **أو** القنوات المحمولة (Aqueducs)، والواقع أنها ليست دائماً محمولة وإن كانت قد اشتهرت بالارتفاع على أقواس تستند على ركائز. إذ كثيراً ما عثر عليها مخترقة جوف الأرض عندما تحتم ضرورة السطح ذلك. وقد اشتهرت هندسة الري الرومانية بالقنوات الناقلة، وفاقت فيها غيرها مهارة واتقاناً ومتانة وفعالية. (ينظر الشكل رقم 28 ص).

وكانت هذه القنوات من المرافق العامة والضرورية، لأنها توفر عنصرا أساسيا في الحياة الحضرية على الخصوص وهو الماء، وقد جمعت هذه القنوات المحمولة بين الهندسة والفن فحققت الغرضين النفعي والجمالي.[1]

---

[1] محمد الهادي حارش، المرجع السابق، ص 215.

[2] (S)Gsell , Les monuments antiques de L'Algérie, Paris : Ancienne librairie Thorin et Fils, Albert Fontemoine, 1901, t1, P.185.



الشكل رقم (27): الديكومانوس والقوس المسمى تراجان (تيمقاد).

نقلاً عن: محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 185.



الشكل رقم (28): بقايا قناة ناقلة على وادي الرمل بقسنطينة.

نقلاً عن: محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، المرجع السابق، ص 143.

[1] (E) Thepenier , Le Grand Aqueduc de Cirt, Dans RSAC, 50, 1916, P 105.

ورغم أن القنوات الناقلة كانت تقام لتزويد الحواضر بمياه الاستعمالات الحضرية التي كثيراً ما تكون مصادرها بعيدة عن تلك الحواضر مما يتطلب القيام بأعمال بلغت حداً مدهشاً من الضخامة، وكانت هذه المنشآت كانت تزود البساتين والحدائق وحتى الحقول أيضاً بمياه السقاية الفائضة عن الاستعمالات المدنية، خاصة وأن معظم الحواضر، كانت ذات طابع ريفي أثناء الوجود الروماني، ومن ثم قلما خلت آثار منطقة عمرانية من هذا النوع من المنشآت المتعلقة بالتحكم في المياه ونقلها.[1]

ولعل أهم ما يميز القنوات الناقلة الرومانية في بلاد المغرب عن غيرها هي: أنها كثيرا ما تخترق السطح مما تطلب تجهيزها بنفاسات (Regards) منتظمة جعلت منها أروقة حقيقية تحت الأرض. وتدلنا أحجامها على منسوب صرفها وعلى كمية المياه التي تسعها، ومن ثم فمخلفاتها ذات أهمية خاصة في مجال دراسة نظام السقاية الزراعية وكميات المياه التي تم توظيفها في هذا المجال.[2] (ينظر الشكل رقم 29 ص).

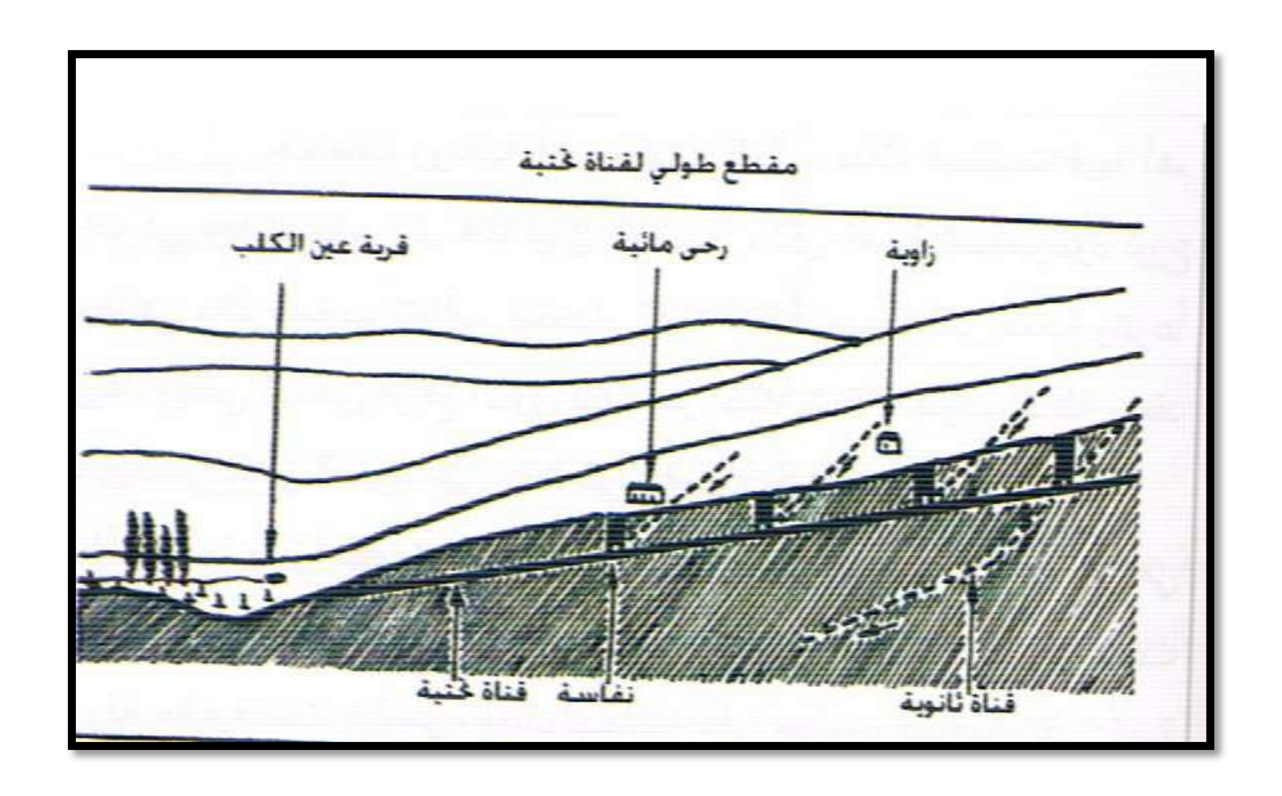
كما أقام الرومان الخزانات الاحتياطية وخزانات الحفظ في الأماكن المشرفة على الحقول والمزارع، وكذلك في المواقع التي تمكن من الاستفادة بمياه الخزانات عن طريق توزيعها على المنازل والحمامات والعيون العمومية، وما يليها من مراكز الاستهلاك الحضري، وكان عدد الخزانات وحجم سعتها يتناسبان مع سعة الاستهلاك وقدرة القنوات الممونة لها.

---

[1] محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012 ، ص 144.

[2] المرجع نفسه، ص. ص (142،146)

ففي توكابور (Tokabor) القرية الصغيرة التونسية الواقعة على بعد كيلومترين من مدينة شاوش، وجدت عدة خزانات هامة تبلغ أبعاد أحدها 45مx 24.5م ويسع ما يقرب 6500م3 من الماء، مما يدل على سعة استغلال المياه في الشرب والسقاية ، ولا تقل صهاريج سيكا فينيريا (الكاف) الإحدى عشر أهمية عن خزانات توكابور – السالفة الذكر–، إذ بلغت أبعاد أحدها 81.50مx27.60م . مما كان يمكنه من استيعاب كمية أكبر من



الشكل رقم (29): تخطيط تمثيلي لتقنيات التحكم في نقل المياه تحت الأرض عبر المرتفعات، قام به المهندس بيربان في منطقة الأوراس.
نقلاً عن: محمد البشير شنيتي، نوميديا وروما الإمبراطورية، المرجع السابق، ص 145.

سابقه.[1]

[1] المرجع نفسه، ص 150.

كانت تنتشر الخزانات والصهاريج الريفية بكثرة في المناطق الجنوبية، وتزداد كثافتها كلما اتجهنا جنوباً، بحيث لا تخلو من بقاياها الأثرية أية منطقة من المناطق التي خضعت للاستغلال الزراعي في العهد الروماني. وهي تتوزع بصفة متناسبة مع توزع مصادر المياه السطحية أو الجوفية، ومع قنوات مياه السدود والينابيع والأمطار. وأهم الجهات التي تتصدر غيرها في هذا المضمار منطقة الحضنة بالجنوب النوميدي وجنوبي الأوراس ومنطقة السهوب التونسية.[1]

5) **المنازل:** نعالج في هذا العنصر أنواع المساكن التي وجدت في بلاد المغرب أثناء الاحتلال الروماني وذلك حسب طبيعة البناء وحسب الطبقات الاجتماعية. (ينظر الشكل رقم 30 ص).

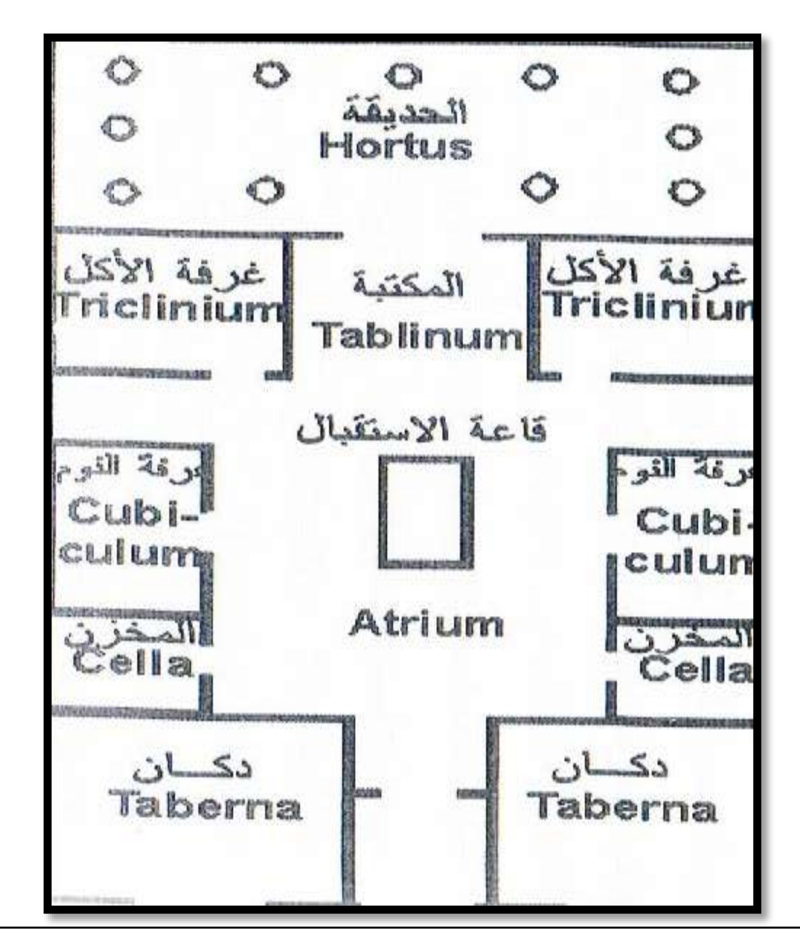
أ) **نوع الدوموس (Domus):** هي منازل المدن، ذات طراز هلينية، تتكون من طابق واحد ومجموعة غرف ومخازن تحيط بالساحة الداخلية أو الفناء(Peristylum).

ب) **نوع الفيلات (Villae):** عرفت بالقصور الريفية، شهدت على ذلك بقايا الفسيفساء التي عثر عليها في أرضية المنازل الممتدة عبر العصور، والتي كان يقطنها كبار ملاك الأراضي، وتعكس حياة الطبقة الأرستقراطية من الرومان. وكانت هذه عبارة عن منازل كبرى واسعة الأرجاء، تزينها أقواس وأبراج وحدائق.

ج) **نوع الأكواخ:** عبارة عن مساكن أبناء المجتمع المحلي من الطبقة الفقيرة التي خدمت الأرض، وتصنع من مواد قابلة للفناء، ولذلك لم يبق منها ما يدلنا على آثارها ونمط بنائها.[2]

[1] . S.Gsell, A.A.A.N, Op-cit, P.P.(26, 48, 49).

[2] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 224.



الشكل رقم (30): تخطيط عمراني لأحد المساكن الرومانية.

نقلاً عن: شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص224.

أنواع المساكن بحسب الطبقات الاجتماعية: سأقتصر في هذا الجزء على دراسة المنزل الأرستقراطي كنموذج.

أ) منازل خاصة بالطبقة الأرستقراطية: كانت المساحة التي تشغلها المنازل الخاصة بالطبقة الأرستقراطية الرومانية في المدينة أوسع بكثير من المساحة التي تحتلها المباني العمومية، ويبدو أن السكن القديم أهملت دراسته سوى من خلال الزخارف المعمارية التي تضمنتها بعض المساحات فيه، ونتيجة لذلك فإن منازل الطبقة المشار إليها آنفاً هي التي حظيت بالدراسة والكشف الأثري، في حين أن الآلاف من بيوت العامة لم تجلب انتباه الأثريين لقلة آثارها.

أما فيما يخص المنزل اللوبي النوميدي، فلا تقدم لنا الآثار الموجودة الكثير عنه، ما عدا آثار كركوان[1] البونية التي تعد المدينة الوحيدة ذات الطابع الاجتماعي المحلي الذي كان بعيدا عن الرومنة.

من خلال متابعة تلك الآثار، أمكن معرفة أن النوميديين ونظرا لتبنيهم الثقافة البونية كانوا يعرفون أنواع المنازل ذات الأروقة المعمدة، أي المنازل التي تتوسطها حديقة مركزية تحيط بها الغرف، وشاع هذا النمط من البناء منذ القرن الرابع ق.م.[2]

ب) تصميم المنزل الأرستقراطي: عمم ذلك التصميم على مختلف المباني الخاصة في العصر الروماني، والمنزل باختلاف نماذجه وتنوع مواد بنائه ويقدم صورة تعكس الاستقرار والثبات للحكم السائد، حيث أنه عندما يصمم، كان يراعي الظروف المناخية والمتطلبات الاجتماعية لساكنيه.

وكانت المنازل تقع على جانبي الطريق ويتقدمها رواق توجد به أعمدة، والمدخل يكون غاية في الإتقان ويتصل ببهو قبل الوصول إلى الفناء الذي كان يزود الغرف بالضوء والهواء.

أما المنزل الأفريقي، فإنه كان يعكس طبقة سكانه، ذلك أن الزخارف الفسيفسائية وجدران الرخام والأحواض والنافورات وحنفيات المياه، كانت تدل على أن المنازل لأفراد من الطبقة الغنية، وكمثال على ذلك دار الفارس بلوتيوس فوستوس المكنى بسيرتيوس في

---

[1] مدينة تقع أقصى الوطن القبلي بين مدينتين وهما قليبية والهوارية، وقد احتوت على آثار هائلة تثبت أنها مدينة كاملة بأسوارها وأبراجها وبواباتها وأحيائها السكينة ومعابدها وشوارعها ورحابها وقبورها. فهي كنز من المعطيات حول العمارة والتهيئة العمرانية فضلاً عن مواد البناء وتقنيات استعمالها، لمزيد من المعلومات ينظر: الطاهر ذراع، المرجع السابق، ص. ص (103، 233).

[2] منير بوشناقي، المدن القديمة في الجزائر، ط1، منشورات وزارة الإعلام والثقافة ،الجزائر، 1978، ص 89.

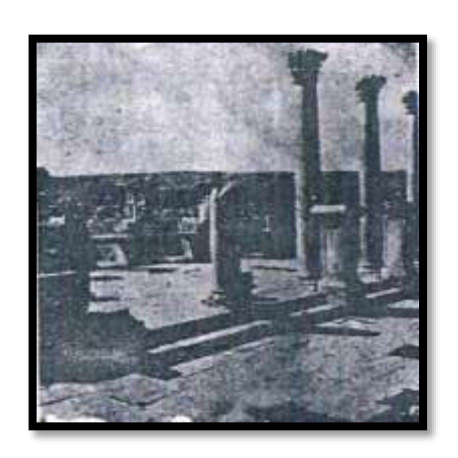
تاموقادي التي بناها على حسابه الخاص غرب المدينة وتقدر مساحتها حوالي 2500م^2، وكانت تغطي حيز منازل صغيرة عديدة (إنسولاي) وواجهتها تطل على الطريق الرئيس الشمالي الجنوبي (الكاردوماكسيموس).[1]

6) الأسواق: أوضحت الاكتشافات الأثرية، الأهمية الكبرى للأسواق التي وجدت في مختلف مدن المغرب القديم في الفترة الرومانية، ودورها في تجارة واقتصاد سكان المنطقة، حيث أوضحت هذه المصادر أن الأسواق (Nundinae) كانت تفتح في المراكز الريفية[2] في مختلف أيام الأسبوع، وفي القرى لعرض السلع التموينية (Macellam) في موقع يتكون من ميدان محاط بأروقة تنفتح عليها دكاكين مختلف التجار، وقد عثر على عدد من هذه المواقع، حيث أقيمت مجموعة من الأكشاك المجهزة بمقاييس وموازين، ومكاييل موحدة، والتي كان يقوم بفحصها المشرفون على شؤون التموين المحليون أو المحتسبون (Aediles).

وكانت الصفقات التجارية والمعاملات الأخرى تعقد في الميدان العام (Forum)، أو في الدكاكين والأسواق المسقوفة بالمدن التي تمتلئ بأصحاب البنوك، والصيارفة، وأصحاب الحانات وتجار الملابس، وتميزت هذه الأسواق في المدنية باحتوائها على أجنحة خاصة بالبيع عن طريق التفصيل، وأجنحة خاصة تمارس البيع بالجملة تقع في فضاء مسقف. (ينظر الشكل رقم 31 ص).

[1] منير بوشناقي ،المرجع السابق، ص 101.

[2] حسب غزال فإن أغلب المدن النوميدية كانت أماكن تقام فيها أسواق مثل ماكوماداس (بالقرب من أم البواقي) التي كانت حسبه سوقا كبيرة ثم تطورت إلى مدينة، وكانت باجة سوقا للحبوب، وعرفت الأرياف التجار المتجولون منذ عهود قديمة، وفي الفترة الرومانية ظهرت الأسواق نصف الشهرية ينظر:- (S) Gsell, H.A.A.N,T. VI, OP. Cit, P.P.(60 -80).



الشكل رقم (31): سوق سيرتيوس.

نقلاً عن: محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 178.

وهذه الأسواق كانت تبدو في شكل ساحات تحيط بها دكاكين صغيرة للتجارة،[1] تقدم للسكان حاجياتهم اليومية، ويبدو سوق سرتيوس بتمقاد عينة نموذجية في هذا المجال ويمثل تحفة معمارية حقيقية، يطل على الديكومانوس الكبير بساحة طولها 25م وعرضها 15م تتوسطها نافورة، وتطل على الساحة محلات السوق وعددها حوالي سبعة في شكل نصف دائرة تعرض سلعها على مصارف عبارة عن صفائح من الغرانيت الأزرق الصقيل قائمة على ركائز حجرية صقلية علوها حوالي 1م.[2]

لقد ظهرت على محاور الطرق مراكز ريفية، كانت تقام فيها أسواق نصف شهرية نونديناي (Nundinae) بترخيص إداري تستقبل الريفيين مثل: سوق كازاي بيقوين (Casae Beguenes) شمال غربي سبيطلة وسوق عين أمشيرة وسوق فوسفوري شرقي سيقوس وسوق بني زياد (Castellum Mastarenses) وسوق تيديس (Castellum Tidditanorum).[3]

---

[1] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 214.

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص. ص (244– 245).

[3] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع ، المرجع السابق، ص 84.

ويبرز دور الأسواق في الحياة اليومية للسكان، أنها كانت مركزا لتوفير المواد الاستهلاكية، ومركزا اجتماعيا وثقافيا، حيث يلتقي فيها مختلف السكان يتبادلون الأذكار ويناقشون مختلف قضاياهم مثلما كان عليه الحال في الأسواق الإغريقية وهنا يظهر تأثر الرومان بالحضارة الإغريقية.

ثانيا: المرافق الترفيهية والدينية: كانت بلاد المغرب تتمتع بمرافق ترفيهية هامة تدل على رقي اجتماعي وحياة حضرية زاخرة بالفنون ومختلف الألعاب التي كان يتبرع بتنظيمها أعيان المدينة بمناسبة اعتلائهم وظائف القضاء البلدي.

1) الحمامات: تعتبر الحمامات من المرافق الهامة والحيوية في المدينة الرومانية، فهي بمثابة مرآة تعكس تطور الحضارة الرومانية من خلال فساحة مساحتها وضخامة هياكلها.

أما عن أصل الحمامات فيعود إلى الحضارة الإغريقية، ثم استلهمه الرومان منهم مع إدخال عناصر جديدة في البناية، جعلت منها خاصية رومانية، حيث تركوا عليها بصماتهم وقدرتهم في الإنجاز، كتوفير وسائل الراحة.[1]

أصل مصطلح (Therme) أي المؤسسات الحمامية شاع استعماله خلال الفترة الهيلنستية والرومانية في نهاية الفترة الإمبراطورية،[2] وقد أشتق من الكلمة اليونانية "ترموس" (Termos)[3] ومن بين الأسماء اللاتينية الأصلية الدالة على لفظ الحمام

---

[1] (A)Commaille , Les aqueducs des bains et des Thermes dans L'antiquité, Paris, P.22.

[2] يحي الشهابي، معجم المصطلحات الأثرية، فرنسي-عربي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، ص 138.

[3] منى يونس نخلة، علم الآثار في الوطن العربي، منشورات جروس يونس، لبنان، ص. ص (165- 166).

(Lavatories-Lavation-Lavatrina) أما التقسيمات المصطلحاتية الأخرى المتعلقة بلفظ الحمام فهي على النحو الآتي:

(BALNEAE-BALNEA-BALNEUM) وأصلها:

(BALNERIA-BALNEOLUM-BALNEALA) [1]

حيث يطلق مصطلح (BALNEA) على الحمامات الخاصة بالمنازل وهي ليست بحمام كامل، أما (BALNEA VIRILIA) فيطلق على الحمام الخاص بالرجال و(BALNEA MULIEBRIA) يطلق على الحمام الخاص بالنساء،[2] في حين يطلق مصطلح (THERMES) على (BALNEA) الأكثر تطوراً وهو بمثابة بناء حمامي يتضمن عدة وظائف متنوعة، ويقسم داخليا إلى حجرات وأحواض.

يبدو أن سكان المغرب القديم اهتموا بهندامهم ونظافة جسمهم قبل الاحتلال الروماني، لكن غياب الكتابات التي تشير إلى وجود مباني أو منشآت مخصصة لذلك الغرض قبل مطلع القرن الثاني للميلاد، حيث يرجع ظهور الحمامات الأولى بالمنطقة حسب المعطيات التي تعود إلى هذه الفترة، نذكر على سبيل المثال الحمامات التي عثر عليها "بتربة" (ACHOLLA) "وسيرتا" (CIRTA) مع حلول منتصف القرن الثاني ميلادي عرفت انتشارا واسعا.

---

1 (P) .Gros, L'Architecture Romaine, desciem édition,2002, P.400.

2 (P).Ripert, Dictionnaire d'archéologie, imprimé en France sur presse, 2002,P.439.

ولعل النقيشة التي نقشت عند مداخل الساحة العمومية لمدينة تيمقاد (THAMUGADI) أحسن دليل على ذلك الاهتمام الواسع الذي أولاه السكان للاستحمام، إذ يقول صاحبها "الصيد– الاستحمام– الضحك، هذه هي الحياة".[1]

وفعلا تدلنا النقوش والبقايا المادية سواء التي عثر عليها صدفة أو التي كشفت عنها التنقيبات الأثرية على مدى انتشار الحمامات بشمال أفريقيا أثناء الاحتلال الروماني بحيث كانت لا تخلو منها مدينة أو قرية في ربوع بلاد المغرب القديم، فكانت المدن –حتى المتواضعة منها– حريصة على أن يكون لها حمام عمومي أو أكثر، وقد تم الكشف في لبدة على حمامات ترجع إلى القرن الثاني ميلادي.[2] ويمكن تصنيف الحمامات في شمال أفريقيا إلى أربعة أنواع هي:

أ) **الحمامات المعدنية:** بنيت بأسفل منابع المياه المعدنية أو بالقرب منها، والتي كانت تدل عليها الأسماء التي أطلقت على المواقع التي وجدت فيها وذلك بإضافة كلمة (aquae) ومعناها المياه أو (Discina) بمعنى المسبح إلى اسم الموقع.[3] (ينظر الشكل رقم 32 ص).

ويمكننا انطلاقا من اسم الموقع إحصاء بعض الحمامات المعدنية التي لم يبق منها سوى الاسم الدال عليها، مثل حمام بوحنيفية (aquae sirenses) ويوكس (aquae

[1] خديجة منصوري، الحمامات ببلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، 2001، ص 69.

[2] (P)Gros , OP-Cit, P.409.

[3] خديجة منصوري، المرجع السابق، ص 70.

(caesaris) وحمام ريغة (aquae calidae) وحمام الدباغ(aquae thibilitanae) وحمام الصالحين (aquae flavainae) بخنشلة.[1]

ب) حمامات الجيش: بنيت في المواقع العسكرية أو بالقرب منها، فبالإضافة أن وجودها كان ضروريا لارتباطها بنظافة الجسم، فإن الجند الأصحاء كانوا يجدون فيها ما يسليهم ويرفه عنهم، ويتمم المرضى فيها العلاج الذي يتلقونه، ومن أمثلة هذا النوع من الحمامات :

حمامات فيلق الساردبين الثاني بسور الجواب[2] (Rapidum)[3]، وحمامات كتيبة أغسطس الثالث بالمعسكر الكبير لمباز (Lambaesis)، وغيرها من الحمامات التي بنيت إبان حكم الإمبراطور سبتيم سيفر (Sepeteme Severe) سنة (193–211م) التي وصلت مساحتها على 2700م^2 تقريبا، بالإضافة إلى تزويده بملحق واسع وهو عبارة عن حمام ذو مخطط تناضري.[4] (ينظر الشكل رقم 33 ص).

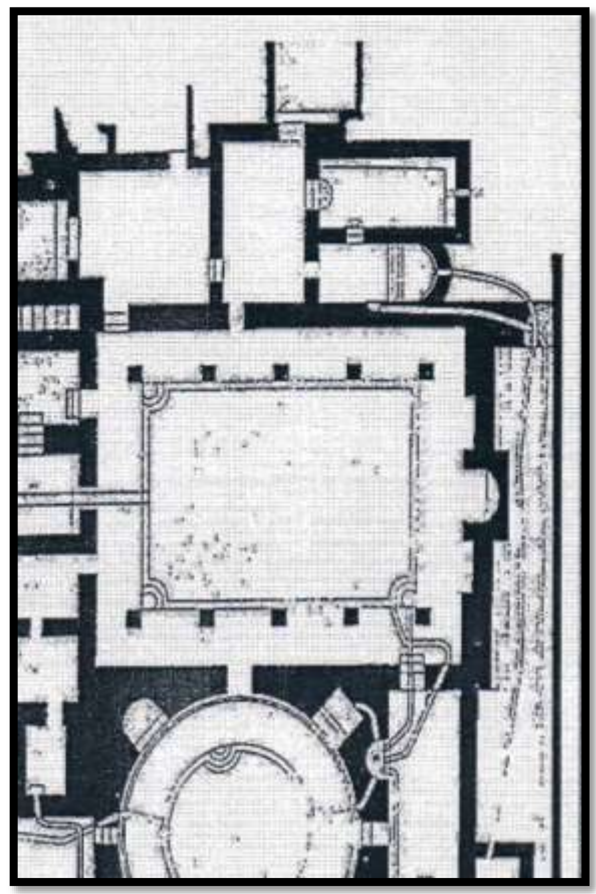
---

1 (S) Gell , Les monuments antiques de L'Algérie, OP-cit, P.P. (283-239).

2 (W)Saton , Le Secteur de la Rapideum sur limes de Mauretanie Cesariame après les fouilles de 1927, dans M.E.F.R, 45, 1928, P.165.

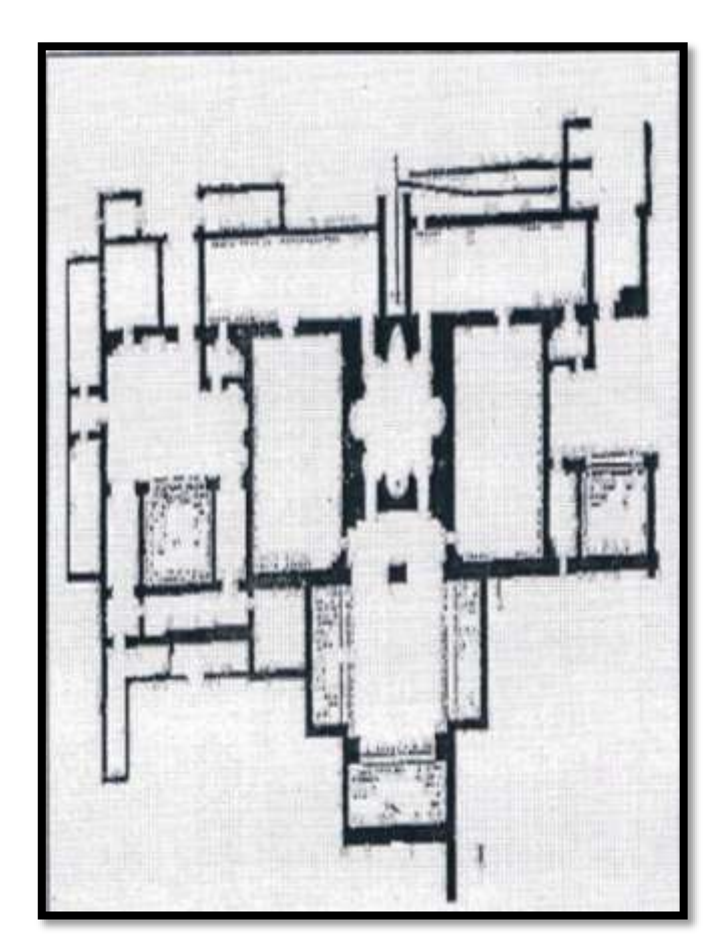
3 بني معسكر سور الجواب (Rapidum) على بعد بعد35 كلم غرب سور الغزلان (Auzia) على طريق الليمس الذي يربطه بسهل الشلف، وكان مركز عسكري للفرقة السردية الثانية. ينظر: عبد القادر صحراوي، التحصينات العسكرية بنوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني 46ق.م – 284م، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2011، ص 46

4 (S) Gsell , Les monuments antiques de L'Algérie, OP, Cit, P.P.(283-239).



الشكل رقم (32):

الحمام المعدني.



الشكل رقم (33):

حمامات الجيش بمعسكر لمبياز

نقلاً عن: (S) Gell , Les monuments antiques de L'Algérie, OP-cit, P.P. (23,215).

ج) **الحمامات العمومية:** كانت توجد في كل مدينة وقرية، وأحيانا وجد بالمدينة الواحدة أكثر من حمام مثلا وجد في تيمقاد (Thamugad) ثلاث حمامات واسعة واحد بالجهة الشمالية للمدينة مساحته حوالي5200م^2، والثاني بالجهة الشرقية مساحته تقدر بحوالي 1600م^2، والثالث بالجهة الجنوبية قدرت مساحته بحوالي 2000م^2، علاوة على وجود 14 حمام صغير تتراوح مساحة كل واحد منها ما بين 400م 500م^2، كما عثر بشرشال

(Caesarea) على بقايا ثلاث حمامات واسعة، وصلت مساحة أكبرهم إلى 8050م² وتقدر مساحة الحمامين الأخيرين بـ 2400م، أضف إلى ذلك ثلاث حمامات صغيرة[1] وإذا ما كانت جل هذه الحمامات مفتوحة طوال السنة، فإن غيرها كانت فصلية بعضها تفتح أبوابها للاستحمام في فصل الصيف وأخرى في فصل الشتاء، وتشير النقوش، إلى وجود حمامات الصيف بمجموعة من المدن نذكر من بينها مادور (Madouros) وتيديس (Tiddis).

د) حمامات الخواص: هي التي تكون بالطابق السفلي في منازل الأثرياء بالمدن ويقتصر فيها الاستحمام على أسرة صاحب المنزل وضيوفه فقط، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا النوع من الحمامات لم يكن في متناول الجميع لأنها مكلفة جدا، وقد لوحظت بقايا عدد كثير من هذه الحمامات نذكر منها تلك التي كانت الموجودة ببعض منازل أثرياء مدينة تيمقاد.[2] وجميلة حيث عثر بهذه الأخيرة على حمامين خاصين أحدهما بمنزل كاستوريوس (Castorius) المعروف بمنزل الحمار نسبة لفسيفساء الحمار التي وجدت بداخله، والآخر بمنزل أوروب (Europe) نسبة إلى الفسيفساء التي تجسد اختطاف أوروبا، وقد عثر في هذين الأخيرين على حمامين أحدهما كبير خاص بأصحاب المنزل والثاني صغير يستحم فيه عبيدهم.[3]

ه) طقوس الاستحمام: إن الذي شجع السكان في التردد على الحمامات، بغض النظر عما توفره ملحقاتها من وسائل الراحة والتسلية هو: السعر الزهيد للاستحمام، الذي كان

---

1 I Bid, P.63.

2 (J) Lassus , Visite à Timgad, Alger, 1963, P.22.

3 (J)Blas de Roblès et (C) sintes , Cités et monuments antiques de L'Algérie, Imprimé en Presse, 2003, P.104.

يعادل آس واحد وهذا ما تؤكده نقيشة منقوشة على فسيفساء وجدت بحمامات خلفون بالقرب من سطيف والتي جاء فيها:" **حمام هني اليوم دفعت آس واحد وغدا سيكون مجانا أتشك في ذلك.**"

وكان للاستحمام طقوسه أيضا فهو يشتمل على مجموعة وسلسلة من العمليات تتوفر عليها قاعات الحمام العديدة لكل واحدة منها وظيفتها، حيث يبدأ المستحم من القاعة الأولى إلى الأخيرة.[1] فيبدأ الشخص بنزع ثيابه وتركها تحت الحراسة، وبعد ذلك يتوجه إلى قاعدة الحمام الدافئ (Tepiderium) ويبقى فيها لمدة زمنية حتى يتأقلم مع الحرارة ثم ينتقل إلى حمام البخار (Laconicum) وبعده إلى الحمام الساخن (Caldarium)، حيث يتخلص من عرقه ويرش الماء الساخن على جسمه ويفركه بواسطة كاشط (Strigile) هذه العملية كانت تحتاج إلى مساعدة إذ يستحيل أن يقوم بها الشخص لوحده، وبعدها ينتقل إلى قاعة الحمام البارد (Frigidarium) وفي الأخير قاعة التدليك (Elaeothesium)، والتي يتم فيها دلك الجسم بزيت الزيتون وبعض الدهون وذلك بغرض صحي وجمالي معا.

بعد الاغتسال والتدليك يتوجه المستحم حسب هوايته إلى متابعة النشاط الترفيهي الذي يميل إليه كالمطالعة، أو الاستماع إلى أحد الخطباء أو حضور نقاش في السياسة، أو الفلسفة وهي الأنشطة التي تخصص لها قاعات تتوفر على الترفيه والتسلية والاستراحة.[2]

2) المدرجات:(Amphitheatrum) هذا الاسم مشتق من الكلمة اليونانية (Amphi) بمعنى حول (Jueatron) أي المسرح، وهو عبارة عن مبنى ضخم. في شكل مستدير أو

[1] زكي عزت قادوس حامد، مدخل إلى علم الآثار اليونانية والرومانية، مطبعة الحضري، الإسكندرية، 2005، ص. ص (191-192)

[2] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، المرجع السابق، ص 267.

اهليليجي، وفي الوسط يكون الميدان (Arena)، وهو معد للمصارعة والملاكمة، والعراك بين المصارعين أو مع الحيوانات الضارية، ويحيط بالميدان جدار قصير يفصل بينه وبين مقاعد المتفرجين، ويعرف بالحاجز (Le podium).[1]

وفي القرن الثالث الميلادي، كانت مدن المغرب القديم، قد تجهزت بعمارة الألعاب التي تعتبر من بين مميزات الثقافة الرومانية، وذلك في محاولة من روما لتثبيت دعائم النظام البلدي.[2]

والجدير بالملاحظة أن المدن المتقاربة من بعضها كانت توزع المرافق الترفيهية فيما بينها من أجل التقليل من الأعباء المادية، حيث تنجز مدينة مسرحاً وأخرى مدرجاً. وكانت الجماهير تتنقل ما بين هذه المدن لمتابعة العروض المختلفة،[3] وأهم مدرج أفريقي لا تزال آثاره تدل على الفخامة والأبهة هو مدرج ثيسدرة من أفخم المدرجات في أفريقيا شيد في عهد الإمبراطور الأفريقي قورديان في مدينة صغيرة، ولكنها ثرية بفضل إنتاجها الغزير من الزيت، تدل سعته على أنه أقيم ليتباهى به أبناء المدينة، وتنظيم مهرجانات وألعاب يفد إليها سكان المقاطعة الأفريقية.[4] (ينظر الشكل رقم 34 ص).

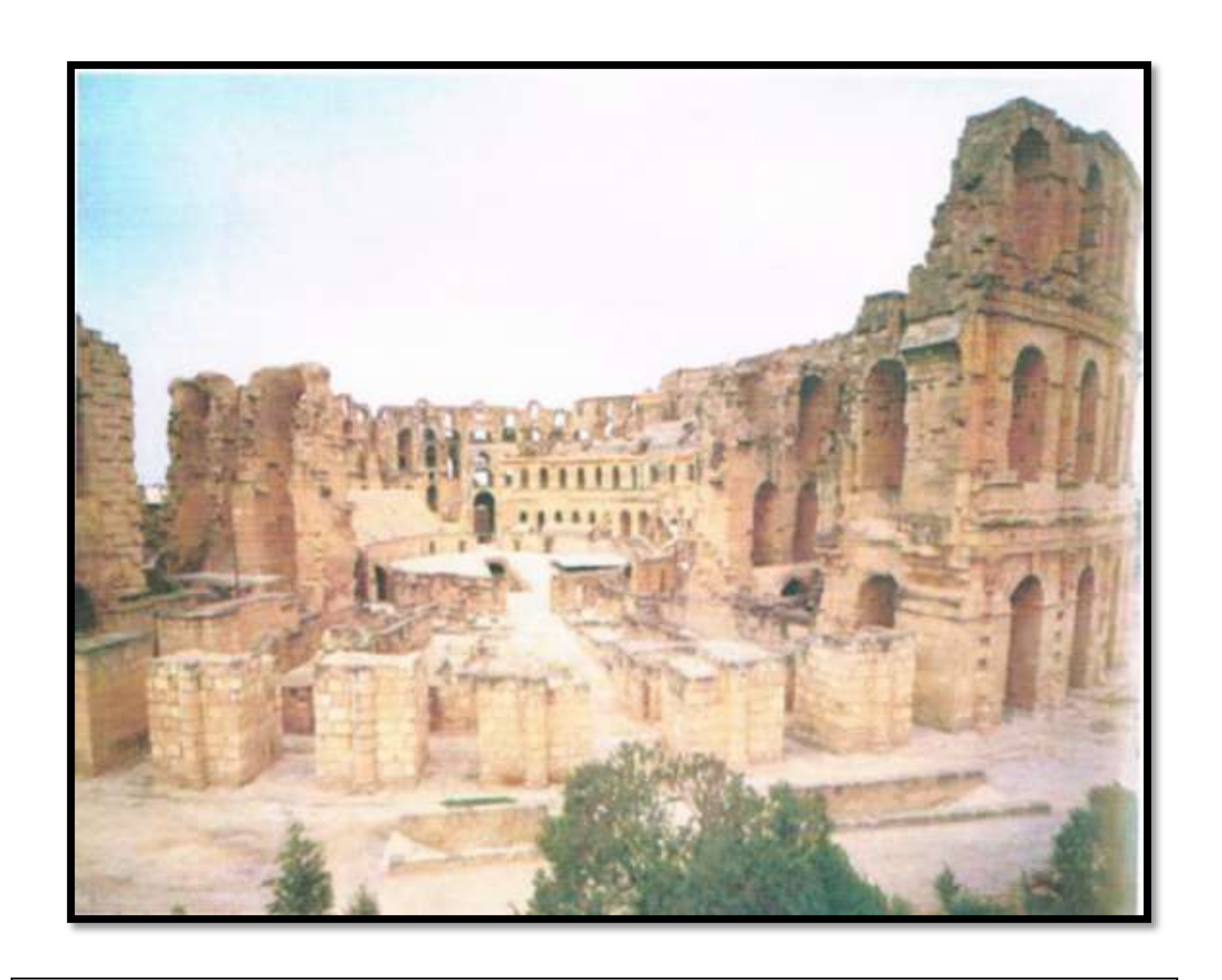
---

[1] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 216.

[2] رضا بن علال، الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، اشراف سعيد دلوم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، السنة الجامعية 2010-2011، ص 217.

[3] (Ph)Leveau, Caesarea de Mauritanie, une Ville romaine et ses campagnes, Collection de L'école Française de Rome, 1984, P.250.

[4] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، 262.



الشكل رقم (34): مشهد جانبي لميدان المصارعة بالجنب (مدينة ثيسدرة الحديثة).
نقلاً عن: رضا بن علال، المرجع السابق، ص223.

أما مدرج قرطاجة فقد تم تشييده غربي بيرصة، كان يضم خمسين طابقا، بنيت فوقها خمس طبقات من الأقواس بعضها فوق بعض، وفي أعلى كل نافذة أو قوس عقد مستدير مزين برسوم تمثل أشخاصاً أو حيوانات، أو سفن منقوشة بإتقان.[1]

[1] (A) Mahdjoubi, les cités romaines de Tunisie, Tunis : S.T.D, S.D, P.75.

وقد استخدم مدرج مدينة قرطاجة في عمليات إعدام النصارى (المسيحيين والمسيحيات) بالقائهم إلى الحيوانات المفترسة سنة 203م في عهد الامبراطور اكسندر ساغاروس.[1]

والحقيقة فقد تميزت مدرجات قرطاجة والجم ولبدة بحسن الانجاز والتشييد، حيث تمكن المعماريون الأفارقة من التحكم في بناء عمارة الألعاب الضخمة، التي لم يكن يضاهيها سوى مدرج الكوليزيوم في روما وذلك اعتباراً من سنة 49 ق.م والحق فقد تم اكتشاف ما يزيد عن خمسين مدرجاً في المغرب القديم، أغلبها يوجد في مقاطعة البروقنصلية التي تجاوز عددها الثلاثين، حيث تم التعرف على ستة وعشرون مدرج كانت تنتشر في تونس الحالية لوحدها، بينما توزعت بقية مدرجات البروقنصلية على أراضي شرق الجزائر (تبسة) وإقليم المدن الثلاثة في ليبيا. إلا أن ذلك يبقى نسبيا فالاكتشافات الأثرية غالباً ما تمدنا بمعلومات عن منشآت كانت مدفونة تحت الأرض، ومع هذا فقد كان لاستقرار الرومان في المنطقة واستيطانهم لأراضي الدولة القرطاجية المنهارة سنة 146ق.م، دوره في نشر ممارسة المصارعة بين أهالي ما يعرف اليوم بتونس.[2]

3) المسرح: اهتم الرومانيون كثيراً بوسائل اللهو والتسلية فكانوا يشيدون لهذا الغرض منشآت ضخمة، ولعل أهمها المسرح (Theatrum)،[3] وهو عبارة عن بناية دائرية الشكل

---

[1] Robert (L), Une vision de Perpétue martyre à Carthage en 203, CRAT, 1982, P.P.(228,276).

[2] رضا بن علال، المرجع السابق، ص،ص 226، 227.

[3] لم يتطور المسرح الروماني إلا في القرن الثالث ق.م وقد ارتبط هنا المسرح بالحفلات الدينية حيث يذكر تيتوس ليفيوس أن الألعاب المسرحية أقيمت لأول مرة سنة 364 ق،م وكان الغرض منها إبعاد وباء الطاعون الذي أهلك الكثير من سكان روما.

ينظر: Tite Live, Histoire romaine,traduit par E. Lassère, Paris, Librairie Garnier frères (1950), VII, 2,1.3.

يحتل قطرها ما نسميه عادة خشبة المسرح (La scène)، ولكنها في تلك الفترة كانت مبنية بالحجارة، وتحتل المصاطب (les Cavea) نصف الدائرة، وكان المسرح يستعمل لتمثيل الروايات من نوع المآسي (Tragédies)، والروايات الهزلية (Comédies)،[1] وتقديم أرقى الأعمال الأدبية تمثيلا وغناء، ومنصة للتعبير الحر وتثقيف الشعب الروماني.[2]

ليست لدينا معلومات أكيدة بخصوص اهتمام النوميد والمور بالمسرح في الفترة التي سبقت احتلال الرومان للمغرب القديم، كما أننا نفتقد إلى الدليل الأثري الذي يؤكد هذه المعطيات، غير أن اهتمام الملوك النوميد بتحصيل الثقافة الإغريقية في كل من نوميديا وموريتانيا، وكتابة العاهل يوبا الثاني مؤلف من سبعة عشر كتابا يتناول فيه تاريخ فن المسرح،[3] واستقدام هذا الملك لأحد المعتوقين الإغريق يدعي أنتيوس أمفيو (P.Antius amphio) بغرض بناء مسرح مدينة قيصرية. هذا يدفعنا إلى الاعتقاد بمعرفة أهالي المغرب القديم للمسرح قبل منتصف القرن الأول ق.م، وما اتضح من خلال احتكاكهم باليونانيين في الفترة التي سبقت استقرار الرومان في شمال أفريقيا واستيطانهم لأراضيها.

ويبدو أن عمارة المسارح كانت قد عرفت أوج ازدهارها خلال العهد الإمبراطوري وقد تمكن الأثريون من التعرف على خمسين مسرحاً تقريبا موزعة على مقاطعات

---

[1] شافية شارن، بلقاسم رحماني، محمد الحبيب بشاري، المرجع السابق، ص 214.

[2] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 262.

[3] (J) Blas de Roblès et (C) Sintes ,OP.Cit, P.P.(33,34).

المغرب القديم، حيث انتشرت المسارح في موريتانيا القيصرية بدليل تلك الموجودة بشرشال وتيبازة وآثارها الباقية حتى الآن شاهدة على ذلك.[1]

على الرغم من احتفاظ المصادر الأدبية بوصف شكل مسارح دلس، روسيكاد، وتبسة، إلا أن آثارها اختفت، في الوقت الذي يعود فيه تاريخ تشييد مسرح هيبوريجيوس (عنابة حاليا) إلى القرن الأول الميلادي، فإن تاريخ تشييد مسارح تيمقاد وكويكول يعود للقرن الثاني الميلادي، أي أثناء حكم الإمبراطور هدريانوس و أنطونينوس.[2]

والملاحظ أن مسرح مدينة قرطاجة قد حقق مجدها خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين، في الفترة التي كانت فيها ألعاب المسرح مزدهرة، ويعود تاريخ إنشاء هذا المبنى إلى عهد الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس.

وقد ذكر البكري في وصفه لقرطاجة أن أعجب ما بها " **دار الملعب وهم يسمونها الطياطر قد بنيت أقواس على سواري وعليها مثلما أحاط بالدار وقد صور في حيطانها جميع الحيوان وصور أصحاب جميع الصناعات وجعلت فيها صور الرياح فجعل صورة الصبا وجهه مستبشر وصور الدبور وجهه عابس**".[3]

ومن خلال هذا النص يشيد البكري في القرن الحادي عشر ميلادي بهذا البناء، فقام بوصفه ونقل مشاهد من الحياة اليومية في قرطاجة من خلال الصور التي زينت جدرانه تمثل أشخاصا يمارسون المهن وحيوانات كثيرة ومتنوعة.

---

[1] رضا بن علال، المرجع السابق، ص 256.

[2] المرجع نفسه، ص 258.

[3] أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك) دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د ت، ص 43.

وقام سكان صبراتة ببناء مسرح المدينة مع نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للميلاد.

ويعتبر مسرح لبدة أكبر ما بني من هذه العمارة في المغرب القديم، من قبل أحد أعيان المدينة يدعي حنبعل تابيوس روفوس (Annobal Tapapius Rufus) في السنة الأولى أو الثانية للميلاد.[1]

يؤكد كل من الباحثين("Gilbert Charles picard) و("Monica Baollom) أن نموذج المسرح الروماني قد عمم على كل النماذج التي وجدت بشمال أفريقيا ككل[2].

إلا أن ذلك غير ثابت، فمسرح مدينة قيصرية مبني بطريقة توحي إلى التأثر بتقنيات البناء اليونانية، حيث أسند إلى تل من أجل الاقتصاد في مصاريف البناء.[3]

ويبدو أن أهالي تيبازة خالفوا التقنيات الهندسية اليونانية في تشييد المسارح، وحذوا حذو سكان مداوروش وصبراتة من حيث اعتمادهم على البناء في الأراضي السهلية، واستخدام القباب والأعمدة.[4] (ينظر الشكل الرقم 35 ص).

تذكر النصوص الأثرية الأفريقية تنظيم ألعاب مسرحية في مناسبات عديدة أهمها مناسبة إهداء النصب والتماثيل والمعابد والهياكل المقامة إجلالا للآلهة وأخرى احتفاء بالشخصيات النافذة مدينة ودينية.

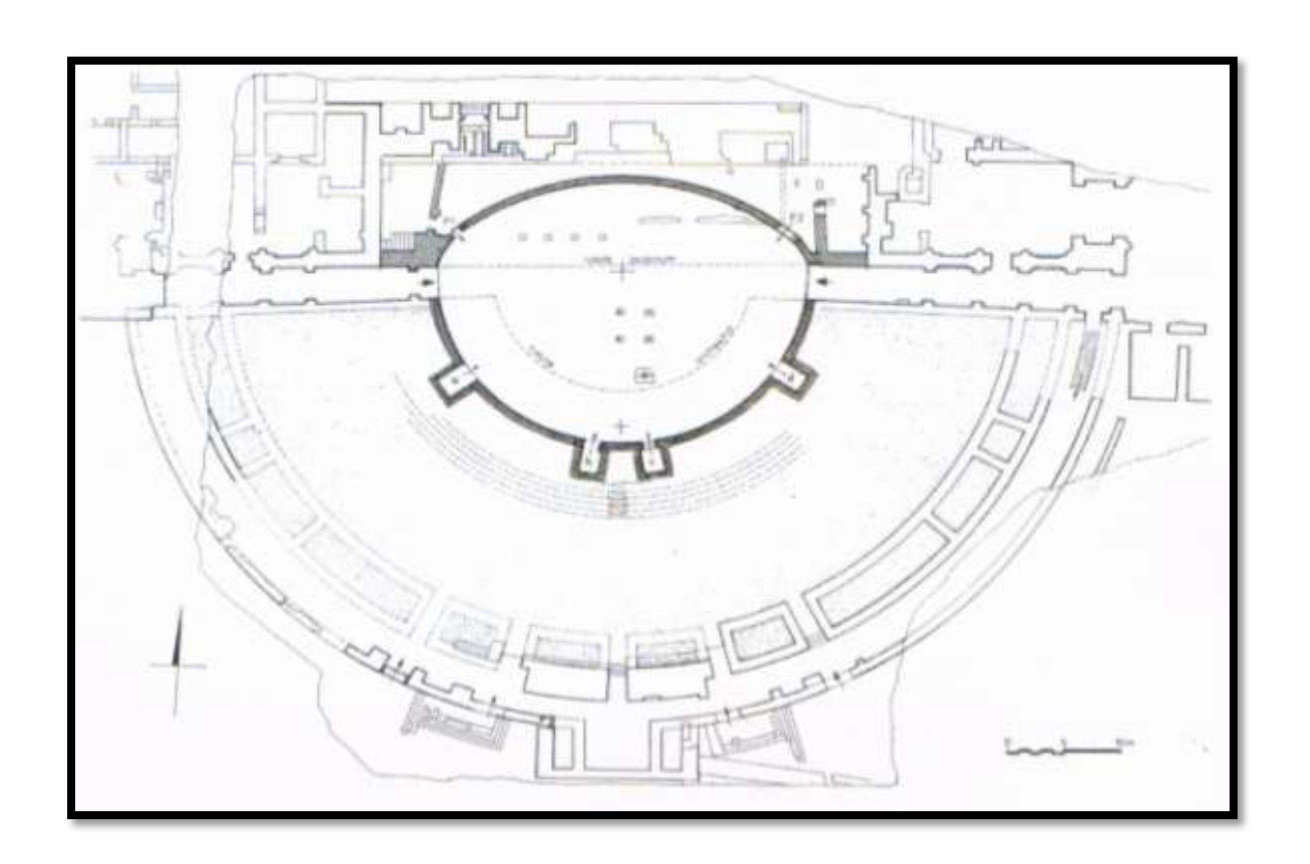
---

[1] رضا بن علال، المرجع السابق، ص 263.

[2] أنوال طامر، حفريات المسرح الجزائري المسرح النوميدي في العهد الروماني، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007، ص 75.

[3] (P) Leveau , OP-Cit,P.33.

[4] (S) Gsell , Les monuments antiques de L'Algérie, OP- cit, P.P.(17-18).



الشكل رقم (35): مخطط مسرح مدينة شرشال (يول).
نقلاً عن: رضا بن علال، المرجع السابق، ص 223.

كان التقليد الروماني ينص على أن تنظم الألعاب المسرحية – في حال برمجتها لتكون جزءا من الاحتفال الرسمي بأحد الآلهة– من قبل إيديلين في الخدمة بعد موافقة الأوردو البلدي الذي يمكن أن يقدم دعماً مالياً مع أن أغلب الألعاب المنظمة تكون بموجب وفاء بنذر أو وعد بهبة من قبل مرشح نجح في اعتلاء أحد مناصب القضاء البلدي.[1]

[1] محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص. ص (262- 263).

يوم الإعلان عن تنظيم ألعاب وتمثيليات مسرحية يتوافد الناس على المسرح ويبدأ الحضور في أخذ أماكنهم، وتمتلء السلالم التي تتوسط المدرجات، كل يبحث عن مكان مناسب له وفي يده تذكرة المسرح (Tessera Theatralis) وهي عبارة عن قرص صغير نُقش فيه رقم مكان، وصف الجلوس (Cuneus) يعاينه عون مكلَّف (Dissignator) يرشد كلَّ من يصل إلى موقع مكانه واحترام تطابق رقم التذكرة مع رقم المكان والصفّ وهي أرقام مسجّلة في المدرجات.

تخصص المدرجات العليا لجلوس النساء وهن يرتدين لباسا محتشماً (Calyptra) يغطي أعلى الجسم (الصدر والظهر) وفستانا فضفاضاً (Palla) بأكمام تجعل اليد حرّة الحركة وإذا كان الفصل حارا تستعمل المراوح (Flabella) من ورق اللوتس (Lotus) أو من ريش الحمام ويصطف الرجال في المدرجات السفلى وأغلبهم يرتدي التوجة (Toge) يكون شكلها حسب مقام صاحبها ومركزه الاجتماعي.[1]

يقام لأعضاء الديكوريون مجلس، ما بين الخشبة (Scène) والأوركسترا (Orchestra) يتقدمهم أعضاء الهيئة التنفيذية (أعضاء الحكم الثلاثي (III Virs) والإيديلان (2édiles) الكستور والكهنة وسامي الشخصيات المدنية) ويتوسط الجميع في هذا المجلس منّظم الألعاب الذي يخصص له كرسي عاجي فخم، وإلى جانبه توضع الرخامية التي ستُنَصب في الفوروم في ما بعد وقد نقش فيها بعناية النص المخلد لمساره المهني المشرّف(Cursus honorum).[2]

---

[1] محمد العربي عقون، المرجع السابق، ص 263.

[2] المرجع نفسه، ص 265.

بعد الصخب وامتزاج الأصوات يسود فجأة صمت مطبقٌ يبدأ بإزاحة الستار ويدخل المشخِّصون من أبواب ثلاثة حسب أهمية دور كل واحد منهم وتظهر لوحة رخامية (Album) مقابل الجمهور على الجهة اليمني للبروسكينوم[1] (Proscenium) تحمل عنوان المسرحية بحروف كبيرة، ولْتَكُن إحدى المسرحيات الكوميدية الشهيرة لبلوتس[2] (Plaute) هي التي ستمثل.

يبدأ العرض بدخول فتاة حسناء من الباب الأوسط، وهي بطلة المسرحية ترتدي فستانا (Palla) أنيقا، وهي تبكي لأن عجوزاً آثما أسرها وترثي مصيرها البائس الذي ينتظرها بعبارات فيها حزن مؤلم وبراءة، ثم يظهر مختطفها وهو عجوز يرتدي لباسا رثا غاية في القذارة وعلى وجهه قناع غاية في البشاعة يثير اشمئزاز المتفرّجين، وتنطلق مشاهدة وتفاصيل المسرحية بفصولها الدرامية والكوميدية تتخلّلها مغامرات وفضائح يؤدّيها القواد الوقح المخادع، وكيف أن الطبيعة انتقمت منه وهو في طريقه إلى صقلية لبيع أسيرته، حيث تحاصره عاصفة هوجاء تحطّم سفينته، فتتمكن الفتاة من الإفلات منه

---

[1] المعني الحرفي المقابل للاصطلاح اللاتيني هو: سطح أو شرفة. ينظر: محمد العربي عقون، الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 218.

[2] هو ماكوس أو ماكيوس بلاوتوس (Maccus ou Maccius Plautus) شاعر هزلي لاتيني لا يعرف عن حياته الكثير، سوى أنه كان منظم ألعاب أو متعهد حفلات، كرس حياته لتألف المسرحيات التي ظل يتهافت عليها منظمو الألعاب المسرحية في عموم الدولة الرومانية، وصلتنا منه 21 مسرحية مع أنه تنسب له 130، وأهم هذه المسرحيات: أمفيتريو، الحمير، جرة الذهب، الأختان التوأم باكخيس، الأسرى، كاسينا الخادمة، علبة المجوهرات، كوركوليو، إبيديكوس، الإخوان التوأم ميناخموس، التاجر، بيت الأشباح، الفارس، القرطاجي الصغير، بسيدولوس، الحبل، ستيخوس، ثلاث قطع من العملة، الفظّ تروكولينتوس، السلة أو الحقيبة. ينظر: محمد العربي عقون، الاتحاد السيرتي، المرجع السابق، ص 218.

وتلتقي بشيخ يحنو عليها، ويتبين أنه أبوها فيسود الرضا والفرح ويصفق الجمهور بحرارة.[1]

وقد وصفت العديد من المصادر الأدبية اللاتينية المسرحيات في تاريخ المغرب القديم، نذكر منها ما جاء على لسان لوكيوس أبوليوس الذي يشير إلى إحدى المسرحيات قائلا.

<<كان هناك فتيان وفتيات جميلات في رونق الشباب النضر، يرتدون ثيابا بديعة أخذوا يرقصون رقصة يونانية بخطوات رشيقة، ويقمن بأداء دوامة من الشكيلات الراقصة الرائعة فيشكلون مرة عجلة مستديرة، ومرة أخرى سلسلة منحنية، ثم يبتعدون بعضهم عن بعض ويشكلون مربعاً مفتوحاً، لينقسموا بعدئذ إلى مجموعات صغيرة، وما أن يعلن صوت النفير نهاية العرض، الذي تمثل في الغدو والرواح، والارتفاع والانخفاض والدوران في حلقة مستديرة، حتى أسدل الستار، وسحبت الأقمشة المزينة، وثم إعداد المنصة>>.[2]

يبدو أن الألعاب المسرحية في بلاد المغرب القديم شملت فنون متنوعة فبالإضافة إلى التمثيل كان يتم تنظيم رقصات منسجمة متناسقة تدل على براعة الفنان المغربي وإبداعه في الفن المسرحي.

4) المكتبات: تم العثور لأول مرة في تيمقاد على آثار تلك المكتبات العمومية التي طالما ورد ذكرها في النقوش اللاتينية، ويعود تأسيسها إلى كرم مواطن ثري[3] اسمه

---

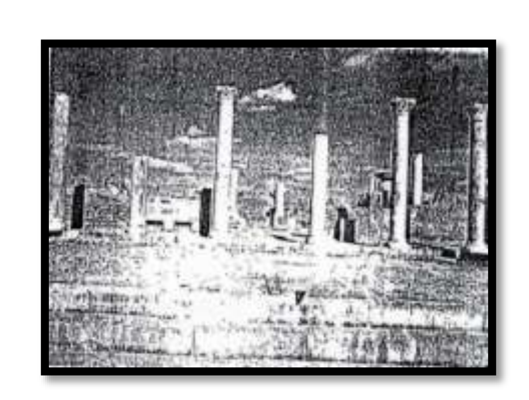
[1] هذه مقاطع من مسرحية الحبل (le câble) للمسرحي الكبير بلاوتوس، جرت أحداثها في الساحل الصخري بقورينة بالقرب من معبد فينوس. ينظر: المرجع نفسه، ص 265.

[2] لوكيوس أبوليوس، المصدر السابق، ص 276.

[3] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 245.

ماركوس يوليوس كونيتيانوس فلافيوس روغاتيانوس، الشخصية البارزة التي كان لها رتبة سيناتور لفائدة صندوق جالية تاموقادي وطنه، تم بناء المكتبة بمبلغ 400.000 سيسترس، وتقع هذه المكتبة في الجهة اليسرى عند صعود الطريق الرئيس الشمالي الجنوبي ويقترح الباحثون أن تاريخ إنشاء هذه المكتبة يعود للقرن الرابع الميلادي، وهذا في موقع بيت عثر على بعض من فسيفسائه، ويتم الدخول إلى البناية بواسطة درجات سلم صغير للوصول إلى فناء يحيط به رواق مقبب من ثلاث جهات، ثم يدخل القاعة الكبرى للمكتبة، وهي على شكل نصف دائرة.[1] (ينظر الشكل رقم 36 ص).

5) المعابد: وجد بكل مدينة تقريبا معبد يأخذ شكل قاعد مستطيلة غالبا، متجهة من الشرق إلى الغرب، ومقامة على مصطبة، وقد كانت هذه المعابد مخصصة تكريما للثالوث الإلهي: جوبيتر وجونون ومينرفا، لذا كان يخصص لكل إله غرفة.[2] (ينظر الشكل رقم37 ص).



الشكل رقم (36): مكتبة تيمقاد.
نقلاً عن: منير بوشناقي، المرجع السابق، ص 91.



الشكل رقم (37): أثار المعابد الثلاثة الكابيتولية في سبيطلة بإفريقيا.
نقلاً عن: محمد علي دبوز، المرجع السابق، ص 386.

[1] منير بوشناقي، المرجع السابق، ص 97.
[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 241.

إذا أرادت كل مدينة أن يكون لها فوروم على غرار الموجودة في روما، فإنها تتمسك أيضا بتشييد معبد يقام تخليدا للآلهة الثلاثة، وهذا ما يدل على وفائها وإخلاصها للإمبراطورية، ومن أجمل المعابد التي لا تزال معالمها صامدة، معابد تيمقاد وتبسة ولامبيز التي تستحق عناية خاصة للحفاظ على هذا التراث الثقافي في بلاد المغرب القديم أثناء الوجود الروماني.[1]

كان الكابيتول في تيمقاد يحتوي على ستة أعمدة أمامية وصفين من الأعمدة على الجانبين، وعلى قاعدة كبرى أبعادها 17م x 20.11م، تنتهي بثلاث غرف تشتمل على مجموعة من التماثيل.[2]

وكانت الغرفة الوسطى هي المخصصة للإله جوبيتر، حيث سمحت الأجزاء التي عثر عليها بتقدير تمثاله بحوالي سبعة أمتار من الارتفاع.[3]

أما في تبسة فكان المعبد المخصص للإله مينرفا، بناء صغيرا في زاوية ضيقة بعيدة عن أنظار الناس، ويعود تاريخ بنائه للأسرة السفيرية، وهو عبارة عن غرفة مربعة الشكل تقريبا يتم الصعود إليها بواسطة درج يأخذ شكلا هرميا، وتوجد به أربعة أعمدة كورنثية مقابلة بتيجانها الأفقية البديعة في شموخ وتكامل، ويزخر المعبد من الداخل باللوحات الفسيفسائية والأواني الفخارية ورؤوس التماثيل، وحول المعبد حاليا إلى متحف.[4]

---

[1] منير بوشناقي، المرجع السابق، ص. ص (71- 72).

[2] شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص 241.

[3] منير بوشناقي، المرجع السابق، ص 72.

[4] مها العيساوي، مدينة تبسة في العصور القديمة، مجلة التراث، العدد 9، 1997، ص. ص (40-41).

إن ثراء مدن بلاد المغرب بهذه المرافق دليل على أن الحضر قد بلغوا درجة عالية من الرفاهية في هذا المجال حيث كانت ترعاها الهيئات البلدية على امتداد قرون، وقد استطاعت هذه الهيئات أن تجعل من تلك المدن تحفاً فنية جميلة بمسارحها وساحتها وباقي مرافقها، ومراكز اقتصادية مزدهرة بأسواقها.

وقد فسح توالي الأجيال المجال لتلاقح الحضارات والأفكار في هذه المدن، وأن الحضر من أهلها قد اندمجوا بنسبة واضحة في الحضارة الرومانية، التي أصبحت واقعاً معاشاً وتأثروا بها وأثروا فيها بما كان لهم من حضارتهم المغاربية، فلا يمكن لأي مدينة أن تعيش منعزلة على نفسها، وقد تم إثبات الاتصالات الحضارية بين سكان المغرب القدامى وغيرهم من شعوب البحر المتوسط قبل الفترة الرومانية.

كما تم إثبات وجود عدد من المدن تدل بقاياها على أن أصحابها كانوا يقومون بنشاطات حيوية، وتعتبر المقابر والأضرحة شاهدا ودليلا على حضارة هذا الشعب، وعلى معتقداته، فالنمط العمراني المغاربي كان موجودا من قبل وتأثر بالفينيقيين، وعلى أساسه قام العمران القرطاجي والروماني.

أما العمارة الرومانية في حد ذاتها كانت استمرارا ومواصلة ولم تكن منفصلة عما سبقتها من الحضارات ومنها العمارة الأتروسكية واليونانية والمصرية والأشورية، ثم أضافت عليها بعض التعديلات والتغييرات التي كانت تتماشى مع متطلباتها، فكانت عمارتها معبرة عن تلك الشخصية العسكرية الميالة إلى الحروب، وهذا ما جعلها تتسم بالعظمة وكبر الحجم، وكل هذه المظاهر العمرانية أسقطتها على مستعمراتها، فكانت بمثابة نماذج ثانية لما هو موجود في روما، والدليل على ذلك أننا نجد في بلاد المغرب نفس النماذج العمرانية الرومانية، منها ما هو خاص بالحياة العامة، ومنها ما هو ديني

وترفيهي، ولا يمكن أن ننكر ما كان لهذه المباني من دور في نشر بعض مظاهر الثقافة الرومانية داخل المدن حيث كان يتمركز النفوذ الروماني.

المبحث الثاني: دراسة تاريخية وأثرية للمدينة المغاربية (مادور أنموذجاً)

تزخر الجزائر بمدن أثرية هامة، منها المحتوية على كامل المرافق المكونة لها كمدينة كويكول وتيمقاد، ومنها التي تحتوي على مرافق أخرى لا توجد في غيرها، مثل: مادور التي تتميز بالمعاصر الزيتية والمدارس العليا، وهي ميزة تجعل مادور فريدة من نوعها، مقارنة بالمدن الأثرية الأخرى في الجزائر، دون أن ننسى أن مدينة ما دور ما تزال موضوعاً بكراً للبحث الأثري.

لذلك استقطبتني هذه المدينة ورغبت في دراستها وإن كان مستواي لا يرقى إلى البحث المعمق، المتطلب لقواعد التنقيب والتحليل والتمكن من علم الآثار، وإنما الأمر يتعلق بوضع بداية للعمل الجامعي المتصف بالتدريب العلمي، فمن هذا المنطلق ارتأيت دراسة تاريخ المدينة وتعريف معالمها.

1) الموقع الجغرافي: مدينة مادور القديمة، التي كتم أمرها الجغرافيون القدماء، تم التعرف عليها من خلال كتابات أبوليوس (Apulée)، ومذكرة نوميديا (Notice de la Numide) لأسقف مادور المدعو (Pudentus)، إضافة إلى تقارب الاسم القديم مادوروس (Madauros) والاسم الحديث مداوروش (M’Daourouch)، قربها من طاجاست (Thagaste) والتي حدد موقعها اليوم، هذا ما جعل عدة علماء يفترضون أن

آثار مادور لا يجب خلطها مع آثار آدمدرا (Ad Medra) الواقعة على خمسة وعشرون ميل جنوبا باتجاه تبسة.[1]

وفي سنة 1896 حدد موقع مدينة مادوروس، وذلك من خلال النقوش التي وجدت في أسوار الحصن البيزنطي،[2] حيث كانت تقع في جنوب المنطقة الجبلية المروية بنهر مجرد وروافده[3] على بعد ثمانية كلم شرق محطة مونتسكيو – أو مداوروش حاليا–[4]، وبحوالي خمسة وثلاثون كلم عن الجهة الشرقية لسدراته[5]، كما تبعد عن تيفاش بحوالي واحد وعشرون كلم[6] وعلى بعد أربعة وعشرون كلم عن سوق أهراس، وبحوالي خمسة كلم جنوب شرق محطة الدريعة (خط سوق أهراس–تبسة)[7] تحتل معالمها الأثرية ثلاثين هكتار،[8] وتمثل الحد الفاصل بين إقليم النوميد والجيتول، بدليل قول أبوليوس المادوري

---

1 Marchant(J), Inscription de M'Daourouch, In recueil de Constantine, 2éme Vol, 1866, P.154.

2 Robert (A), Madaure, In R.C, Vol 33, 1899.P.256.

3 Chabassiere (M), Recherches à Thuburicum Numidarum, Madauri et Tipasa, In R.C, 10 Vo Alger-Paris, 1866.P.113

4 Ballu (A), M'Daourouch, IN Journal Officiel de la république Française, de 1896, à 1916.P.257.

5 Robert, OP-cit, P.256.

6 Chabassiere, OP-Cit,P.113.

7 Gell, M'Daourouch, OP-Cit,P.5.

8 Berthier (A), L'Algérie et son passé, éditions A et S, Picard, Paris, 1951, P.72.

(Apullée de Madaure) أنه نصف نوميدي ونصف جيتولي (Seminumudaun et semigaetulum).[1]

كانت بلاده، كما كان يذكر: في أقصى نوميديا وبلاد الجيتول (Getulie)، أي بين منطقة المزارعين والرعاة، حيث كانت الحدود المنسوبة تحت الإمبراطورية لشعب الجيتول من سلالة الموزولامي (Musulamii) تقترب من مادور.

كانت المدينة القديمة تحتل أرضا منعرجة، تنخفض ببطئ نحو الشمال الغربي وهي عبارة عن سهول شاسعة صالحة للزراعة،[2] يوجد بها عدة منابع مائية مثل: عين مداوروش التي تقع أسفل تل ضيق في شمال المدينة، ربما كان يزود الحمامات الشمالية، أما المنبع الثاني فهو "عين بوسبعة" جنوب المدينة.[3] ومن الناحية الجنوبية والغربية يحيط بالمدينة مرتفعان هما: ذراع الدواميس وكدية الغيران، وفي الشرق يمتد تل صغير نحو الجنوب الشرقي يضم ضريح ولي يدعي" قبة سيدي محمد الصديق".

تحيط بالمدينة من الجهة الجنوبية الشرقية حتى الجهة الجنوبية الغربية جبال بها غابات الصنوبر، والبلوط والعرعار وهي: جبل مهارس، جبل بوسسو، جبل ذراع الصنوبر أو جبل مداوروش، وقد كان يؤتي منها بالحجارة الكلسية (Calcaire)

1 Apulius, Apologia, In site d’Internet : http://ccat.sos.upenn.edu/jod/apuleius.

2 Gell, M’Daourouch, OP-Cit, P.P.(5-6).

3 Gell, Atlas archéologique de L’Algérie, OP-Cit, P.18.

لاستعمالها في البناء، حيث كانت المادة الأساسية التي استعمالها الرومان في بناء المدينة.[1]

أما عن طبوغرافية الموقع، فإن أرضية المدينة مرتفعة بأكثر من 900 متر عن سطح البحر، وهي منحدرة وغير مستوية.[2]

2) تاريخ المدينة وأهم الأبحاث الأثرية بها: مداورش (M'Daourouch)، هو الاسم الحالي لمدينة مادورس (Madauros) الرومانية، حيث حفظ اسم هذه المدينة القديمة عبر قرون، دون أي تشويه تقريباً، وكتصغير للاسم، استعمل لفظ مادوريس (Madauris) أو مادوري (Madauri)، إننا نجهل مصدر هذا اللفظ، ولا توجد لدينا أدلة دقيقة عن كونه فينيقيا، على حد تعبير قزال،[3] وبالتالي لا زال أصل الكلمة ومصدرها مجهولا في حاجة إلى بحث معمق.

كانت مادور خلال القرن الثالث ق.م حسب أبوليوس المادوري (Apulée de Madaure) تندرج ضمن المنطقة التي تمثل الحد الفاصل بين نوميديا والجيتوليين،[4] في الجنوب، وآلت بعد وفاة غايا والد ماسينيسا سنة 206 ق.م إلى الملك صفاقص الذي ساعدته قرطاجة على الاستيلاء على نوميديا الشرقية، غير أنه بمجرد دخول الرومان إلى

---

1 Gell, M'Daourouch, OP-Cit, P.6.

2 Chabassiere, OP-Cit, P.46.

3. Gell,M'Daourouch,OP-Cit, P.08

4 ظهر اسم الجيتول منذ نهاية القرن الثاني ق.م للدلالة على مجموعة قبلية كثيرة العدد ولكنها لا تمثل عرقاً متميزا، فالجيتول نوميد في منطقة الصحراء الشرقية ومور في الجنوب الوهراني والمغربي، يعيشون حياة التنقل والترحال وينتجعون ما بين القرامنت شرقا إلى المحيط غربا. وقد امتدت جموعهم ونفوذهم إلى نهر نيقري (النيجر)، الذي يفصل بلا أفريقيا عن بلاد أثيوبيا. ينظر: محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 163. و Pline L'Ancien, OP-Cit, Par :IV.

بلاد المغرب، ومساندتهم لماسينيسا في استرجاع ملك أبيه وأجداده، دخلت مداوروش ضمن المدن النوميدية الأخرى المحيطة بها إلى مملكة ماسينيسا،[1] المركز النوميدي القريب من إقليم[2] الموزولام،[3] هل كان يحتل نفس موقع المدينة الرومانية؟

يشك قزال في ذلك، حيث يرى أن المدن الإفريقية القديمة، كانت بصفة عامة أماكن محصنة ومحمية، بأسوار جدارية وحاميات طبيعية، حيث أن الحقل الذي تغطيه الآثار الرومانية لمادور يمكن الولوج إليه بسهولة، لكن يجب التأكد من هذه الفرضية، لأنه لحد الآن لم يعثر على أي أثر لبناء قديم ينتمي للعهد النوميدي، وحسب قزال، فإن مادور كانت قليلة الأهمية قبل أن تصبح مدينة رومانية.[4]

أعيد بناء المدينة باستقرار قدماء الجند (Vateraui) في الفترة الرومانية.[5] وحسب غزال ذكر أبولي في سنة 158م: « Veteranarum militum novo conditu spolendidi ssima » حيث نجهل تاريخ تأسيسها الدقيق، بالرغم من ورود ذكرها في

---

[1] محمد الصغير غانم، مواقع ومدن أثرية، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، دت، ص 44.

[2] محمد الصغير غانم، المملكة النوميدية والحضارة البونية، ط1، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998، ص 161.

[3] اعتبر البعض الموسلام (Musulamii) قبيلة جيتولية، يمتد إقليمها في منطقة الأوراس من سوق أهراس إلى ماوراء النمامشة جنوبا، ولكن فقد قسما هاما من أراضيها أثناء مقاومتها للاحتلال الروماني. ينظر: محمد العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع، المرجع السابق، ص 179.

[4] Gsell, M'Daourouch, OP-Cit, P.P.(8-9).

[5] (L) Leschi, L'Algérie antique, arts et métiers graphiques, Paris. P.42.

العديد من الكتابات النقوشية التي تعود إلى الفترة الرومانية العليا مابين القرن الأول والثالث للميلاد.[1]

ويذكر غزال أن مادور سميت مستعمرة (Colonia)، من طرف بطليموس (Ptolemée) و أبولي،[2] ويرجع تاريخها على الأقل إلى عهد نرفا (Nerva) (98-96م)[3]، انعدم وجود أدلة كافية بموقع المدينة تثبت أنها تنتمي لعهود قديمة الشيء الذي قد يدل على أن تأسيسها لم يسبق نهاية القرن الأول، حيث يرجع إلى مجموعة من الإجراءات اتخذت في العهد الغلافي (69–96م) بإفريقيا.[4]

الأبحاث الأثرية بالمدينة: كان يشرف نصبان أثريان على المدينة القديمة، الحصن (القلعة) كدليل على القوة البيزنطية، وضريح روماني، وفي الشمال بعض السلاسل المبنية والانحناءات العلوية لكتلتين كبيرتين، تكشفان عن الحمامات، وفي المساحة الباقية، توجد أحجار مبعثرة، بعضها قائم على الأرض تشكل صفوفاً، تمثل هياكل أسوار وبقايا بنايات تنتمي في معظمها إلى الفترة الرومانية السفلى (القرنين الرابع والخامس ميلادي).

ينظر الشكل رقم 38 ص).



1 Gsell, M'Daourouch, OP-Cit, P.09.

2 Gsell, Atlas archéolgique, OP-Cit, P.32.

3 Champine, OP-Cit, P.56.

4 Gsell, M'Daourouch, OP-Cit, P.10.

الشكل رقم (38): آثار مدينة مادور الرومانية.

نقلاً عن:http://www.vitaminedz.com تاريخ الرفع 2014/03/01.

هكذا اندثرت المدينة الرومانية في هذه الأرض المنحدرة واختفت تحت طبقة سميكة ترسبت، يبلغ سمكها حوالي مترين وتصل في بعض الأماكن إلى خمسة أمتار من العمق فكان المجموع في معظمه مبهما، عدا الحصن والحمامات، يقول غزال: " **لم ندر من أين تمسك الفأس**".[1]

لقد تمت أولى الأعمال بالموقع الأثري بمادور، تحت اشراف القبطان (A.karth) سنة1850م، حيث وضع مخططاً للمدينة، فمنذ 1843م إلى نهاية القرن التاسع عشر، نقل علماء آثار هواة، كتابات أثرية بعضها من المدينة والبعض الآخر من المقبرة، بالإضافة إلى واحد وعشرون نصاً التي ضمها ليون رينيه (Léon Renier) في كتابه "كتابات أثرية رومانية للجزائر"(Inscriptions romaine de L'Algérie) نشرها بين سنة 1855م و 1858م.

[1] Gsell.M Daourouch. Op-Cit. p.6.

وتوجد العديد من النصوص الأخرى جمعها بالخصوص هيرون دي قلفوس (Héron de Villefosse) سنة 1873م، وقزال (Gsell) في 1891م وتوسان (Toussaint) في 1896م، والدليل على ذلك كتاب لستيفان غزال:"كتابات أثرية لاتينية في الجزائر" (Inscriptions Latines de L'Algérie) جمع في الجزء الأول عدداً هاماً من الكتابات الأثرية اللاتينية لمادوروس، والتي تتضمن تاريخ هذه المدينة من خلال الأحجار. بالإضافة إلى الاكتشافات التي نشرها شابسيير (Chabassiere) عن الحصن، والحمامات والضريح، كما درس الحصن من قبل السيد ديال (Diehl) سنة 1892م.[1]

عثر جولي[2] في الفترة الممتدة ما بين سنة 1905م إلى غاية 1908م، على مباني، ومؤسسات استحمامية جميلة، حافظت على ارتفاعها الطبيعي وأقواسها الكبيرة، بالإضافة إلى عدد معتبر من الشرفات مازالت سليمة بسواكفها، وتعلوها أقواس إلى جانب أسوار ارتفاعها يتراوح ما بين سبعة إلى ثمانية أمتار، حيث كانت قبل الحفريات تتجاوز مستوى الأرض، بالإضافة إلى بعض النقائش الوثنية توجد بها رموز مسيحية.[3]

أما فيما بين 1909م–1919م فقد توقفت الحفريات مؤقتا لتستأنف ابتداء من سنة 1911م حيث اهتم جولي هذه السنة بمواصلة تنظيف الحمامات حتى بدت واضحة كاملة[4]

---

[1] Gsell, M'Daourouch, OP.Cit,P.P.(6-7).

[2] مهندس ومندوب مالي، شغل منصب مساعد لرئيس بلدية قالمة، قام بعدة تنقيبات أثرية بمادور القديمة، مداوروش حاليا، حيث كشف عن العديد من المعالم التي نحن بصدد دراستها، أهمها الفوروم، المسرح، الحمامات، والقلعة البيزنطية التي وجد بها كتابات نقوشية مهداة لأبوليس (Apulée) الفيلسوف الأفلاطوني المادوري.

ينظر: (J) Carcopino, A propos de trois inscriptions de Madaure récemment découvertes, in R.Afri, Vol 60,1919, P.224.

[3] (A) Ballu, Fouilles archéologique d'Algérie en 1905, In B.A.C 1906,P.P (183-184).

[4] Ballu, Madaure, R .F de 1911, in B.A.C 1912, P.475.

، إلى غاية 1912م وجدت عدة نقائش وثنية ومسيحية وتم الكشف عن طريق مبلط مائل نوع ما من الشمال إلى الجنوب، به قنوات لتصرف المياه.[1]

ووجد جولي في سنة 1913م في الجنوب الغربي للآثار بازيليكا مسيحية[2]، وتواصل الحفر بها إلى السنة الموالية 1914م وظهر أنها بازيليكا بنيت بحجارة مستعملة، وعمارتها متأخرة، كما احتوت على حنية مربعة من الشرق وبها ثلاث أروقة تبعد عن الحمامات الصغيرة بحوالي 200م، وبنفس المسافة تقريبا من القلعة، كما عثر على بعد عشرون متر شرق هذه البازيليكا على قبر مربع ذو خمس درجات.[3]

وفي سنة 1915م، حول مجال الحفر نحو الطريق المتجه من الشرق إلى الغرب والمتقاطع مع الطريق الموازي للحمامات، حيث تبين أنه يتواصل حتى يقطعه طريق آخر مبلط يتجه شمالاً نحو القلعة، ويتواصل نحو الجنوب لكنه ليس مبلطا، وواصل جولي البحث في المسافة بين الحمامات الكبرى والشارع الصاعد، فعثر على قاعة في جنوب غرب الحمامات، ربما كانت مقدس (Sanctuaire) للإله "ماركور" (Mercure) لأنه وجد كتابة بسورها الشرقي (Mercure Aug) بالإضافة إلى بعض النقائش والألواح.[4]

تابع جولي الحفر في سنة 1916م، عن الطريق المؤدي للقلعة المتجه من الشمال نحو الجنوب (الكاردو الثانوي)[5]، وفي سنة 1917م اكتشف جولي فوروم المدينة، وأروقته الثلاثة كما أزال الأنقاض عن مستوى القلعة والفوروم، وكشف بداخلها عن المسرح،

---

1 Ballu, Madaure, R.F de 1912, in B.A.C 1913, P.151.

2 Ballu, Madaure, R.F de 1913, In B.AC 1914/P.P (284-285).

3 Ballu, Madaure, R.F de 1914, in B.A.C 1915, P.P. (107-108).

4 Ballu, Madaure, R.F de 1915, in B.A.C 1916, P.P.(177-180).

5 Ballu, Madaure, R.F de 1916,carbonel, Alger 1917,P.P.(107-108).

إضافة إلى بعض التماثيل والنقائش.[1] وهذه النتائج تعد أغنى نتائج سنوات الحفريات بمدينة مادور.

وقد تتابعت الأعمال في سنة 1918م بالمسرح، الفوروم والقلعة حيث عثر على العديد من الأعمدة بالفوروم، وقاعة المجلس البلدي (La curie) والمعبد المجاور لها شرق الفوروم. وما يلاحظ في حفريات هذه السنة أن جولي عجز عن الوصول إلى أرضية الأركسترا.[2]

أما في سنة 1919م، فقد استطاع أن يخرج كل مدرجات المسرح، مع أرضية الأركسترا التي وجدها مبلطة، وتعتبر هذه الأرضية الوحيدة في المسرح التي مازالت سليمة، كما عثر على طريق متقاطع من الدكومانوس الذي يمر على المجلس البلدي (الكوريا)، ويتواصل نحو الشمال مسافة 20م[3]. وخصصت السنة الموالية 1920م لإنهاء الأعمال بالمسرح وتوسيع الحفر داخل القلعة، وعثر على مبنى في الشمال الشرقي ربما كان المعبد.[4]

وفي سنة 1921م، تم اكتشاف مجموعة من معاصر الزيتون، في أماكن عديدة بالمدينة أربعة كبيرة وخمسة أصغر منها، وتتميز هذه المعاصر بأنها تابعة لمنازل الخاصة من السكان.

---

1 Ballu, Madaure, R.F de 1917.P.87.

2 Ballu, Madaure, R.F de 1918,P.P.(22,29).

3 Ballu, Madaure, R.F de 1919,In Afri 1920, P.P.(310,316).

4 Ballu, Madaure, R.F de 1920,P.P.(LX IV, LXVI).

توقفت الأعمال لمدة سنة بالمدينة، واستأنفت سنة 1923م، بإدارة شاريي (Charrier) هذه المرة خلفا لجولي، حيث اكتشفت بازيليكا شرق الشارع الصاعد جنوب الحمامات الكبيرة[1]. بعد وفاة (Charrier) أوكلت الأعمال إلى كريستوفل (Christofle) الذي تابع الحفر عن البازيليكا السابقة سنة 1924م، وبين البازيليكا الصغيرة والفورم، إذ عثر على معصرة.[2] وفي سنة 1925م ركز أبحاثه على قلب المدينة.[3]

وفي السنة الموالية 1926م، واصل (Christofle) حفرياته بالبازيليكا جنوب الحمامات بالإضافة إلى بعض أعمال الصيانة للمسرح[4]. ومن سنة 1927م إلى 1929م، عين ساسي (Sassy) لمواصلة الأبحاث واكتشف معاصر زيت خاصة، واصطبل للحيوانات.[5]

وبعدها تواصلت الحفريات لسنوات قليلة وتوقفت لعدة أسباب: ربما مالية أو نقص الاهتمام وقلة الإطارات، ونرجوا من المصالح المعنية بصيانة الآثار في الجزائر لإعادة الاعتبار لمثل هذه الكنوز- التي تشكل متحفاً على الهواء الطلق للجزائر- مواصلة أعمال الحفر والتنقيب حتى يسهل على الدارس أو الباحث عن تاريخ هذه المدن الأثرية، معرفة كل جوانبها وتحديد مخططاتها بصفة نهائية بدون شك أو ريب .

---

1 Ballu, Madaure, R.F de 1923, P.P.(240-241).

2 Ballu, Madaure, R.F de 1924,P.P.(25-27).

3 Ballu, Madaure, R.F de 1925,P.19.

4 Ballu, Madaure, R.F de 1926,P.P.(17,23)

5 (M) Christofle, Rapport officiel des Fouilles exécutées dans les années 1927, 1928 et 1929,carbonel, Alger, 1930, P.P.(50-58).

3) **المعالم العمومية للمدينة:** اهتم الرومان بإنشاء المرافق العمومية خدمة لمصالحهم، وتحقيق الرفاهية، لأنها عنوان عظمتهم ومن بين هذه المرافق:

أ) **الفوروم (الساحة العامة):** تم اكتشاف فورم مادور، من قبل السيد جولي (Joly) سنة 1917م، التي تعد من أغنى سنوات الحفريات بالمنطقة،[1] حيث قام بالتنقيب عن جزء من هذا الفوروم، لأن القلعة البيزنطية بنيت فوق نصف مساحة.[2] (ينظر: الشكل رقم 39 ص).



الشكل رقم (39): فوروم مدينة مادور.

نقلاً عن:http://www.vitaminedz.com تاريخ الرفع 2014/03/01.

1 Gsell, M'daourouch, OP-Cit, P.55.

2 Ballu, Madaure, R.F de 1919,P.64.

إن مواصلة إبراز الساحة العامة (Forum) أدى في بادئ الأمر إلى اكتشاف عدة أعمدة بالحصن البيزنطي، والتي كانت بمثابة مخلفة للمسرح، ومنه فإن الرواق الموجود خلف المسرح كان الرواق الشمالي للفوروم، تم الكشف عنه خلال حفريات 1919[1].

يقع الفوروم على بعد تسعون مترا غرب الشارع الصاعد الذي يمر على الحمامات الشمالية، وعلى بعد سبعون متر شمالا ابتداء من الديكومانوس الجنوبي الكبير الذي يقطع المدينة عرضا.[2]

قام السيد جولي بأبحاث مختلفة حول هذه الطرقات الرئيسية في المدينة، الكادور والديكومانوس وغيره من الطرق الثانوية، وتحصل على نتائج أهمها:[3]

1) الشارع الصاعد: هو نوع من الشوارع الكبرى، يصعد من الشمال نحو الجنوب يتجه شمال غرب إلى جنوب شرق، وهو مستقيم لا يحتفظ على مسار واحد. يبدأ هذا الطريق شمالاً بعرض 4.80م ثم 30.60 م موازيا للحمامات الصغيرة الشمالية، ويبعد عنها بـ 9 م وبعد مسافة 45 م يغير الطريق مساره، بحيث ينحرف نحو الجنوب حتى يصبح موازيا للحمامات الكبيرة الشمالية، ويصبح عرضة حوالي 7.50 م بعد مسافة 32 م من الانحراف.

في الجزء الشرقي من هذا الطريق كان يوجد باب يؤدي إلى رواق طوله حوالي 35م، ثم يوجد دهليز يصل إلى الجزء الجنوبي للحمامات الكبيرة. وبعد 3 أمتار من هذا الباب توجد نافورة، وبعدها ب 6 أمتار يوجد حوض يستقبل قنوات مائية تسير مع الحد

1 Ibid, P.151.

2 Gsell, M'daourouch, OP-Cit, P.55.

3 Ballu, Madaure, R.F de 1912,P.151.

الشرقي للطريق بمسافة 20م تتجه وسط الطريق[1] بعد 10 أمتار نحو الجنوب يصل عرض الطريق إلى 10م، وهذا عند محور الباب الشرقي الموجود في السور الغربي للطريق، والتي تنفتح بدورها على طريق يؤدي إلى الفوروم.

مباشرة بعد الباب، يعود تقلص عرض الطريق بعد 45م إلى عرضه الأول، وهذا بسبب خروج السور الشرقي للبازيليكا في غرب الطريق، بعدها يكمل الطريق مساره على مسافة حوالي 40م ليتقاطع مع طريق آخر عرضي يتوجه من الشرق إلى الغرب عرضه 7م.

بعد التقاطع يواصل الشارع الصاعد مساره نحو الجنوب على مسافة 80م، حيث يبلغ طوله الإجمالي حوالي 400م[2]

2)الديكومانوس الجنوبي: يقع في جنوب المدينة، ويقطعها عرضيا، يتوجه من غرب جنوب غرب إلى شرق شمال شرق، وهو مستقيم مع بعض الانحدار بعد تقاطعه مع الكاردو ماكسيموس (cardomaximus) حدد هذا الطريق على طول 350م، أما عرضه فهو متغير.

يؤدي هذا الطريق من الشرق إلى منبع عين مداورش عن التقاطع مع الشارع الصاعد على مسافة 130م تقريباً بعرض 7م. وبعد 7 أمتار- عرض الشارع الصاعد- يواصل مساره بنفس العرض، لكن يتناقص بعد مسافة 27.5م من زاوية تقاطعه مع

[1] Ballu, Madaure, R.F de 1919,P.376.

[2] Ballu, Madaure, R.F de 1918,P. 284.

الشارع الصاعد حيث نلاحظ- حسب قزال- وجود رواق من جهته الشمالية والذي أخذ حوالي 3م من عرضه، مما قلص عرض الشارع إلى 4م فقط.[1]

ب) الكوريا: قاعة اجتماع المجلس البلدي (Curie): هي عبارة عن قاعة مستطيلة الشكل مقاساتها (16.50م على 6.35م–6.50م) محاطة بأسوار. من جهة الرواق، كانت الجبهة مقسمة إلى ثلاث شرفات عن طريق عمودين متوازيين وعند الأطراف بعمودين متقاربين من الطراز الكورنثي[2]، وندخل إليها عن طريق شرفة مركزية. أما الشرفات الجنوبية فقد كانت مغلقة، وكانت تتصل بقاعة الكوريا. وجدت عدة شبابيك ما بين الأعمدة التي تحد رواق الجانب والساحة، وكذا بداخل هذا الرواق كله كان المكان الذي تلقى منه الخطب.

الكوريا مجاور للمعبد، كان سوره الجنوبي هو السور الشمالي لمقدمة هيكل هذا البناء مسافة 1.30م كانت تفصل بين سور الكوريا وسور المعبد.[3]

كانت قاعة اجتماع المجلس البلدي لمادوروس مقسمة إلى مساحتين غير متساويتين. إن أكبر أجزاءها مبلطة بالرخام، وحيطانها مغطاة بالرخام أيضاً، وراءها توجد قاعة أخرى أرضيتها مصنوعة من الحجر الكلسي وتنفصل عن الأولى بشباك وجد بقاعتها مصطبة

---

1 Gsell, M'daourouch, OP-Cit, P.19.

2 أكثر طرز فن العمارة الإغريقية زخرفة، تيجان أعمدته جرسية الشكل مزدانة بزخارف منقوشة على شكل أوراق الأقنثا أما الأعمدة نفسها فطويلة ممشوقة. لم يستخدم الإغريق هذا الطراز كثيرا ولكنه شاع في عهد الرومان وخلال عصر النهضة الأوروبية. ينظر :نصر الدين بن الطيب، تاريخ الفن، ط1، منشورات الريشة الحرة، وهران، 2008، ص 173.

3 Ballu, Madaure, R.F de 1919, P.13.

مازالت بقايا منها بذات المكان، عرضها 0.94م، نتوقع أنها كانت مكان اجتماع أعضاء المجلس[1].

ج) المسرح : إن التقارير التي اعتمدنا عليها في موضوع المسرح، خاصة الحفريات التي انطلقت عام 1905م من قبل جولي (M.Joly) الذي توصل إلى الكشف عن المسرح، ابتداء من عام 1917م، حيث كرس مجهوداته المادية والمعنوية لاستخراج الفوروم وجزء من المسرح تمثل في الممر الجانبي الشمالي الشرقي، والذي كانت فوقه (Tribunalia).[2]

وفي عام 1918م تمكن جولي من استخراج خمس طوابق من المدرجات، وبسبب نقص اليد العاملة، فإنه عجز عن الوصول إلى الأوركسترا –كما ذكرت من قبل–.[3]

ومن خلال حفريات عام 1919م، استطاع جولي استخراج كل مدرجات المسرح، مع أرضية الأوركسترا التي وجدها مبلطة، وتعتبر هذه الأرضية المبلطة الوحيدة من العناصر المعمارية للمسرح التي مازالت تحتفظ بحالتها الجيدة.[4]

بينت العديد من الكتابات الأثرية أن مؤسس مسرح مادوروس هو (Marcus Gabinus Sabinus)، وقد أقام هذا الأخير تماثيل لبعض أفراد عائلته السابنية تم التعرف عليها عبر الكتابات التي مازال البعض منها إلى يومنا هذا، ومن التماثيل التي أقيمت، تم العثور على ستة قواعد لها.[5]

---

[1] عبد القادر بوعزم، المرجع السابق، 251.

[2] Ballu, Madaure, R.F de 1917,P.37.

[3] Ballu, Madaure, R.F de 1918,P.14.

[4] Ibid, P.72.

[5] Ibid, P.72.

بني المسرح بجوار الساحة العامة، ووضع بالقرب من الرواق الغربي الجزء المستقيم للمبنى الجديد، بشكل جميل يحافظ على المساحة التي كانت متواجدة من قبل. واستعملت أسوار الأروقة الخارجية، حيث وجهت المدرجات نحو الجنوب الشرقي، كي يتفادى الجمهور أشعة الشمس.

يحتوي هذا المسرح على 1200 مقعدا، بني في عهد كان يحسن فيه البناء، لكن ليس بالقدر الذي يجعلنا نرجعه إلى عهد المستعمرة الأولى، لأنه حديث بالنسبة للساحة العامة، ربما كان معاصرا لتحويلها.[1]

د) الحمامات: ينتصب مبنيين استحماميين قريبين من بعضهما البعض في شمال مدينة مادور، وبجوار الطريق الصاعد، لهما مركزا معتبراً من بين الحمامات في أفريقيا الرومانية، حتى وإن لم تكن لهما فخامة حمامات شرشال، جميلة وتيمقاد.

قبل الحفريات، كانا يتجاوزان مستوى الأرض، إلا أنهما كانا في نفس الوقت محفورين فيها إلى غاية أربعة أمتار. أما بعد إزالة الأنقاض[2]، من طرف السيد جولي من 1905م وحتى 1908م، ظهرت مباني أو مؤسسات استحمامية جميلة[3] بارتفاعها الطبيعي وأقواس كبيرة، بالإضافة إلى مجموعة من الشرفات مازالت سليمة بسواكفها[4]، وتعلوها

1 Gsell, M'Daourouch, OP-cit,P.P.(81-90).

2 Gsell, M'Daourouch, OP-cit,P.93.

3 Ballu (A), M'Daourouch, In J.O.R.F de 1876 à 1916, Lyon, 1997, Diffusion de Bocard, P.257.

4 الساكف: أعلى الباب المقابل للعتبة

أقواس.[1] إلى جانب أسوار بلغ ارتفاعها ما بين سبعة إلى ثمانية أمتار. وتتقسم هذه الحمامات، في الشمال إلى قسمين: كبرى وصغرى.

ه) المعابد: تتابعت أعمال جولي سنة 1918م في المسرح، الفوروم، القلعة واكتشف المجلس البلدي، ومعبد مجاور في الجهة الشرقية للفوروم، كما عثر على مباني أخرى ربما كانت معابد،[2] أهمها:

المعبد المجاور للكوريا: كان المعبد المجاور لقاعة المجلس البلدي (La Curie) مقابلا للصفين الأولين للرواق الشرقية، عند الزاوية الجنوبية الشرقية للساحة، كانت تسبقه سبعة أدراج، تتواجد الأولى منها على بعد 12.50م من الأعمدة، ويوجد مدخل (Cella) على بعد خمسة أمتار أخرى.[3]

بقي من المبعد القاعدة المبنية من الحجارة المنحوتة في الزوايا، وهي فارغة في الوسط، طول الفراغ 5.90م وعرضه 4.50م يتميز جدارها الخلفي بوجود بروز نصف دائري كان يحتوي على تمثال.

إن هذا المبعد ليس هو الكابتول لاحتوائه على إله واحد، فمن هو هذا الإله؟ من المتوقع –حسب غزال– أن يكون الإله مارس (Marss)، الذي كانت له مكانة خاصة في مستعمرة مادور.[4]

و) البازيليكات: نعالج في هذا العنصر أنواع البازيليكات التي وجدت في مادور ومنها:

---

1 Gsell, M’Daourouch, OP-cit,P.93.

2 Ballu, Madaure, R.F de 1918,P.P.(28-29).

3 Bellu, Madaure, R.F de 1919.P.152.

4 Gsell, M’Daourouch, OP-cit,P.P.(65-66).

1) البازيليك جنوب الحمامات: تعد هذه البازيليك من المباني الهامة المكتشفة بمادور سنة 1923م، من قبل (M.Chorrier)[1]، الذي توفي قبل أن ينتهي من حفرياته، وتدوين ملاحظاته حولها.

توجد هذه البازيليك بالجهة الشمالية الشرقية للمدينة شرق الشارع الصاعد، ذو الاتجاه العام شمال غرب، جنوب شرق، والذي شكل على جزء من مسافته الحد الشرقي للساحة العامة المكتشفة.

يمكن وضع هذه البازيليك تحت مجموعة المباني التي تضم الحمامات الكبيرة من الشمال إلى الجنوب. تبعد الواجهة البدائية للبازيليك بخمسة أمتار عن الطريق الصاعد، وأرضية المقصورة المركزية في مستوى أدنى، على بعد 0.90م بالنسبة لهذا الطريق.[2]

شيدت البازيليك في الثلث الأول من القرن الثالث ميلادي، وقد كان البناء أعلى من مستوى معيشة العامة في مداوروش، حيث كانت البيانات رديئة عادة، إن وضعية المخطط المستعمل لأجل تمايز وتفريق الأجنحة، يدل على جهد كبير يستحق التقدير.[3]

عرف هذا البناء فيما بعد عملية ترميم دلت عليها الكتابة النقوشية (Nomina curialium) التي جاءت أثناء الكتابة النقوشة التأسيسية (Nomina corum…La basilica nova) التي تعتبر البازيليك مجاورة للساحة العامة.[4]

---

1 Albertini (E), Bulletin des antiquités, In R.Afri, T68,1927, P, 301.

2 Abertini (E), Une Basilique à M’Daourouch, In B.A.C 1925, P.283.

3 عبد القادربوعزم، المرجع السابق، ص 250.

4 Ibid, P.P.(289-290).

عندما اعترف بالمسيحية وأصبحت ديانة رسمية حولت بازيليكا مادروس كغيرها من البازيليكات في عموم الإمبراطورية إلى كنيسة لإقامة شعائر الدين الجديد.

ز) الكنيسة الشمالية الغربية: تقع هذه الكنيسة في شمال غرب المدينة، على بعد 200م من القلعة البيزنطية والحمامات الصغرى، كانت مواد بناءها مستعملة ورديئة[1]، واجهتها الرئيسة موجهة باتجاه غرب جنوب غرب. وقد عثر على عدة قبور تحت البازيليكا معظمها مهدم، ربما كانت كل المنطقة عبارة عن مقبرة قبل بناء الكنيسة، كما عثر على الكثير من النقائش المسيحية لقديسين وقساوسة.[2]

ح) معاصر الزيت: تعد سنة 1921م السنة التي اكتشف فيها جولي معاصر الزيتون، في أماكن متعددة من المدينة، منها أربعة كبيرة وخمسة أصغر منها. وخصوصية هذه المعاصر أنها ملحقة بالمباني الخاصة.

ولما أوكلت إدارة الحفريات إلى (M.Christofle) اكتشف الكثير من معاصر الزيت عند الرومان، أهمها تلك التي تم العثور عليها على بعد 100م عن الحمام، كانت لها عاصرتين، وحوض للعصر مازال في مكانه الأصلي مبني بصفائح عمودية.[3]

إذا كانت جدران هذه المعاصر الخارجية قد اختلفت، فإن الترتب الداخلي لها مازال باقيا في وضعه الأول.[4]

[1] Ballu, Madaure, R.F de 1914, P.107.

[2] Gsell, M’Daourouch, OP-Cit, P.122.

[3] Ballu, Madaure, R.F de 1925, P.19.

[4] منير بوشناقي، المرجع السابق، ص 104.

اكتشفت في مادور مزيتة بمعصرتين، وحوض السحق لا يزال بمكانه، مشكل من بلطات عمودية، وكان يتم الدخول إلى هذه المزيتة عن طريق باب مفتوح على شارع عمودي للكاردو. من الوراء غرفة يخزن فيها الزيت، كما يوجد إسطبلا حيث تأكل البهائم، وعلى اليسار وجد مستودع للعربات.

كما وجدت مزيتة (Aquae)، تتشكل من قسمين متمايزين ومجموعتي معاصر وحوضين بالجنوب، عكس ما وجد في تلك الفترة حوض واحد لكل معصرة وله حجرة مسطحة.

إن ما يسمى بــ (Mola oleania) كانت أقل بدائية، حيث كانت تشكل من حجرين متداخلين، الواحد منهم مثبت والآخر متحرك، على عكس مطحنة القمح، فإن الحوض السفلي مقعر، ويشكل قطعة يوجد بها أسطوانة حجرية محركة بواسطة ذراع عرضي معبور عمودياً بعماد يمكن من رفعه حسب كمية الزيت.[1]

ولتفادي طحن النوى كان يترك بين الحجرين والبطانة فراغ معين، وقد وجدت في مادور أنواعا من المعاصر أكثر تطوراً، تسمح بسيول الزيت مباشرة من (Amurca)، والتي كانت من الممكن أن تقلل من نوعية الزيت. هذه المعصرة دائرية الشكل، منحوتة مباشرة في كتلة حجرية واحدة، ارتفاعها 35سم، وقطرها 2م، وهي مسننة تدور حول (Crelumellai) داخل نفق محفور في الحجر.[2]

---

1 Camps (H), L'Olivier et l'huile dans L'Afrique Romaine, Officielle Alger, 1953,P.57.

2 Ibid, P.40.

كما يبدو أن الأحواض كانت موضوعة بالشكل المناسب للصناعة الزراعية، في المكان الذي كان يحتوي على الزيت بالجزء الجنوبي.[1]

ط) المنازل: أزيلت الأنقاض عن بعض المنازل في مادور، كمزل القاضي بالكاردو الذي يصل إلى الساحة العامة عن طريق باب جنوبي، وقد كان يحتوي على فسيفساء تزينه، وبالرغم من صغره، إلا أنه كان جميل وتم التعرف عليه عن طريق تمثال القاضي الذي وجد بالبهو، ونقل فيما بعد إلى قالمة.

كما وجد في الجهة الغربية على بعد 100 متر تقريبا منزلا آخر أقل جمالاً وفخامة عن سابقه من الواضح أنه خضع لمجموعة من التغيرات يحتوي على صفوف من الأعمدة، وبهو كبير له غرفتين على اليمين، وبقية مساحته لا تزال تحت الأنقاض حتى الآن.

أما البيت الأكثر فخامة فهو البيت الذي أزيلت عنه الأنقاض تماما جنوب الحمامات الكبرى، فقد كان مزينا في القديم بالفسيفساء، التي لا تزال آثارها بمعظم غرفه. له بهوين كبيرين مع الشارعين الذي بني في وسطها، كما توجد به أحواض تحت (Tablinum) احتوى واحد على مياه، وحوض آخر مزين جزئيا بالفسيفساء، كما احتوى شمالاً على مسبح، وربما على مجموعة حمامات خاصة، ويعد هذا البيت من أجمل بيوت المدينة وقدرت مساحته بـــ 700م^2.[2]

[1] Ballu, Madaure, R.F de 1910,P.92.

[2] Douel (M), L’Algérie Romaine : Forums et Basiliques, éditions géographiques maritimes et coloniales, Paris, 1930, P.P.(117-118).

من خلال ما سبق يمكننا القول أن مدينة مادور، مرت عبر تاريخها الطويل بفترات عديدة، أثرت بشكل مباشر على تطور وضعية المدينة وأبعادها، بما في ذلك مخططها العمراني.

المبحث الثالث: الإبداع الفني في بلاد المغرب القديم:

يعتبر الفن ظاهرة اعتيادية في بلاد المغرب، لا تخص النخبة، فالفنون بأنواعها من رسم وتصوير وعمارة ونحت، هي مرآة للحياة تعكس تطور حضارة المجتمع المغربي، وتوضح كثيراً من مناحي حياته وتقاليد وتطلعاته.

أولا: فنون بلاد المغرب في عصور ما قبل التاريخ: يمكن حصر أقدم النماذج الفنية للإنسان المغربي القديم، فيما كان ينجزه من نقوش ورسومات على الصخور، وفي بعض الأدوات الضرورية التي يصنعها كالحلي والأواني، وقد يكون ذلك الإنسان ينجز نقوشه ورسوماته بغرض مصلحي، وليس لغرض المتعة، أو لدوافع فنية بحتة كما أن اكتشاف مجموعة من المقابر، ذات الشكل الهرمي، والمخروطي يفضي إلى تشكيل تصور متقدم، لما وصل إليه ذلك الإنسان القديم من تطور في فن العمران، هذا بالإضافة إلى نشاطات فنية أخرى كالموسيقى والغناء والرقص والتمثيل.

أ) لغة النقوش والرسوم: تعتبر النقوش المنحوتة على الصخور في بلاد المغرب بمثابة السجل المفتوح يسمح للمهتمين بقراءة تاريخ هذه البلاد –منذ حقب زمنية قديمة– قبل اكتشاف الإنسان للكتابة، لذا فقد حاول الإنسان المغاربي أن يسجل تاريخه ومعتقداته بوسيلة تعبيرية مبتكرة، وتتمثل في لغة الخطوط الهندسية، وألوان الطبيعية.[1] تظهر الفكر

---

[1] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص. ص (47– 48).

الذي بلغه سكان المغرب ومساهمتهم في الفكر الإنساني، حيث دونوا في تلك الرسوم مشاهد كثيرة عن حياتهم. (ينظر: الشكل رقم 40 ص).



الشكل رقم (40): رسم لقطيع من الأبقار يقوده شخص زنجي القسمات–هضاب الطالسيلي.
نقلاً عن: عبد الرزاق قراقب وعلي مطيمط، المرجع السابق، ص95.

هذا ما أدى بالباحث محمد سليمان أيوب إلى الاشارة قائلاً: "**وليس هناك من شيء أوضح من تاريخ الفن بالصحراء الكبرى، فمنذ العصور الموغلة القدم، بل قبل أن تظهر الصحراء، عندما كانت الوديان التي نراها قاحلة أقاليم مليئة بالمياه**"[1]

[1] محمد سليمان أيوب، جرمة وحضارتها، طبعة دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس ليبيا، 1983، ص. ص

وظل ذلك السجل الثري بالمعلومات المتنوعة، والفنون الرائعة مطويا ومهملا ويرجع الفضل في الكشف عنه إلى أفواج العلماء والباحثين الأوروبيين.[1]

وقيل أن حضارة بلاد المغرب القديم حضارة فنية وأن الحجارة المكتوبة (Les pierres écrites) أصبحت مرجعا مفيدا لكتابه تاريخ منطقة التاسيلي–ناجر.[2]

وقد فتنت تلك النقوش والرسومات الفنية المنتشرة عبر هضبة التاسيلي كثيراً من العلماء والفنانين، واعتبر موقعها المنبسط في الهواء الطلق، من أضخم وأعظم المتاحف في العالم. وهذا ما جعل الباحث والرحالة السويسري جورج غير ستر يقول: **<< تذكرت معرض "لوت هنري" في باريس، فذكرت أن صور تاسيلي قد أغنت العالم بكنوز من الجمال الفني »** .[3]

ب) الأثاث والحلي: النموذج الثاني، –من الإنجازات الفنية– هي الحلي التي كان يتحلى بها ذلك الإنسان المغاربي القديم، ثم المتاع والأثاث الذي كان يستعمله في أداء أغراضه الحياتية.

(166– 167).

[1] انطلقت حملات البحث عن النقوش المنحوتة على الصخور ببلاد المغرب في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، بمبادرة من جورج بارتليمي فلاموند (J.B.Flamande) الذي واصل أبحاثه طيلة أربعين سنة تقريباً. وكانت النقوش محل بحث من قبل الباحث أ.ف قوتيه (E.F Gautie) وتلي أبحاث قوتييه في الأهمية أبحاث كل من هنري بوري (H.Breuil) وريغاس (M.Reggasse) وهنري لوث (Henri Lhote) الذي يعتبر متكشف مراحل الفن الصخري في منطقة التاسيلي- ناجر. ينظر: ول ديورانت، قصة الحضارة ، تر: الدكتور زكي نجيب محمود،ج6، ط3، 1965، ص 167.

[2] Malika Hachid, Le tassili des Ajjer, (EDIF-Paris méditerranée, 2000,P.98.

[3] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص 53.

والسبب في تصنيف ماذكر بين النماذج الفنية هي تلك العناية التي كان يخص بها حيله ومتاعه، بحيث يتفنن في تصميم أشكالها ثم يحرص على تزيينها ببعض الزخارف.

والأدوات التي يستعملها ذلك الإنسان المغربي في النحت والزخرفة هي:

أظافره، أو بعض الآلات الحادة المصنوعة من الصوان، والعظام، بالإضافة إلى المَغَرة التي يلون بها رسوماته.[1]

أما الانجازات الفنية فينجزها على بيض النعام المزخرف، والأقراط، والقلائد، والأساور المعدنية، والخلاخل، والأواني الفخارية، والجلود، بالإضافة إلى بعض المتاع المصنوع من الألواح الخشبية، وبعض التحف والأسلحة المصنوعة من المعادن الحديدية والنحاسية والفضية التي أخذ يتفنن فيها في العصورٍ المتأخرة.[2] (ينظر: الشكل رقم 41 ص).

الشكل رقم (41): عقد يتكون من قشور بيض النعام المصقولة.
نقلاً عن: عبد الرزاق قراقب وعلي مطيمط، المرجع السابق، ص 94.

ج)
د)

ه) **الفن المعماري:** ربما يكون أقدم إنجاز معماري بدائي شيده الإنسان القديم، هي تلك المصاطب أو القبور، التي طرأ عليها تطور تدريجي، بحيث أضحت تشيد في

---

[1] إبراهيم بشي، مدخل إلى تاريخ حضارات بلاد المغرب القديم، ط1، دار زاد الطالب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص. ص (76– 78).

[2] المرجع نفسه، ص 78.

أشكال هندسية ملفتة للنظر، وهذا ما يمكن ملاحظته من خلال الهياكل الضخمة التي تجلت في شكل مخروطي، أو على صورة أهرامات صغيرة، وقد تطور حجمها، وتصميمها من البساطة إلى أوضاع فنية متقنة. وربما كان قبر الرومية[1] هو الشكل الأكثر تطوراً بين مجموعة الأهرامات المخروطية المنتشرة في بلاد المغرب، هذا بالإضافة إلى ضريح المدراسن (قرب باتنة)، وجدار الرابض في منطقة الأجدار(غرب تيارت).[2] ينظر الشكل رقم 42 ص).



الشكل رقم (42): قبر الرومية.

نقلاً عن: منير بوشناقي الضريح الملكي الموريطاني، المرجع السابق، ص31.

3).تأثير الطابع الهلينستي والروماني على الفن المغاربي القديم: تفتحت بلاد المغرب

---

[1] التسمية الجديدة للقبر المدعو بالرومية هي قبر كليوباطرا سيليني (ومعناها القمر) زوجة يوبا الثاني. يقع الضريح الملكي بين الجزائر وشرشال على رأس احدى مرتفعات الساحل تعلو سطح البحر بمقدار 261 متر. ينظر: منير بوشناقي، الضريح الملكي الموريطاني، تر: عبد الحميد حاجيات، ط1، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية، الجزائر، 1991، ص 7.

[2] بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص. ص (57- 58).

على الحضارة المتوسطية، وتياراتها الفنية في عهد الدولة القرطاجية، وشملت الحركية الحضارية التي انطلقت في الممالك النوميدية، منذ نهاية القرن الثالث ق.م مجال الفنون، حيث تعرف اللوبيون على جوانب عديدة من الثقافة الإغريقية التي من ضمنها الجانب الفني، بدليل وصف هيرودوت للقبائل اللوبية التي كانت أراضيها متاخمة لمستوطنة قورينة الأغريقية في ليبيا على أن عاداتها هي نفسها عادات الإغريق.[1]

وقد توطّدت العلاقات التجارية بين مملكة نوميديا وبلاد اليونان على عهد الملك ماسينيسا وابنه مكيبسا في القرن الثاني ق.م مما جعل النوميد ينفتحون على الثقافة والفنون اليونانية حيث عمل ماسينيسا على جلب أرباب الفن والتجار واليونان واستخدمهم في مجالات البناء والتعمير.[2]

أما يوبا الثاني الذي تأثر بالثقافة الهلنستية، فإنه سرعان ما قام بمجهودات معتبرة لنشر الفنون[3] –بشتى أنواعها في بلاده– مثل الموسيقى التي أنشأ، –لتدريسها ونشرها– معهدا خاصاً بشرشال،[4]وقام هو نفسه بتأليف كتاب عن الفن ومشاهير الفنانين يحتوي على ثماني مؤلفات، وعن فن المسرح كتب كتابا يحتوي على سبعة عشر جزءاً على الأقل، عالج فيه مواضيع عديدة، تتمثل في الرقص والآلات الموسيقية خاصة.[5] كما أسس معهدا لتدريس التمثيل والنحت في عاصمته شرشال.[6]

---

[1] هيرودوت، المصدر السابق، ص 150.

[2] محمد البيشر شنيتي، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، المرجع السابق، ص 50.

[3] (Ph) Leveau, OP-Cit, P.33.

[4] عبد الحميد بن شنهو، المرجع السابق، ص. ص(68– 69).

[5] Gsell , H.A.A.N، OP-Cit,P.P.(268-269).

[6] عبد الحميد بن شنهو، المرجع السابق، ص. ص (68–69).

وهكذا كان للحضارة الهلنستية قبل الاحتلال الروماني وبعده تأثير واضح في المجال الفني سواء في عهد الدولة القرطاجية وعهد الممالك النوميدية، أو في العهد الروماني. ولم يكتف الرومان بالنقل والتقليد، بل تراكم في إيطاليا، خلال العهد الجمهوري، حطام المعالم اليونانية من أعمدة وتيجان وتماثيل ونفيس ما أنتجه الفن اليوناني، وظهرت بعد ذلك حركية في الأشكال الفنية، واشتد الشغف بالزخرف، فهيمن الاتجاه الباروكي (Baroque) منذ عهد الإمبراطور نيرُو (Nero)، وبلغ أوجه في عهد الأباطرة السويريين.[1]

وفي بلاد المغرب، قطعت الفنون والهندسة المعمارية شوطاً بارزا، بعد أن وفرت النهضة العمرانية للفنانين مواطن شغل كثيرة. وازدهر خصوصاً فن الفسيفساء وتأثر في البداية بالتيارات والأساليب الفنية الإيطالية، ثم سرعان ما تطور بأشكال وألوان مختلفة، وهذا ما سأحاول دراسته بالتفصيل في هذا السياق لإبراز مجالات الفنون المختلفة.

أ) **الصبغة السياسية في الفنون التشكيلية:** اعتنت السلط البلدية والخواص على تمويل الفن السياسي، فاكتظّت ساحات فوروم مدن بلاد المغرب بالتماثيل، التي لا يزال الكثير من بقاياها موجود حتى الآن مبعثر في هذه الساحات أو الأروقة التي تحيط بها والطرق المؤدية إليها، وكذلك في المباني العمومية مثل الأسواق والبازيليك والكوريا، هذه التماثيل كانت إما من الرخام أو من البرونز، وكانت للأباطرة والحكام وأعضاء المجالس البلدية وخاصة اللذين يقدمون الخدمات لهذه المدينة، حيث لا يغفل على تمجيد أعمالهم والإشادة بخصالهم[2].

[1] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 160.

[2] عبد القادر بوعزم، المرجع السابق، ص 252.

ونحتت أقواس النصر تخليدا لذكرى انتصارات الأباطرة. وفي المشاهد المنحوتة على قوس النصر الذي أقيم بمدينة لبقيس الكبرى سنة 203م، بمناسبة زيارة الإمبراطور سيتيميُوس سورُوس مدينة أجداده، مثال لمنهجية هذا الموضوع السياسي، حيث صور النحات على لوحة كبيرة في واجهة القوس الإمبراطور على عربة النّصر، بين تماثيل ربّات النّصر المجنّحة وهو يتقدم حاشيتَه ويتوسط ابنيه قاراقَالا (Caracalla) و جتَا (Geta). وصّور على اللّوحات التي كست جانبي القوس مشاهد انتصاراته في الحروب التي خاضها.

وكانت الغاية من هذه التماثيل والنّحوت هي ترويج صور الإمبراطور وصور أهله وذويه، تعريفا بالأسرة الحاكمة ودعماً لها في أصقاع الإمبراطورية، وإشادة بالنّصر الذي يحالف دوماً الحكم الإمبراطوري ويرعاه. وأما تماثيل الولاّة وقادة الجيوش وأرباب السلطة وحكّام المدن فقد أمر مجلس المدينة باقامتها تمجيد لهم، لتقديم التأييد السياسي ودعم البنية الاجتماعية في كنف السلطة الرومانية.[1]

ب) الصبغة الاجتماعية في الفنون التشكيلية: حرص النحاتون على إبراز المرتبة الاجتماعية التي تميز الوجهاء عن بقية أفراد المجتمع، فأظهروهم على أنصاب قبورهم بلباس التوجا (Toga) الفضفاض الذي يرتديه الرّومان في المناسبات الرسمية، بينما ارتدت السيدات لباسا شبيها بالفستان الذي يشدّه حزام تحت الثدّيين. ويليق بالمرتبة الاجتماعية مع إبراز وقار المحيّا ورصانة الحركة، بينما تتجلى موهبة النّاحت وحنكته في قدرته على بعث الحياة في ملامح الوجه، وفقا لمقتضيات الفن الواقعي ومن بين التماثيل التي بلغت درجة

[1] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 161.

فنية مرموقة، تمثال من القرن الثالث لوجيه من بلاد المغرب يرتدي عبّاد هرقل (Hercules)، عثر عليه بضاحية برج العامري بتونس حاليا.

وأما الفئات الشعبية الضعيفة، فلا قدرة لها في أحسن الحالات إلاّ على اقتناء نحوت قليلة النتوء، لتخليد صورة الفقيد أو الفقيدة، أو لتقديم نذر إلى الإله الأفريقي سَاتُورنُس الذي كانت أنصابه تُعدّ بالمئات، وكانت أغلبية هذه النحوت سواء اكتسبت صيغة مأتمية أو دينية، من إنتائج مصانع غابت فيها القدرات الفنية وطغت التقاليد الحرفيّة الموروثة عن العهد القرطاجي.[1]

ج) الصبغة الدينية في الفنون التشكيلية: حافظ الفنّانون والحرفيون الأفارقة، في بداية العهد الروماني، على التقاليد الفنية الموروثة بعد انقراض الحضارة القرطاجيّة –فواصلوا خصوصاً في المصانع التي كانت تقصدها الفئات الشعبية–، نقش صور بعل حمّون مثلا أو نحتها على الطريقة التقليديّة. لكن الإيديلوجية الرومانية اكتسحت بسرعة المجال الديني رغم صموده، فألفت بين بعل حمّون وسَاتُورنوس، وبين تانيت ويُونوقايلستيس، وأصبحت صور واجهات المعابد على أنصاب ساتورنوس شبيهة بواجهة المعابد الإغريقية–الرومانية، وتعرضت المعتقدات والمعبودات اللّوبية إلى الرّومنة: ذلك ما نلاحظه في آلهة النّصب الشّهير الذي عثر عليه بأحواز باجة –تونس حاليا–، وما تدّل عليه أسماؤها من مزيج بين العبادات والطّقوس اللوبية والرومانية. وقد بلغت الرومنة حدا أدّى إلى انتشار تماثيل الآلهة الإغريقية– الرومانية في سائر المواقع الأثرية، وفقاً للنماذج التي وضعها كبار النحّاتين الإغريق.

[1] المرجع نفسه، ص 162.

وانتشرت كذلك منذ العهد الجمهوري تماثيل الآلهة الشرقية، كآلهة المعبد الذي عثر عليه بموقع ثينيسُوت (Thinissut) الأثري، بالقرب من بلدة بئر بورقبة، وفيه تمثال غير وجه الربة القرطاجية الكبرى تانيت وعوضّه بوجه لبوءة، تشبيها بوجه الرّبة المصرية ضَخَمات (Sokhet). كما انتشرت تماثيل الإله الإيراني ميثر (Mithra) والإله المصري سَارَابيس (Sarapis) والربة المصرية إيزيس (Isis) وغيرها من الآلهة الشرقية.[1]

3) **تطور فن الفسيفساء المغاربية:** تظهر في الخرائط الأثرية لبلاد المغرب بقايا لوحات فسيفساء تعكس مشاهد الحياة التي كانت تدور من حولها، وتنم عن مدى تطور الحس الفني والجمالي للسكان في تلك المرحلة وقد نعالج في هذا المبحث مراحل تطورها.

أ) **مفهومها:** هي تقنية موزيفوم (opus Musivom)[2] كلمة من اشتقاق غير محدد، وقد ظهرت لأول مرة في نص لاتيني في عهد الإمبراطور ديوقليتيان (Diocletien)، حتى فترة القرون الوسطى، كانت تكتب دون اهتمام موزيوم (Museum) أو (Musium) أو موزيفوم (Musivum)، وتشير هذه الأخيرة في الأصل إلى التصوير الجداري بمعكبات الميناء، غير أنها أصبحت تشير إلى الفسيفساء بمفهومها العام، أي فن زخرفة مساحات معمارية، بواسطة قطع صغيرة حجرية أو طينية أو زجاجية أو رخامية وفخارية ذات ألوان مختلفة أو لون واحد، متجاورة داخل مساحة إسمنتية وتوضع على مستوى واحد لتأمين تماسك المجموعة.[3]

---

1 عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 163.

2 Dictionnaire encyclopédique Quilte (L-N), Librairie Aristide Quilet, 278, Boulevard Saint-Germain, Paris, 7, 1977,P.4389.

3 (p) Gauckler, Opus misirrum dans dictionnaire des antiquités, Grecques et Romaines, Paris 1916, P.2088.

تجدر الإشارة إلى أن تاريخ فن الفسيفساء يؤدي دورا كبيرا مثل: تاريخ بقية اللقى الأثرية، التي يستعان بها في دراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لبلد ما، ومستوى المعيشة لسكانه حيث أنها استعملت لتزيين وتبليط أرضية وجدران القصور والمنازل والحمامات والكنائس والمحاكم وقد تناول الرسامون في اللوحات والرسوم مواضيع مختلفة نذكر منها الطقوس القديمة والمعتقدات الدينية.

أ) أصلها: جاءت الفكرة الأولى للفسيفساء من الشرق، ففي 2500 ق.م استعمل الكلدانيون زخرفة قصورهم طريقة بقريبة من الفسيفساء، بحيث كانت إحدى جهات مبنى بمدينة الوركاء (Uruk) بالعراق مزينة بشاريات ولولبيات ومعينات صفراء وسوداء مشكلة بواسطة مخروطيات من الطين المشوي، كل منها مطلية في رأسها بأحد الألوان المذكورة، وهو ما يظهر للخارج. أما قاعدتها فتكون داخل سمك الجدار، وتشكل هذه المخروطات بواسطة تجاوز ألوانها المختلفة فسيفساء حقيقة.[1]

كما أبرزت التنقيبات في كريت(Crete) باليونان، وفي مصر مساحات من الحجارة الصغيرة، أو من الأصداف الموضوعة داخل بساط من الإسمنت.[2] غير أن هذه التقنيات القديمة من الفسيفساء لم تستعمل في تغطية الأرضيات.[3]

ج) الفسيفساء المغاربية: يعود أصل الفسيفساء في بلاد المغرب إلى الفترة البونية بقرطاج وأشهر مثال لها هو فسيفساء "تانيت" التي عثر عليها بسيلينونت (Selinonte) بجزيرة صقلية والمؤرخة بين القرنين الرابع والثالث ق.م.[1]

1 (H) Ennaifer, La civilisation tunisienne à travers la mosaïque, Tunis, 1973, P.15.

2 (P) Gauckler, OP-Cit, P.2092.

3 (H) Ennaifer,OP-Cit, P.17.

كما عثر على تبليطات خاصة في مدينة كركوان والمؤرخة بالنصف الأول ق.م[2]، وتعود التأثيرات الأولى للفترة الرومانية إلى مدرسة الإسكندرية، حيث قدم فسيفسائيون منها ومن قورين (Cyrene) وطرابلس خلال النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، وهي ذات مواضيع هندسية، وألعاب رياضية وحياة يومية.

وهكذا تطور فن صنع الفسيفساء تحت حكم الأنطونيين والسفريين موازنة مع تطور فخامة البنايات. وقد انتشر استعمال فن الفسيفساء، في المباني العامة وخاصة الحمامات، التي أصبحت المركز الاجتماعي للحياة اليومية. وكان لقدوم الإمبراطور هدريان (Hadrien) لبلاد المغرب في حوالي 128م أثره في ازدهار هذا النوع من الفنون، ذلك أن حاشية الإمبراطور كانت تضم بين أفرداها معلمي فسيفساء، جاءوا لزخرفة المباني التي قامت تشريفا وتكريما للإمبراطور.[3]

وفي بداية القرن الثاني للميلاد، الذي عرف بعهد الأنطونيين، تعددت ورشات صناعة الفسيفساء على سواحل نوميديا وموريطانيا، نذكر كمثال على ذلك عنابة (Hippo-Regius) وقيصرية (Caesaria). أما المناطق الداخلية فقد برزت منها تازولت وتيمقاد بالإضافة إلى ورشات أوتيكا وقرطاج بتونس.[4]

لقد ازداد انتشار الورشات في كل أنحاء الإمبراطورية أثناء حكم السفيريين لاسيما في بلاد المغرب التي ساعد وجود المرمر المتعدد الألوان بها على إثراء الفسيفساء، وعلى انتشار ورشات صنعها وكعينة على ذلك نذكر مدن كل من تبسة (Theveste) وسيرتا

---

1 (M) Fantar, Les pavements puniques dans les dossiers de L'archéologie, N°31, 1978, P.8.

2 Ibid, P.9.

3 (P) Gaukler, OP-Cit, P.2092.

4 Ibid,p.2109.

(Cirta) ثم سطيف وأوزيا (Auezia) وسكيكدة (Rousicada) وبجاية (Saldae) وتنس (Cartenna).

وبلغت مهارة الفنانين منزلة مرموقة في عهد الأنطونيين والسويريين، الذين اهتموا خصوصا بالمشاهد الميثولوجية، مشاهد أفرديت وينُوس وبيدها المرآة، وهي تتجمل وتتبرج، وديُونيزوسْ، وبوخُوس متصدراً موكب أتباعه، ونبتُونوس وهو يشق عباب البحر على عربة النصر.[1]

وفي نهاية القرن الثاني الميلادي عرفت مواضيع الحياة اليومية رواجا بارزا بعد زمن طويل من احتكار المواضيع الزخرفية المعقدة في الفسيفساء، بحيث عوضت بأشكال مستوحاة من الواقع.وقد عبرت الفسيفساء عن عدة جوانب من الواقع اليومي المعاش، كمشاهد البيع والشراء، والقنص والصيد البحري، وحياة الأغنياء في قصورهم وضيعاتهم، أو كمشاهد المسرحيّات على الرّكح ومجابهة الوحوش في المسرح الدّائري، ومشاهدة الخيول المنتصرة وحلبة سباق الخيل، وأزدهر الأسلوب الباروكي، فصّورت هذه اللّوحات عالما يتدفق حيويّة قد تخلص من قيود الفن الكلاسيكي[2]

وفي نهاية القرن الثالث الميلادي أصبح تصوير الجسم الإنساني ثقيلاً، بحيث اختفت الرشاقة وخفت الحركات والطابع التأثيري للأشخاص وتركت مكانها للهيئات الجامدة.

وقلت الفسيفساء في هذه الفترة، كما أصبح صانعوها لا يقلدون النماذج المنشورة وإنما اتجهوا نحو المواضيع المجردة والفلسفية، وقد اختاروا عدة صور أسطورية إغريقية بسبب قيمتها المنفعية، ومحاكاة الحياة الأخرى.

---

[1] عمار المحجوبي، المرجع السابق، ص 161.

[2] Ennaifer (H) , OP,Cit,P.25.

ومع عودة السلام والثراء تحت الحكم الرباعي، عرف فن الفسيفساء نفسا جديداً من الازدهار والتطور وأصبح الفنانون المغاربة معلمين كبار يدعون إلى صقلية واليونان واسبانيا.[1] (ينظر: الشكلين رقم 43 و44 ص).

وهكذا تطور الفن في بلاد المغرب –بنماذجه كلها– قد تطورت بأغراضه ومواضيعه، وتقنياته، عبر العصور التي مر بها هذا الشعب العريق، إذ تأثرت فنونه بفنون شعوب أخرى، جلبها معهم القادمون لبلاد المغرب، من إغريق، وفينيقيين، ورومان. هذا بالإضافة إلى ما اكتسبه هذا الشعب من فنون نتيجة اختلاط أبنائه بشعوب أخرى، وعن طريق الهجرات، والمعاملات التجارية، مثل: الشعوب السودانية في جنوب البلاد، ومصر في شرقها، وشعوب الضفة المقابلة عبر البحر الأبيض المتوسط. وهكذا أضحى هذا الفن مطعماً بالتراث الإنساني،الذي أبدعته ثقافات متنوعة، كانت معروفة منذ حقب قديمة عبر الحضارات الإنسانية.

---

[1] Ibid,P.25.



الشكل رقم (43): فسيفساء منزل سوروتوس في سوسة (القرن الثالث الميلادي).



الشكل رقم (44): فسيفساء خيول السباق المنتصرة، متحف الباردو(تونس).

نقلاً عن: رضا بن علال، المرجع السابق، ص 131.


خاتمة

-خـــاتمـــة:

بعد دراسة موضوع الحياة الثقافية في المغرب القديم أثناء العهد الروماني توصلت إلى مجموعة من النتائج حاولت فيها الإجابة على إشكالية البحث المدروس ومنها:

أولا: كانت سياسة الإمبراطورية الرومانية تهدف إلى دمج الشعوب الخاضعة لها في الحضارة الرومانية والثقافة اللاتينية، ووضعت لذلك آليات مثل: العمل في الجندية وتوسيع النظام البلدي (Municipalisation) والمدرسة ، ويبدوا أن هذه السياسة قد حققت بعض النتائج في بلاد المغرب الذي زود الإمبراطورية ببعض العناصر البارزين في المجال الثقافي، فقد كانت الجندية والتمسك بالثقافة اللاتينية طريقا نحو الحصول على المواطنة، ومع ذلك كان العنصر الأهلي المترومن يمثل الأقلية التي وجدت في الحصول على حق المدينة السبيل الوحيد لتحقيق الترقية الشخصية والاجتماعية، وفي ذلك ظلت أغلبية العنصر الأهلي خارج دائرة هذه المواطنة التي تطلب الحصول عليها جهود مضنية، فماذا تساوي أسماء بضعة آلاف من الأفراد الرومان والمترومنين الذين احتفظت النقوش بأسمائهم في مقابل عشرات الآلاف من العنصر الأهلي الواقع خارج دائرة الثقافة اللاتينية والذين لم تسجل أسماؤهم في النقوش ولا في أداة تسجيل أخرى.

ثانيا: استفادت قلة محظوظة من الرومان بالأصل أو بالمواطنة من ذلك الازدهار الذي تحقق على امتداد فترة الاحتلال الروماني، بينما ظلت الأغلبية من الأهالي تعيش حياتها لا تتجاوز حد الاكتفاء الذاتي في أحسن الحالات، ضمن التمسك بأعرافها ونظمها، ولم تهمل ثقافتها المحلية لنتعرف على نموذج من انتاجها الفكري والمتمثل في النقوش اللوبية التي تعد المصدر الوحيد الذي يدل على أن سكان بلاد المغرب تكلموا اللغة اللوبية.

لازال أصل هذه الرموز مجهولاً فشكل الحروف لا يشبه الحروف البونية أو البونية الجديدة ولا الكتابة السامية الجنوبية في شبه الجزيرة العربية، كما لا يوجد دليل على

العلاقة التي تربط الرسوم الصخرية ككتابة تصويرية مهدت لوجود الكتابة اللوبية ثم تطورت هذه الأخيرة إلى الكتابة التيفيناغية، وهناك نقوش جزر الكناري التي تطرح هي الأخرى عدة أسئلة، وقد تمكن الباحثون من معرفة معاني رموز الكتابة اللوبية، وهي التي أطلق عليها: الأبجدية النوميدية، لأنها كانت تمثل وجه الإنتاج الثقافي للنوميديين، وغرضها هو تدوين بعض القضايا التي رأى فيها السكان ضرورة لأن تدون بتلك الكتابة متطلبات حياتهم ، وذلك باعتمادهم على المنهج المقارن.

ثالثا: كان سكان المغرب القديم منفتحين على لغات وثقافات البحر المتوسط، حيث جعلوا لأنفسهم من اللغة الفينيقية لغة خاصة بهم هي اللغة البونية التي قاومت الغزو اللاتيني لفترة طويلة ، كما تعتبر النقوش البونية مصدراً أساسياً في دراسة تاريخ وحضارة المغرب القديم في غياب المصادر الكتابية.

رابعا: تأثر الأقلية من الحكام المغاربة باللغة اليونانية وقد وجدت اللغة الإغريقية ببلاد المغرب بدليل البقايا الأثرية المادية كتلك التي وجدت منقوشة في المعابد وعلى الأضرحة. وبلغت الهلينة أوجها على يد الملك يوبا الثاني الذي اهتم بتدريس الفنون والآداب على الطريقة الإغريقية منذ القرن الأول ق.م ، ولكن الزحف الإمبراطوري الروماني أوقفها في كامل العالم القديم لتحل محلها اللغة الرومانية.

خامسا: رغم حرص روما على تعميم لغتها وآدابها بكافة الوسائل في المجتمع المغاربي، إلا أن التأثير اللوبي كان واضح الملامح عن طريق النقوش الجنائزية، وذلك بغرض الرد على الاحتلال الروماني حتى وإن لم يكن بمؤلفات إلا أن استمرارية النقوش كانت دليلاً على الحفاظ على الهوية المغاربية التي دامت عبر مئات السنين من الاحتلال الروماني الذي يعتبر المسؤول الرئيس في زعزعة الكيان الحضاري المغاربي بحصاره له وتهميشه لثقافته ولغته، فسكان بلاد المغرب القديم استضعفوا بالاستعمار وبالاحتلال المتتالي عليهم، وهو الشيء الذي جعل اللغة الخطية المكتوبة تندثر وتتحول إلى لهجات

منطوقة، فمهما يكن فإن عودة اللهجات الأمازيغية إلى طبيعتها وصفتها الأولية (الشفوية) جعلت شخصية المغاربي تتزن بتطويره لثقافته وبضبطه للغته وترقيتها. وقد ضعف استعمال اللغة اللاتينية بعد سقوط الإمبراطورية الرومانية رغم قضائها فترة طويلة تجاوزت خمسة قرون في بلدان المغرب القديم خلافاً للغة البونية التي ظلت مستعملة بعد سقوط كل من قرطاجة وروما.

سادسا: اعتمدت روما على السياسية التعليمية لدمج الشعوب الخاضعة لها حيث كان التعليم من أهم الأعمال التي تشرف عليها إدارة بلديات المدن، في العهد الروماني، وكان هذا حكر على الفئات الاجتماعية، الحضرية المترومنة الغنية منها والمتوسطة. وتدل النقوش على المكانة الاقتصادية والاجتماعية التي كان يتمتع بها المتعلم في العصر البونيقي وفي فترة الاحتلال الروماني.

كانت المدن المغاربية تشتمل على مدرسة أو مدارس تؤمن لتلاميذها التعليم بمراحه المختلفة، ولعبت دوراً أساسا في تكوين أبناء بلاد المغرب القديم. فالتحق بهذه المدارس أبناء الطبقة المتوسطة، أما أبناء الأثرياء فكانوا يتلقون تعليمهم في منازلهم عن طريق معلمين خاصين بهم ، في حين بقي سكان الأرياف محرمون من مستويات المراحل العليا وقد يحضون بالمبادئ الدنيا منه وبالتالي كان التعليم في المغرب القديم خلال العهد الروماني يعكس طبقات المجتمع المدني.

بالعودة إلى حقيقة التعليم في العهد الروماني فإنه لم يكن مشتملا على درجات واضحة، غير أنه كان هناك تدرج في التمارين حسب سن الطفل ، ومقدرته ومعلوماته ومن هنا يمكن تقسيم التعليم إلى مراحل ابتدائي وثانوي وعالي.

يبدو أن السياسة التعليمية حققت بعض النتائج حيث ظهر ببلاد المغرب الكثير من الأدباء الذين ساهموا في الفكر الإنساني ، وبعد دراسة بعض جوانب الأدب المغاربي إبان

الاحتلال الروماني ، ورغم اختلاف الأوضاع السياسية والظروف السوسيواقتصادية والمدارس والتوجهات الفكرية والدينية ، نلاحظ أنه تميز في جميع أبعاده بأدب المقاومة والوطنية والذود عن الهوية والحرية والأرض والشرف والكرامة والقيم الأخلاقية الراقية. ورغم اختلاف المسارات والتوجهات والظرفيات للأدب في بلاد المغرب، لكنه ظل نابعاً من صلب الذاكرة والوجدان المغاربي ولو في شكل حرفه المستعار، لأن الحرف اعتبره المفكرين المغاربة في هذه الظرفية المتوترة وسيلة لتمرير الخطاب كما قال كاتب ياسين هو أيضاً غنيمة حرب واعتبروا اللغة وسيلة للتواصل مع الآخر القادم إلى بلادهم والمحتل لهم.

سابعا: بعد إحلال روما سيطرتها على بلاد المغرب بدأت تشييد المدن والمباني العسكرية، وقد تميزت العمارة الرومانية بالتنسيق والتنظيم فأنشأت المباني العامة، والتي تتوفر على كامل الوظائف الحكومية كالساحات والبازيلكات والأسواق، والمباني الدينية، إذ كانت المعابد تعتبر أساس كل مدينة رومانية، وبعدها الكنائس بعد انتشار المسيحية ، إضافة إلى المباني الخاصة للترفيه والتسلية كالحمامات والمكتبات والمسارح.

إن ثراء مدن بلاد المغرب القديم بهذه المرافق دليل على أن الحضر بلغوا درجة عالية من الرفاهية، التي كانت ترعاها الهيئات البلدية على امتداد قرون وقد استطاعت هذه الهيئات أن تجعل من تلك المدن تحفاً فنية جميلة بمسارحها وساحاتها وباقي مرافقها، ومراكز اقتصادية مزدهرة بأسواقها وقد فسح توالي الأجيال المجال لتلاقح الحضارات والأفكار في هذه المدن وأن الحضر من أهلها قد اندمجوا بنسبة واضحة في الحضارة الرومانية التي أصبحت واقعا معاشاً وتأثروا بها وأثروا فيها بما كان لهم من حضارتهم المغاربية.

برزت مدينة مادور في هذه الفترة المدروسة ، التي مرت عبر تاريخها الطويل بفترات عديدة، أثرت بشكل مباشر على تطور وضعية المدينة وأبعادها، بما في ذلك مخططها العمراني. ففي الفترة الممتدة ما بين القرن الأول والثالث ميلادي ، تم تأسيس المدينة على أنقاض المدينة النوميدية من قبل الرومان ، وبذلك عرفت تغيرا مفاجئاً بعد مجيء

المستعمرين الجدد ، حيث خططت من جديد بإتباع طرق ونظريات الهندسة المعمارية الرومانية ، وأصبح لها مخطط عمراني يميزها عن المدن الأخرى .

أما في الفترة الممتدة ما بين القرن الرابع والخامس ، فقد عرفت المدينة تطوراً ملحوظاً وذلك بانتشار المسيحية ، فبالرغم من إنشاء بعض الكنائس ومحاولة تحطيم المعابد الوثنية ، إلا أن المخطط العمراني ظل صامدا. ويبقى النقص الحقيقي في هذا البحث هو توقف الحفريات قبل اكتمالها حتى تسمح بالإجابة على الكثير من الإشكاليات التي مازالت عالقة ، والتي أتمنى أن تؤخذ بعين الاعتبار وإجراء بحوث أكثر تعمقاً في هذا المجال من قبل دارسين وباحثين جامعيين لإثراء التاريخ القديم في الجزائر بدراسات أكاديمية متخصصة باللغة العربية، حتى يشجع الكثير من الراغبين البحث في مثل هذه الدراسات من الطلبة والباحثين، لأنه لحد لآن جل الدراسات باللغة الأجنبية وباحثين أجانب.

ثامنا: تطورت أغراض ومواضيع وتقنيات الفن في المغرب القديم عبر العصور التي مر بها هذا الشعب العريق، إذ تأثرت فنونه بفنون شعوب أخرى، جلبها معهم القادمون لبلاد المغرب من إغريق وفينيقيين ورومان. هذا بالإضافة إلى ما اكتسبه هذا الشعب من فنون نتيجة اختلاط أبنائه بشعوب أخرى ، وعن طريق الهجرات والمعاملات التجارية ، مثل: الشعوب السودانية في جنوب البلاد، ومصر في شرقها، وشعوب الضفة المقابلة عبر البحر الأبيض المتوسط، وهكذا أصبح هذا الفن مطعما بالتراث الإنساني، الذي أبدعته ثقافات متنوعة، كانت معروفة منذ حقب قديمة عبر الحضارات الإنسانية.

وفي ختام هذا البحث أحمد الله الذي وفقني إلى أن أنهي هذا الموضوع فإن وفقت فبعون الله وتوفيقه إن قصرت فمن نفسي.

ببليوغرافيا البحث

ببيليوغرافيا البحث

أولاً: المصادر

I. المصادر باللغة العربية:

1. الكتاب المقدس، العهد القديم (التوراة)، العهد الجديد (الأناجيل الأربعة: متى، مرقس، لوقا، يوحنا)، الرسائل"، ط1، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، القاهرة، 2004.
2. سالوستيوس، حرب يوغرطة، تر و تح: محمد العربي بن عقون، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.
3. هيرودوت، تاريخ هيرودوت، تر: عبد الإله الملاح، منشورات المجمع الثقافي، أبو ظبي، 2001.
4. أبوليوس لوكيوس، الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الإنسانية، تر: أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2001.
5. أبوليوس لوكيوس، التحولات، تر: عمار الجلاصي، منشورات تامنغست، طرابلس، 2000.
6. ابن خلدون عبد الرحمن، تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، تح: سهيل زكار وآخرون، دار الفكر، بيروت، 2000.
7. ترتيليانوس (كوينتوس سبتيموس)، المنافحة، (دفاع عن التوحيد)، ط1، تر: عمار الجلاصي، طرابلس، 2001.
8. النديم أبو الفرج محمد بن إسحاق المعروف بالوراق، كتاب الفهرست، تح: رضا تجدد، دت.
9. البكري (أبو عبيد البكري)، المُغْرِب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت.

II. المصادر باللغة الأجنبية:

1. Apulée, Apologia, sive de magia, Floridorum, éd.van.Der Viet, 1900.
2. Juvénal, Satires, texte établi et traduit par H. clouard, Paris, Garmier, S.D.
3. Fronton de Cirta, Epistolae (de nepote amiso) Edition Nader, Paris, 1867.
4. Tertullien, Contre les spectacles, traduit par M. de Genoude, Seconde édition, Paris, Louis Vivés, 1852.
5. Tite Live, Histoire romaine, Traduit Par E.Lassère, Paris, Librairie Garnier Frères, 1950.
6. Pontuis The Deacon, The life and Passion of Cyprian Bishop and Martyr, Published by The library of Alescaualria.

ثانياً: المراجع

I. المرجع باللغة العربية:

1. عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
2. عبد الرزاق قراقب وعلي مطيمط، حضارات ما قبل التاريخ (تونس والبلدان المغاربية)، ط1، دار أليف، تونس، 1993.
3. غانم محمد الصغير، نصوص بونية ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.
4. غانم محمد الصغير، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.

5. العرباوي محمد مختار، الكتابة البربرية اللوبية التيفيناغ ما حقيقتها؟، ط1، دار نقوش عربية، تونس، 2010.
6. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، ج6، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1990.
7. مها العيساوي، النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، ط1، جسور النشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
8. العرباوي محمد مختار، اللغة البربرية لغة عربية قديمة، ط1، دار نقوش عربية، تونس، 2012.
9. فرحاتي فتيحة، نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني، 213 ق.م-46 ق.م، الجزائر، منشورات أبيك، 2007.
10. لبيض سالم، الأقلية البربرية في تونس، ط1، المركز العربي للدراسات السياسية والاجتماعية، 2011.
11. سليم حسن، مصر القديمة، ج1، نهاية الأسرة الواحد والعشرين وحكم دولة اللوبيين لمصر حتى بداية العهد الإثيوبي ولمحة عن تاريخ العبرانيين، ط1، مطبعة جامعة فؤاد الأول، القاهرة، دت.
12. طالب الإبراهيمي خولة، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000.
13. ذراع الطاهر، العلاقات الحضارية القرطاجية النوميدية (814-146 ق.م)، كتاب أنجز في إطار السنة العلمية بتونس (2009-2010).
14. خشيم علي فهمي، نصوص ليبية، ط2، دار مكتبة الفكر، طرابلس، 1975.
15. غانم محمد الصغير، المظاهر الحضارية والتراثية لتاريخ الجزائر القديم، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
16. أبو المحاسن عصفور، المدن الفينيقية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981.

17. السليماني أحمد، المكنون الحضاري الفينيقي القرطاجي في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.
18. غانم محمد الصغير، التوسع الفينيقي في غربي البحر الأبيض المتوسط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.
19. مهنتل مقروس جهيدة، حاضرة قسنطينية كرتا النوميدية والرومانية، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
20. شنيتي محمد البشير، أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة، الجزائر، 2003.
21. عبد العليم مصطفى كمال، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، ط1، المطبعة الأهلية، ليبيا،1966.
22. العابد مفيد رائف، المدخل إلى اللغة اليونانية، ط1، منشورات جامعة، دمشق، 1977.
23. الرُّدَيْني محمد عبد الكريم، فصول في علم اللغة العام، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007.
24. بن رابح محمد، بقاء اللغات وانتشارها، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمان، 1999.
25. إبراهيم أيوب، التاريخ الروماني، ط1، المؤسسة العربية الحديثة، بيروت، 1996.
26. شارن شافية، رحماني بلقاسم، بشاري محمد الحبيب، الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، الجزائر:1954، 2007.
27. دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، ج1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1964.
28. الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط3، المطبعة التجارية، 1971.

29. الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 2004.
30. الطروانة خليف يوسف، أساسيات في التربية، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، 2004.
31. بن ميس عبد السلام، مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة، ط2، الرباط، 2010.
32. المحجوبي عمار، ولاية أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري 146ق.م–235م، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001.
33. البرغوثي عبد اللطيف محمد، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1، دار صادر، بيروت، 1971.
34. محمد السيد محمد عبد الغني، نماذج من الكفاح الجزائري القديم ضد الهيمنة الرومانية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999.
35. بكبوط محمد، الممالك الأمازيغية في مواجهة التحديات، ط1، منشورات مركز طارق بن زياد، الرباط، 2002.
36. السعدني محمد إبراهيم، حضارة الرومان منذ نشأتها حتى نهاية القرن الأول الميلادي، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية القاهرة، 1998.
37. الناضوري رشيد، المغرب الكبير، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.
38. بن شنهو عبد الحميد، الملك العالم يوبا الثاني، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
39. عتمان أحمد، كليوباترا وأنطونيوس، دراسة في فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقي، المركز العربي للبحث والنشر، 1985.
40. السليماني أحمد، تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، ط1، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007.

41. شفيق محمد، لمحة عن ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، ط1، دار الكلام، الرباط، 1989.
42. عتمان أحمد، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دت.
43. الحضري حنا جرجس، تاريخ الفكر المسيحي، المجلد الأول، ج3، دار الثقافة، القاهرة، دت.
44. كيرلس سليم بسترس وآخرون، تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، منشورات المكتبة البوليستية، بيروت، 1999.
45. شلبي رؤوف، أضواء على المسيحية، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1975.
46. المناصرة عز الدين، المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب، ط1، دار الشروق، الأردن، 1999.
47. دحماني سعيد، عنابة في سياق التاريخ، ط1، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، دت.
48. دحماني سعيد، من هيبون–بونة إلى عنابة تأسيس قطب حضاري، ط1، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات، عنابة، 2007.
49. يوسف كرم، تاريخ الفلسفة في العصر الوسيط، ط2، دار المعرفة، 1992.
50. إحسان عباس، فن السيرة، ط2، دار الثقافة، بيروت، دت.
51. العود محمد الصالح، التحولات الحضارية في الشمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429–534م، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، 2010.
52. المشرفي محمد محي الدين، إفريقيا الشمالية في العصر القديم، ط4، دار الكتب العربية، 1969.
53. شنيتي محمد البشير، نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

54. بوشناقي منير، المدن القديمة في الجزائر، ط1، منشورات وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، 1978.
55. نخلة منى يونس، علم الآثار في الوطن العربي، منشورات جروس يونس، لبنان، دت.
56. منصوري خديجة، الحمامات ببلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطنية، 2001.
57. صحراوي عبد القادر، التحصينات العسكرية بنوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني 46 ق.م–284م، ط1، دار الهدى، للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
58. قادوس حامد زكي عزت، مدخل إلى علم الآثار اليونانية والرومانية، مطبعة الحضري، الإسكندرية، 2005.
59. غانم محمد الصغير، مواقع ومدن أثرية منشورات وزارة الثقافة والسياحة، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر، دت.
60. غانم محمد الصغير، المملكة النوميدية والحضارة البونية، ط1، شركة، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998.
61. محمد سليمان أيوب، جرمة وحضارتها، طبعة دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس ليبيا، 1983.
62. بشي إبراهيم، مدخل إلى تاريخ حضارات بلاد المغرب القديم، ط1، دار زاد الطالب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
63. طامر أنوال، حفريات المسرح، الجزائري، المسرح النوميدي في العهد الروماني، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
64. غانم محمد الصغير، الفن الزخرفي والكتابة البونية في نصب سيرتا النوميدية، ط1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

65. فنطر محمد حسين، الحرف والصورة في عالم قرطاج، ط1، منشورات أليف، تونس، 1999.

II. الكتب المترجمة

1. كامبس كابريال، في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تر وتح: محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010.

2. كونتو (ج)، الحضارة الفينيقية، تر: محمد عبد الهادي شعيرة، ط3، شركة مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، 1948.

3. مازيل جان، تاريخ الحضارة الفينيقية (الكنعانية)، تر: ربا الخش، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1998.

4. ليتمان روبرت، التجربة الإغريقية بين حركة الاستعمار والصراع الاجتماعي (800 ق.م–400 ق.م)، تر: منيرة كروان، المجلس الأعلى الثقافة، القاهرة، 2000.

5. شامو فرانسوا، في تاريخ ليبيا القديم، الإغريقية في برقة الأسطورة والتاريخ، تر: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قارينوس، ليبيا، 1990.

6. هورس ميادان مادلين، تاريخ قرطاجة، ط1، تر: إبراهيم بالش، ط1، منشروات عويدات، بيروت، 1981.

7. ديكريه فرانسوا، قرطاجة أو أمبراطورية البحر، تر: عز الدين أحمد عزو، طَ1، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1996.

8. ديكريه فرانسوا، قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر: يوسف شلب الشام، ط1، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، 1994.

9. جوليان شارل أندري، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج1، تر: محمد مزالي، البشير بن سلامة، ج1، الدار التونسية للنشر، 1969.

10. قداش محفوظ، الجزائر في العصور القديمة، تر: صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1993.

11. أرنولد إيرهارد، المسيحيون الأوائل، ط1، تر: هناء عزيز حبيب، مكتبة المنار، القاهرة، 2000.

12. ورث تشارلز، الإمبراطورية الرومانية، تر: رمزي عبده جرجس، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2003.

13. فوكيه إميل، مدخل إلى الأدب، تر: مصطفى ماهر، ط1، مطبع ملتزمة الطبع والنشر لجنة البيان العربي، مصر، دت.

14. كاستال بيار، حوز تبسة، تر و تح: محمد العربي عقون، مطبعة بغيجة حسام، 2010.

15. ديورانت ول، قصة الحضارة، تر: الدكتور زكي نجيب محمود، ج6، ط3، 1965.

16. بوشناقي منير، الضريح الملكي الموريطاني، تر: عبد الحميد حاجيات، ط1، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية، الجزائر، 1991.

17. إيمار أندري وآخرون، روما وإمبراطوريتها، تر: داغر (فريد وأسعد)، بيروت، 1964، (خارج النص).

III. المراجع باللغة الأجنبية:

1. Aumassip Ginette, Trésors de l'Atlas, éd. E.N.L., Alger, 1986.
2. Rossler Otto, Die Numider, Herkunft, Schrift, Sparch.
3. Février James, Histoire de l'écriture, éd. Payot, Paris, 1959.
4. Faidherbe, Collection complète des Inscriptions Numidiques, Librairie Franck, Paris, 1870.
5. Pavy Louis-Antoine Augustin, Les Saints de L'Algérie, Imp. Marc Aurel éditeurs, Valence, 1857.
6. Gsell Stéphane, Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord, Tunis: (I,II,III,V,IV), Librairie Hachette, Paris, 1913,1927.
7. Chabot(J.B), Recueil des inscriptions Libyques, Imprimerie Nationale, Paris, 1940.
8. Berthier (A) et Charlir L'abbé René, Les Sanctuaires Puniques d'EL Hafra à Constatntine, Paris, 1955.

9. Benbou marcel, La Résistance Africaine à La Romanisation , éd. Maspéro et L'Université de Paris-Sorbonne, Paris, 1976.
10. L'évêque Pierre, L'aventure grecque, éditions Armand Colin, Paris, 1964.
11. Decret François et M'Hamed Hassine Fantar, L'Afrique du Nord dans L'Antiquité (Des Origines au Vème Siècle), éd. Payot, Paris, 1981.
12. Laroui (A), L'histoire du Maghreb, un essai de synthèse ,Ed.F. Maspéro, Paris, 1970.
13. Gantir, E.F le Passé de L'Afrique du Nord, Le Passé Reculé, Coll, "Bibliothèque Historique ". ED. Payot, Paris,1952.
14. Laurence Roger, Romain Narratives, Archéological Dialogues, T.VII, British Archéological Report, London, 2001.
15. (S). Ahmed, L'Afrique romaine, Paris, 1998.
16. Yann le Bohec, Histoire de L'Afrique Romaine, éd. Picard, Paris, 2005.
17. Marrou (H), ST. Augustin et l'afin de la culture antique édition Boccard, Paris, 1997.
18. Gsell Stéphane, Khamissa, M'Daourouch, Announa, Alger et Paris 1914-1922 (3volumes).
19. Monçeaux Paul, Les Africains, Etudes sur la littérature latine d'Afriques (Les Païens), Lecénce, Oudin et Cie, Editeurs, Paris.
20. Gsell Stéphane, Cherchel antique col Caesara, Alger, Sans date.
21. Balout (L), Vingt année d'histoire algérienne, Paris, 1931.
22. Lancel Serge, Les moments antiques de L'Algérie, édition mangés, Paris, 2003.
23. Gsell stéphane , Juba II, Savant et écrivain, revue, africaine N°:68, année 1927, nouvelle édition O.P.U Alger, 1986.
24. Carcopino Jérome, Passion et Politique chez les Césars, Paris, 1985.
25. Marache (R), Critique littéraire de langue latine et le développement du goût archaisant au II^{ème} siècle, Paris, 1952.
26. Monçeaux Paul, Histoire littéraire de l'Afrique Chrétienne, éd. Leroux, Paris, 1901.

27. Decret François, christianisme en Afrique, éd. Hachette, Paris, 1996.
28. Audollent, Cartage romaine 146 Jc-69Jc éd. A Fontiémoing Paris, 1901.
29. Marrou Henri, Saint Augustin et l'augustinisme, éd, SEUIL, Paris, 1973.
30. Schaff Philip, ST. Augustin's City of God and Christian Doctrine, Grand Rapids, MI: Christian classics Ethereal library, New York .
31. Basse Dom, les Moines de l'Afrique Roumaine (I Vème et Vème Siècles), T:II, Librairie B. Bloud, Paris, 1903.
32. Lancel Serge, Saint Augustin (la Numide et la société son temps) éd, Ausoniens, Actes du colloque SEMPAM, Bordeaux, 2005.
33. Cagnât René, Carthage Timgad Tébessa, et les vielles antiques de l'Afrique du Nord, librairie Renouard et laurens éditeurs, Paris, 1927.
34. Homo (L), Rome impériale et l'urbanisme dans l'antiquité, édition Albin Michel, Paris, 1951.
35. Péronne, Vincent, Ecall, Charpentier, Barreau, (H), Deuvres complètes de Saint Augustin, (traduites et amortees en Français, textes de l'édition de bénédictions), Tome IV, lettre XVI, Paris,1873.
36. Gsell (s), Les monuments antiques de L΄ Algérie,Paris, Ancienne librairie thorin et Fils, Albert Fontemoine, 1901.
37. Commaille (A), Les aqueducs des bains et des Thermes dans l'antiquité, Paris.
38. Gros (P), L'Architecture Romaine, decieme édition, 2002.
39. Lassus (J), Visite de Timgad, Alger, 1963.
40. Leveau (Ph), Caesarea de Maurétanie, une Ville romaine et ses campagnes, Collection de L'école Française de Rome, 1984.
41. Mahdjoubi (A), Les cités romaines de Tunisie, tunis: S.T.D, S.D.
42. Berthier (A), L'Algérie et Passé, éditions A et s, Picard, Paris, 1951.
43. Leschi (L), L'Algérie antique, arts et métiers graphiques, Paris.
44. Hachid Malika, le tassili des N'Ajjer, (EDIF. Paris méditerranée) 2000.

45. Ennaifer (H), la civilisation tunisienne à travers la mosaïque, Tunis, 1973.

ثالثاً: المجلات والدوريات

I. المجلات والدوريات باللغة العربية:

1.غانم محمد الصغير، نقيشة ميسبسا الأثرية، مجلة سيرتا، عدد: 4، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980.

2.شنيتي محمد البشير، لمحة عن التفاعل الثقافي في الجزائر القديمة، مجلة الإنسان، عدد: 02، مركز البحوث في الأنثروبولوجيا وما قبل التاريخ والإثنوغرافيا، الجزائر، 1983.

3.العيساوي مها، مدينة تبسة في العصور القديمة، مجلة التراث، العدد: 09، 1997.

4.بوعزم عبد القادر، الحياة في ساحة الفوروم بمدن أفريقيا الشمالية خلال العهد الروماني، مجلة عصور، عدد 16، مخبر البحث التاريخي، مصادر وتراجم، وهران، 2010.

II. المجلات والدوريات باللغة الأجنبية

1. Chaker Salem et Slémène Hachi, A propos de L'origine de L'âge de l'écriture libyco-berbère, éd. Peeter, Paris, 2000.
2. Chaker Salem, Des études de linguistique Berbère pendant la période colonial, libyca, Tomes (30-31), (1982,1983).
3. Chaker Salem, la Situation linguistique, dans le Maghreb antique, libyca, Tome: (28,29), -(1980,1981).
4. Galand Lional, les Alphabets libyques, Ant. Afr., T:25, 1989.
5. Chaki Mansour, la répartition des inscriptions libyques, REPPAL, T:IX, éd. Institut National du Patrimoine, Tunis, 1995.
6. Courtois christian, Saint Augustin et le problème de la survivance de punique, Rev. Af., T: XC IV, 1950.
7. Carcopino Jérome, Du droit de cité accordé par les romains aux peuples conquis, extrait des Annales Universitaires de L'Algérie, Mars 1915, Typographie Adolf Jourdan imprimeur libraire de L'université, Alger, 1915.
8. Camps Gabriel, Liste Onomastique Libyque d'après les sources latines, RE PPAL, T: VIII, Institut National de Patrimoine, Tunis, 1993.

9. Flatter (E), L'Afrique septentrional ancienne, R. Afr, 1877.
10. Petitmengin Pierre, Tertulliannus Historical and literary Study, Oxford, Clarendon Press, 1971.
11. Meslin (M) et Hadot (P), A propos du Donatisme, Journal de Sociologie des Religions, IV. N, 1957.
12. Thepenier (E), Le Grand Aqueduc de Cirta, Dans RSAC, 50, 1916.
13. Saton (w), Le Secteur de la Rapideum sur limes de Maurétanie césarisme après les fouilles de 1927, dans M.E.F.R, 45, 1928.
14. Blas de Roblès (J) et Sintes (C), Cités et monuments antiques de L'Algérie, Imprimé en Presse, 2003.
15. Robert (L), Une Vision de Perpétue martyre à Carthage en 203, CRAT, 1982.
16. Marchant (J), Inscription, de M'Daourouch, en recueil de Constantine, 2éme Vol, 1866.
17. Robert (A), Madaure, In R.C, Vol 33. 1899.
18. Chabassiere (M), Recherches à Thuburicum Numidarum, Madauri et Tipasa, In R.C, 10Vol, Alger-Paris, 1866.
19. Ballu, (A), Fouilles archéologiques d'Algérie en 1905, In B.A.C de 1906, à 1926.
20. Christofle (M), Rapport Official des exécutés dans les années 1927, 1928, et 1929, Carbonel, Alger, 1930.
21. Ballu (A), M'Daourouch, en J.O.R.F de 1876 à 1916, Lyon, 1997, Diffusion de Bacard.
22. Albertini (E), Bulletin des antiquités, en R.Afri, T68, 1927.
23. Albertini (E), Une Basilique à M'Daourouch, en B.A.C 1925.
24. Camps (H), L'olivier et l'huile dans l'Afrique Romaine, Officielle Alger, 1953.
25. Fantar, M'Hamed Hassine, Les pavements puniques dans les dossiers de L'archéologie, N°31, 1978.

رابعاً: القواميس والمعاجم باللغة العربية:

I. القواميس والمعاجم باللغة العربية:

1.التونسي الزواري سارة، المعجم الفلسفي النقدي، ط1، مطبعة السفير الفني، 2005.

2.العربي لطفي، معجم أشهر الفلاسفة، ط1، دار شوقي للنشر، 2004.

3.جلال الدين سعيد، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، ط1، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004.

4.الشهابي يحي، معجم المصطلحات الأثرية فرنسي-عربي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، دت.

II. القواميس والمعاجم باللغة الأجنبية:

1. Dictionnaire de la longue française, 1993, Nouvelle édit, Hachette.
2. Dictionnaire Encyclopédique d'Histoire Bordas 1978.
3. Ripert, (P), Dictionnaire d'archéologie, imprimé en France sur Presse, 2002.
4. Dictionnaire Encyclopédique Quilte (L-U), Librairie Aristide Quilet, 278, Boule vard Saint-Germain, Paris, 7, 1977.
5. Gauckler (P), Opus misirrum dans dictionnaire des antiquités, Grecques et Romaines, Paris, 1916.

خامساً: الموسوعات والأطالس:

I. الموسوعات والأطالس باللغة العربية:

1.غابريال محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، ط2، دار الشعب، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، 1959.

2.عبد المسيح عادل فرج، موسوعة آباء الكنيسة، ج2، (كنيسة شمال أفريقيا)، دار الثقافة، القاهرة، 1999.

II. الموسوعات والأطالس باللغة الأجنبية

1. Monteil Vincent-Mansour, les berbères aux canaris, encyclopédie berbère, Tome I, éd. ESIDUE, Aix-en- Provence, Tome II, Paris, 1984.

سادساً: المذكرات والرسائل

I. المذكرات والرسائل اللغة العربية:

1.العيد بشي إبراهيم، البنية الجغرافية والحضارية في الجنوب الشرقي الجزائري تاسيلي- ناجر نموذجاً، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية (2005-2006).

2.العيساوي مها، المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية (2011-2012).

3.عقون محمد العربي، الاتحاد السيرتي من استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، أطروحة لنيل دكتوراه دولة في التاريخ القديم، إشراف محمد الصغير غانم، قسم التاريخ والآثار جامعة منثوري قسنطينة، السنة الجامعية (2004-2005).

4.بن علال رضا، الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم، إشراف سعيد دلوم، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، السنة الجامعة (2010- 2011)

II. المذكرات والرسائل باللغة الأجنبية

1. Davier Fabien, Les Ecrits Catholiques de Tertullen Fomes et Normes, Thèse de doctorat en Histoire, direction de M. le Professeur Antonio Gonzales université de Franche comté, Sousla, 2009.

فهرس الخرائط والأشكال

1. قائمة الخرائط

2. قائمة الأشكال:

فهرس الأعلام والبلدان

فهرس الأعلام:

مكوسن	70–58
منو (مؤرخ)	
مونصو	120–110
ميندوس	
هوميروس	90
هيجيسياس (فيلسوف)	85
هيردوت (المؤرخ الإغريقي)	56–36
هيرون دي قلقوس	194
يطليموس	97
يوبا الثاني (ملك)	60–97–70–99–100–102–108–109–178–214
يوغراطة	99–61
يوفينال	95

فهرس القبائل والشعوب:

فهرس الأماكن والبلدان:

تيارت	213
باتنة	213
جم (ألــ)	177–03
روما	22–53–60–61–64–66–83–91–96–100–102–108– 114–115–124–133–138–144–126.
سبقا	92–26
شكيلي	121
سيرتا	220–138–110–91–62–59–58–53–50–48
سكيكدة	18
سورجواب (ألــ)	172
سوق أهراس	138–136–115
كيساريا	214–180–173–98–97–95
صقلية	56
طرابلس	93–52–51
طنجاي	30
فولوتوليس	30
قرطاجة	1–41–42–43–50–51–52–56–57–64–66–79–91– 92–93–94–95–102–114–15–117–122–126–130– 133–136–138–141–149–154–175–177–178–179– 215–214–184
قرونية	87–86–83–881–81–79–58–56–1
كناري (ألــ جزر)	25
كركوان	219
كارتيناي	30
ليبيا	93–58–56–51–34–25
لوية	24–23

لبدة	180-177-52-51
مغرب قديم (ألـ، بلاذ)	1-2-3-12-14-15-17-18-19-20-21-22-23-24-25-281-2-3-12-14-15-17-18-19-20-21-22-23-24-25-28-32-34-36-36-38-42-43-46-48-54-56-59-60-64-66-70-81-121-146-147-149-150-160-162-167-169-171-186-187-209-210-214-217-218-220-221.
مور (بلاد)	26-75
موريتانيا (قيصرية طنجية)	43-54-102-105-152-179.
مادور	65-67-92-93-110-115-136-188-189-190-193-194-196-198-200-201-202-203-204-205-206-207-208-209.
مصر	21-52-58-89-100-102
نوميديا	26-32-43-50-53-56-57-65-66-114-140-149-152-189-215.
هرقل (أعمدة)	36
هيبون(هيبور يجيوس)	92

فهرس الموضوعات: الصفحة

ملخص باللغة العربية لرسالة الماجستير تحت عنوان:

الحياة الثقافية في المغرب القديم بين الأصالة وتأثير الثقافات الوافدة 146ق.م/431م

- يعالج هذا البحث مسألة الوضع الثقافي بالمغرب القديم ، خلال فترة الاحتلال الروماني حيث عمل الرومان على إلحاق بلاد المغرب بممتلكاتهم تدريجيا ففقدت بذلك جميع مقومات السيادة والتميز الاجتماعي والاقتصادي، بل كاد سكانها يفقدون جميع معالم شخصيتهم الثقافية في خضم التغيرات الناجمة عن سياسة الرومنة.
- من هذا المنطلق فإن هذه الدراسة ستتناول بالبحث الحياة الثقافية في المغرب القديم بين الأصالة وتأثير الثقافات الوافدة (146ق.م/431م).
- وتعتبر هذه الدراسة من المواضيع المهمة التي تتعاطى التأريخ للانجازات الثقافية في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني، لأن الرومان عملوا من أجل تغيير الكيان الحضاري والثقافي للشعوب المغاربية.
- للموضوع أهمية كبرى حيث تجاوز التكوين التقليدي الذي يقتصر على الجانب السياسي ولا يكاد يتجاوزه إلى مجالات أخرى ذات أثر كبير في مسار البشرية.
- وعليه ركزت جهدي على الاهتمام بالحياة الفكرية، فللمغرب القديم نصيبه من الحضارة والثقافة عكس ما روجت له المدرسة الكولونيالية التي أسقطت السكان الأصليين من الدور الحضاري التاريخي.
- وفي نهاية هذا البحث يمكن القول أن سياسة الإمبراطورية الرومانية كانت تهدف إلى دمج الشعوب الخاضعة لها في الحضارة الرومانية والثقافة اللاتينية، ووضعت لذلك آليات مثل: العمل في الجندية وتوسيع النظام البلدي (Municipalisation) والمدرسة ،

ويبدوا أن هذه السياسة قد حققت بعض النتائج في بلاد المغرب الذي زود الإمبراطورية ببعض العناصر البارزين في المجال الثقافي، فقد كانت الجندية والتمسك بالثقافة اللاتينية طريقا نحو الحصول على المواطنة، ومع ذلك كان العنصر الأهلي المترومن يمثل الأقلية التي وجدت في الحصول على حق المدينة السبيل الوحيد لتحقيق الترقية الشخصية والاجتماعية.

- إن المجتمع المغاربي كان متشابها في حضاراته وخصائصه الثقافية مما يعزز من فرضية وحدته وتلاحمه رغم فترة الاستعمار الروماني الذي سيطر عليه مئات السنين.